دراسات سياسية واستراتيجية

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات السياسية والإستراتيجية في بيت الحكمة ـ بغداد
العدد (٤٠) لسنة ١٤٤٠هـ/٢٠٢٠م

رئيس التحرير
أ.د. محمود علي الداود
(بيت الحكمة)

مدير التحرير
أ.م.د. منى حسين عبيد
مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية - جامعة بغداد

هيأة التحرير
أ.د. السفير محمد الحاج حمود /وزارة الخارجية
أ. مصطفى عثمان اسماعيل /وزير خارجية السودان السابق
أ. عصـــام الجـــــلبي/ وزير النفط العراقي السابق
أ.د. عبد الامير محسن الاسدي /الجامعة المستنصرية
أ.د. عبد المنعم صـاحي العــمار /جامعة بغداد
أ.د. عبـد الســلام بغـــدادي / جامعة بغداد
البروفيسورة كيكو ساكاي / جامعة طوكيو للدراسات الاجنبية
أ.د. جورج جبور /جامعة دمشق
أ.د.ابراهيم خليل العلاف/جامعة الموصل
أ.د. زكريا كورشون /جامعة السلطان محمد الفاتح /استنبول
أ.د. محمد عبد الشفيع عيسى /المعهد القومي للتخطيط /القاهرة

المراجعة اللغوية (العربية)
أ.م.د. حازم عبد الوهاب عارف

المراجعة اللغوية (الإنكليزية)
بثينة هاشم ياسين

رؤية المجلَّة

ان التطـورات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة التـي يمـر بهـا العـراق والمنطقـة والعـالم تتطلـب توفـر ابحـاث علميـة موضوعيـة للنخـب العلميـة المتخصصـة تضـع الـرؤى والأقتراحات للمشاكل الداخلية والخارجية القائمة وتساعد دوائر صنع القرار في رسم السياسات المناسبة

أهداف المجلَّة

إن مجلـة «دراسـات سياسـية واسـتراتيجية» التـي تصـدر عـن قسـم الدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية في بيـت الحكمـة هـي مجلـة علميـة محكمة صـدر أول عـدد منهـا عـام ١٩٩٩ . تحمل الرقـم الـدولي المعياري (ISSN: 2223-9464)،وشروط النـشر واختيـار عناويـن البحـوث والدراسـات تعكـس الخطـة العلميـة السـنوية للقسـم التـي يضعهـا القسـم بالتعـاون مع الفريـق الاستشـاري للقسـم مـن ذوي الاختصـاص العلمي الرصـين مـع الاخـذ بنظـر الاعتبـار المتغـيرات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة التـي تحـدث في العـراق والعالم العربي ودول الجوار والعلاقات الدولية .

تنـشر المجلـة البحـوث والدراسـات الرصينـة التـي تتوفـر فيهـا شروط البحـث العلمـي التـي تخـص العـراق في مجـال السياسـة الداخليـة والخارجيـة . وتنـشر مثل هـذه الدراسـات حول مختلـف القضايـا العربيـة والعلاقات مـع دول الجـوار وتـولي أهميـة خاصة لمنطقـة الخليـج العربي وسياسـات القـوى الكبرى حيـال العـراق والمنطقة العربية.

وتحـرص عـلى تقديـم قـراءة علميـة وعقلانيـة وموضوعيـة ونقديـة للقضايـا والملفـات المطروحـة وتعطـي الاولويـة للنصـوص التـي تـأتي بجديـد سـواء عـلى مسـتوى المعطيـات أم على مسـتوى المقربـات والاسـتنتاجات وتقديم الحلول للمشاكل المطروحة .وتهتم بالشأن العالمي بقدر تأثيره على العراق والمنطقة العربية .

تعـرض كافـة البحـوث والدراسـات المقدمـة الى الفريـق الاستشـاري ومـن شروط النـشر الخاصـة بمجـلات بيت الحكمة للموافقة على نشرها او الاعتذار أو طلب التعديل .

- تعتمد مجلَّة «دراسات سياسية» في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلَّات الدولية المحكَّمة، وفقًا لما يلي:
- أولًا: أن يكون البحث أصيلًا معدًّا خصيصًا للمجلَّة، وألَّا يكون قد نُشر جزئيًا أو كليًا أو نشر ما يشبهه في أيِّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدِّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها بيت الحكمة، أو إلى أيِّ جهةٍ أخرى.
- ثانيًا: أن يُرفق البحث بالسيرة العلمية (C.V.) للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- ثالثًا: يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

- عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسَّسة العلمية التي ينتمي إليها في صفحةٍ مستقلة.

- الملخَّص التنفيذي باللغتين العربية والإنكليزية في نحو ١٥٠-٢٠٠ كلمة، والكلمات المفتاحية (Key Words) بعد الملخَّص، ويقدِّم الملخص بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة إشكالية البحث الرئيسة، والطرق المستخدمة في بحثها، والنتائج التي توصَّل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق وكُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، ووضع التصور المفاهيمي وتحديد مؤشراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات. على أن يكون البحث مذيَّلًا بقائمة المصادر والمراجع التي أحال إليها الباحث، أو التي يُشير إليها في المتن. وتُذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده بيت الحكمة، والمتوافق مع النظام العالمي لمنهج البحث التاريخي.

- لا تنشر المجلَّة مستلَّات أو فصولًا من رسائل جامعية أُقرَّت إلَّا بشكلٍ استثنائي، وبعد أن يعدَّها الباحث من جديد للنشر في المجلَّة، وفي هذهِ الحالة على الباحث أن يُشير إلى ذلك، ويقدم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والجامعة التي جرت فيها المناقشة.

- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلَّة واهتماماتها البحثية.

- تهتم المجلَّة بنشر مراجعاتٍ نقدية للكتب المهمة التي صدرت حديثًا في مجالات اختصاصها بأيٍّ لغةٍ من اللغات، شرط ألَّا يكون قد مضى على صدورها أكثر من ثلاث سنوات، وألَّا يتجاوز عدد كلماتها ٢٨٠٠-٣٠٠٠ كلمة. ويجب أن يقع هذا الكتاب في مجال اختصاص الباحث أو في مجال اهتماماتهِ البحثية الأساسية، وتخضع المراجعات إلى ما تخضع له البحوث من قواعد التحكيم.تفرد المجلَّة بابًا خاصًا للمناقشات لفكرة أو نظرية أو قضية مُثارة في مجال العلوم الاجتماعية لا يتجاوز عدد كلمات المناقشة ٢٨٠٠-٣٠٠٠ كلمة، وتخضع المناقشات إلى ما تخضع له البحوث من قواعد التحكيم.

- يتراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك المراجع في الإحالات المرجعية والهوامش الإيضاحية، وقائمة المراجع وكلمات الجداول في حال وجودها، والملحقات في حال وجودها، بين ٨٠٠٠-١٠٠٠٠ كلمة، وللمجلَّة أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورةٍ استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.

- تُنشر البحوث والدراسات في المجلَّة باللغتين العربية والإنكليزية.

• رابعاً: الاستلال الإلكتروني والتحكيم العلمي:

- تُعرض البحوث والدراسات المقدَّمة للنشر في المجلَّة على برنامج الاستلال الإلكتروني (Turnitin).

- يخضع كلَّ بحث إلى تحكيم سري تام، يقوم بهِ قارئان (محكِّمان) من القُرَّاء المختصين اختصاصاً دقيقاً في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أُنجز في مجالهِ، ومن المعتمدين في قائمة القرَّاء في بيت الحكمة. وفي حال تباين تقارير القراء، يُحال البحث إلى قارئ مرجِّح ثالث. وتلتزم المجلَّة موافاة الباحث بقرارها الأخير؛ النشر / النشر بعد إجراء تعديلات محددة / الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون ثلاثة أشهر من استلام البحث.

• خامساً: تلتزم المجلَّة ميثاقاً أخلاقياً يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية والأمانة العلمية وعدم إفصاح المحرِّرين والمراجعين وأعضاء هيأة التحرير عن أيِّ معلوماتٍ بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيِّ شخصٍ آخر غير المؤلِّف والقُرَّاء وفريق التحرير.

- يخضع ترتيب نشر البحوث إلى مقتضياتٍ فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.

- لا تدفع المجلَّة مكافآتٍ مالية عن المواد - من البحوث والدراسات والمقالات - التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبَعٌ في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى المجلَّة أيَّ رسوم على النشر فيها.

إنَّ المهمة الرئيسة للمُقيِّم العلمي للبحوث المُرسلة للنشر هي أنْ يقرأ المُقيِّم البحث الذي يقع ضمن تخصصهِ العلمي بعنايةٍ فائقةٍ وتقييمهِ وفق رؤىً ومنظورٍ علمي أكاديمي لا يخضع لأيِّ آراءٍ شخصية، ومن ثمَّ يقوم بتثبيت ملاحظاتهِ البنَّاءة والصادقة بخصوص البحث المُرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقييم، يُرجى من المُقيِّم التأكد من استعدادهِ الكامل لتقييم البحث المُرسل إليه، وفيما إذا كان يقع ضمن تخصصهِ العلمي أم لا، وهل يمتلك المُقيِّم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، وإلَّا فيمكن للمُقيِّم أنْ يعتذر ويقترح مُقيِّم آخر.

بعد موافقة المُقيِّم على إجراء عملية التقييم والتأكد من إتمامها خلال الفترة المحددة، يُرجى إجراء عملية التقييم وفق المحددات التالية:

- يجب أنْ لا تتجاوز عملية التقييم مدَّة أسبوعين، كي لا يؤثر ذلك بشكلٍ سلبي على المؤلِّف.
- عدم الإفصاح عن معلومات البحث ولأيِّ سببٍ كان خلال وبعد إتمام عملية التقييم، إلَّا بعد أخذ الإذن الخطِّي من المؤلِّف ورئيس هيأة التحرير للمجلَّة، أو عند نشر البحث.
- عدم استخدام معلومات البحث لأيِّ منافع شخصية، أو لغرض إلحاق الأذى بالمؤلِّف أو المؤسَّسات الراعية له.
- الإفصاح عن أيِّ تضاربٍ مُحتمل في المصالح.
- يجب أنْ لا يتأثر المُقيِّم بقومية أو ديانة أو جنس المؤلِّف، أو أيَّةِ اعتباراتٍ شخصية أخرى.
- هل أنَّ البحث أصيلاً ومهم لدرجة يجب نشره في المجلَّة.
- بيان فيما إذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلَّة وضوابط النشر فيها.
- هل أنَّ فكرة البحث متناولة في دراساتٍ سابقة؟ إذا كانت نعم، يُرجى الإشارة إلى تلك الدراسات.
- بيان مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسهِ ومحتواه.
- بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكلٍ واضح مضمون البحث وفكرته.
- هل تصف المقدمة في البحث ما يريد المؤلِّف الوصول إليه وتوضيحه بشكلٍ دقيق؟ وهل وضَّح فيها المؤلِّف ما هي المشكلة التي قام بدراستها؟
- مناقشة المؤلِّف للنتائج التي توصل إليها خلال بحثهِ بشكلٍ علمي ومُقنع.
- يجب أنْ تُجرى عملية التقييم بشكلٍ سري وعدم اطلاع المؤلِّف على أيِّ جانبٍ فيها.
- إذا أراد المُقيِّم مناقشة البحث مع مُقيِّمٍ آخر، فيجب إبلاغ رئيس التحرير بذلك.
- يجب أنْ لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المُقيِّم والمؤلِّف فيما يتعلَّق ببحثهِ المُرسل للنشر، ويجب أنْ تُرسل ملاحظات المُقيِّم إلى المؤلِّف من خلال مدير تحرير المجلَّة.
- إذا رأى المُقيِّم بأنَّ البحث مستلَّاً من دراساتٍ سابقة، توجَّب على المُقيِّم بيان تلك الدراسات لرئيس تحرير المجلَّة.
- إنَّ ملاحظات المُقيِّم العلمية وتوصياته سيُعتمد عليها وبشكلٍ رئيس في قرار قبول البحث للنشر من عدمهِ، كما يُرجى من المُقيِّم الإشارة وبشكلٍ دقيق إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديلٍ بسيط ممكن أنْ تقوم بها هيأة تحرير المجلَّة، وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديلٍ جوهري يجب أنْ يقوم بها المؤلِّف نفسه.

أخلاقيات النشر

• تعتمد مجلة دراسات سياسية قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم ، بالنسبة للباحث والقراء (المحكمين) على حدٍّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم على قارئين معتمديْن لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاطٍ محددة. وفي حال تعارض التقييم بين القراء، تُحيل المجلَّة البحث على قارئ مرجِّح آخر.

• تعتمد مجلَّة دراسات سياسية قُراء موثوقِين ومجرَّبين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.

• تعتمد مجلَّة دراسات سياسية تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.

• لا يجوز للمحرِّرين والقراء، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه) أن يبحث الورقة مع أيِّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلِّف. وينبغي الإبقاء على أيِّ معلومةٍ متميِّزة أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال القراءة قيد السرِّية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.

• تقدِّم المجلَّة في ضوء تقارير القراء خدمة دعم فنِّي ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.

• تلتزم المجلَّة بإعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلاتٍ معينة، بناءً على ما يرد في تقارير القراءة، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسباب الاعتذار.

• تلتزم مجلَّة دراسات سياسية بجودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعية والإلكترونية التي تقدمها للبحث.

• احترام قاعدة عدم التمييز: يقيِّم المحرِّرون والمراجعون المادَّة البحثية بحسب محتواها الفكري، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العِرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب، أو أي شكل من أشكال التمييز الأخرى، عدا الالتزام بقواعد ومناهج ولغة التفكير العلمي في عرض وتقديم الأفكار والاتجاهات والموضوعات ومناقشتها أو تحليلها.

• احترام قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيِّ مؤلِّف من المؤلِّفين، أو الشركات، أو المؤسَّسات ذات الصِّلة بالبحث.

• تتقيد مجلَّة دراسات سياسيةبعدم جواز استخدام أيٍّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمَّنها البحث المحال على المجلَّة في أبحاثهم الخاصة.

• حقوق الملكية الفكرية: يملك بيت الحكمة حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في مجلَّاته العلمية المحكَّمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًّا أو كلّيًا، سواءٌ باللغة العربية أو مترجمة إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من البيت.

• تتقيد مجلَّة دراسات سياسية في نشرها لمقالاتٍ مترجمة تقيّدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.

• المجانية: تلتزم مجلَّة دراسات سياسية بمجَّانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلِّفين من جميع رسوم النشر.

House of Wisdom
Journal of Historical Studies

بيت الحكمة
قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية

العدد:

التاريخ: / / ٢٠

«اسم الباحث» المحترم

«عنوانه»

تحية طيبة:

يسرنا إبلاغكم تسلمنا بحثكم الموسوم بـ:

«عنوان البحث»

راجين تعبئة أنموذج التعهد أدناه وإعادته إلينا في أقرب وقتٍ ممكن، لنتمكَّن من السير في إجراءات تقويمهِ، علماً بأنَّ تاريخ استلامنا لتعهد النشر سوف يُعتمد لغايات المباشرة بإجراءات تقييم البحث.

مدير التحرير

إقرار وتعهد

«عنوان البحث»

١. أُقر بأنَّ البحث لم يسبق لي نشره ولم أقدمه لأيَّةِ جهةٍ لنشرهِ كاملاً أو ملخصاً، وهو غير مستل من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه(*).

٢. أتعهـد التقيد بتعليمات النشر المعمول بها في المجلَّة وتدقيق البحث لغوياً، وعلى أن تكون حقوق مُلكيَّة النشر والتأليف إلى المجلَّة. وبجميع القرارات الصادرة عن هيأة التحرير.

٣. فـي حالـة موافقة هيأة تحرير المجلَّة على نشرهِ أوافق على أنَّه ليس من حقي التصرف بالبحث سـواءٌ بالترجمة أو الاقتباس أو النقل من البحث المذكور أعلاه أو تلخيصه أو الإفادة منه بوسائل الإعلام، إلَّا بعد الحصول على موافقةٍ خطية من رئيس التحرير.

٤. راجعـت / راجعنا النسخة النهائية للبحث، ونحن نتحمل المسؤولية القانونية والأخلاقية لما قد يرد فيه. كما نتعهد بحفظ حقوق الباحثين المشاركين في البحث.

وعليه وقَّعت في أدناه.

التخصص العلمي الدقيق للبحث هو: (.....).

اسم الباحث الأول (ثلاثة مقاطع): (.....).

اسم المؤسَّسة التي يعمل بها الباحث: (.....).

عنوان البريد الإلكتروني للباحث: (.....).E-mail

العنوان

التوقيع: .....

(*) في حال كان البحث مستلاً نرجو توضيح

المحتويات

كلمة العدد

رئيس التحرير ١٣

البحوث والدراسات

ميناء الفاو الكبير ومستقبل العراق

أ.د. محمد الحاج حمود ١٧

مجلس التعاون لدول الخليج العربية بين الاستمرار والتغيير

أ.د. خيري عبد الرزاق جاسم ٢٩

الكويت و(الربيع العربي):الأزمة والمعالجات

أ.د. مفيد الزيدي ٤٣

البرنامج النووي الباكستاني

أ.د. ستار جبار علاي - الباحثة هبة صباح جابر ٦٣

التمويل السياسي في العراق

أ.د.باسم علي خريسان ٨٣

مابين التطرف والإرهاب (الفكر والفعل)

جميل كامل عبد الله ، عقيل مصطفى مهدي ، احمد عمران عبد ،
د. ثائر سعد عبد الله ، د. قيس كريم نافل ، د. حيدر طه عسكر ٩٣

داعش بعيون عراقية الفعل ورد الفعل

أ.م. رقية اياد احمد ١٠٥

الدور الامريكي الجديد في الخليج العربي في ضوء التحولات الاقليمية

أ.م.د شذى زكي حسن ١١٥

مشكلة سد النهضة وتاثيرها في العلاقات السودانية – المصرية

أ.م.د منى حسين عبيد ١٢٩

الدبلوماسية الشعبية الأمريكية: إدارة السمعة واسترجاع الصورة في منطقة الشرق الأوسط

أ.م.د عبد الأمير عبد الحسن إبراهيم ١٤٥

التسامُح والإصلاح في العصر الحديث جون لوك أنموذجاً

د. رسول محمَّد رسول ١٧٧

عرض كتاب : القانون الجوي الدولي وقانون الفضاء لمؤلفه السفير الدكتور محمد الحاج حمود

عرض : علي سعدي موسى ١٨٧

كلمة العدد

تتصــدر هــذا العدد القضايــا الخاصة بالشأن العراقــي وتولي أهمية خاصــة لحاضر ومستقبل التنمية وقد اتحفنا السفير الدكتور محمد الحاج حمود بدراسة خاصة تتناول مشروع ميناء الفاو الكبيــر واهميته لمستقبل العراق .ان مشــروع بناء ميناء الفاو الكبير والقناة الجافة يعتبران من المشاريع الاستراتيجية الكبرى التي ستوفر للعراق مركزاً اقتصادياً وسياسياً فريداً وانه سينشط الاقتصــاد العراقــي ويشغل اعداداً كبيرة من الأيدي العاملة العراقية . ويؤكد البحث على أهمية تبني الحكومة العراقية لهذا المشروع العملاق وتوفير الأموال اللازمة لانجازه في أقصر وقت ممكــن ويمكن الاعتمــاد على الشركات العالمية الرصينة وقد أبــدت جمهورية الصين الشعبية استعدادها لانجاز هذا المشروع العملاق .

وفي الشأن العراقي ايضاً يضم هذا العدد دراســة حول التمويل السياسي في العراق وهذا بحث مهم وخصوصاً وان العراق ســيشهد انتخابات عامة في السنة القادمة ومن الضروري توضيح كيفية تمويل الأحزاب والافراد وهذا له علاقة بالنزاهة ومكافحة الفساد .

ويتضمن هذا العدد أكثر من بحث حول الإرهاب في ضوء التجارب القاسية التي مربها العراق في فترة سيطرة داعش على بعض المحافظات علماً ان داعش لايزال يؤلف خطراً مباشراً على العراق من كافة النواحي الآمنية والاجتماعية .

وفي الشأن الخليجي يضم العدد دراسة حول مجلس التعاون الخليجي والتحديات التي يواجهها وبحث آخر عن الدور الأمريكي في الخليج له علاقة بالبحث الأخير وهناك دراسة مهمة حول مشروع سد النهضة في اثيوبيا وأثره في العلاقات السودانية المصرية الاثيوبية .

رئيس التحرير

البحوث والدراسات

ميناء الفاو الكبير ومستقبل العراق

أ.د. محمد الحاج حمود (*)

توفر البحار وسيلة سهلة ورخيصة للتنقل. لذا تطور النقل الدولي عبر البحار تطوراً سريعاً. ولاسيما في النصف الثاني من القرن العشرين وما بعده. لذا ارتفعت حمولة السفن التجارية من ٧٠ مليون طن متري في عام ١٩٣٩ الى ٦٧٦ مليون طن عام ٢٠٠٤.[١] وهذا يعني ازدياد حجم البضائع المنقولة في البحر بنفس النسب.[٢] ومن المعلوم ان نشاط السفن المتزايد يحتاج الى المزيد من الموانئ التجارية المتطورة لاستيعاب هذا النشاط. ويعتبر النقل البحري من الركائز الاساسية في اقتصاد الدول، ولاسيما بعد تطور السفن الى سفن عملاقة تعتمد على طريقة النقل بواسطة الحاويات الكبيرة وتعتمد الوسائل الحديثة في نقل المعلومات والاجهزة المتطورة في التحميل والتفريغ.

والميناء هو ((المكان الذي يقع على حافة البحار والمحيطات او الانهار او البحيرات، الذي تذهب اليه السفن لشحن او لتفريغ حمولتها)).[٣] والموانئ على انواع رئيسة هي:[٤]

الموانئ التجارية، وهي المختصة باستقبال السفن التي تحمل البضائع التجارية.

الموانئ النفطية، وهي المختصة بشحن النفط الخام ومشتقاته.

موانئ الصيد، الخاصة بصيد الاسماك.

موانئ الخدمات، المختصة بتزويد السفن بالوقود والمياه العذبه والطعام والخدمات الاخرى.

وما يهمنا في هذه الدراسة هي الموانئ التجارية، التي يعد ميناء الفاو الكبير احداها.

الموانئ العراقية الحالية:

توجد في العراق حالياً اربعة موانئ تجارية ومنصتين لتصدير النفط. فالموانئ التجارية هي ميناء ام قصر وميناء خور الزبير وميناء المعقل وميناء ابو فلوس. والمنصات النفطية هي ميناء العمية وميناء البصرة الواقعين ضمن البحر الاقليمي العراقي. ويمكن القول ان هذه

(*) مستشار السيد وزير الخارجية العراقية

الموانـئ لا تغطي حاجة العـراق التجارية في الوقت الحاضـر. اذ ان طاقتها المتاحة محدودة وكذلك عدد الارصفة لرسو السفن في كل ميناء، فضلاً عن عدم كفايـة اعماق الممرات المؤدية اليها والاعماق المتاحة في واجهات ارصفتها.

لقـد اثر الحصار الاقتصـادي الذي فرض على العراق بسبـب احتلال الكويت تأثيراً بالغاً على الموانـئ العراقية من حيث طاقتها الاسـتيعابية وكفائتهـا الفنية، وادى الى تقادم وتعطيل الكثير من الاليات والمعدات التـي تعمل فيها. ونتيجة ذلك الحصـار اهمل تطهير الممرات الملاحية، ممـا ادى الـى تـردي الاعماق وقلـة الغاطس بسبب زيادة الترسـبات فيهـا. فضلاً عن زيادة عـدد الغـوارق من السفـن والبواخـر الحربية والتجاريـة في الممرات الملاحية. هذه العوامل ادت الى تدهـور طاقة وكفاءة الموانئ العراقية والى زيادة نشـاط موانئ الدول المجاورة على حساب الموانئ العراقية.

وبعد احتلال العراق سنة ٢٠٠٣، لم تبذل قوات الاحتـلال ايـة جهـود لمعالجة وضـع الموانئ العراقيـة المتـردي. بـل اعتمدت فـي نشاطها على الموانـئ الخليجية والاردنية والتركية. الا ان الحكومـات العراقيـة المتعاقبة حاولت تقديم العـون للشركـة العامة لموانئ العـراق، ولكن في نطاق محـدود. فقد حاولـت الشركة العامة لموانئ العـراق القيام ببعض الجهـود لتطوير وضع الموانئ. اذ قامت بتأهيل بعض الحفارات وانتشـال بعـض الغـوارق وتطهيـر الممرات الملاحية من المخلفـات غير المتفجرة وتطوير بعض ارصفة واجهـزة الموانئ. الا ان ذلك لم يصل الى مرحلة الطمـوح.[٥] علماً ان الموانئ العراقية الحالية هي شـركة تمويـل ذاتي تابعة لـوزارة النقل وكانت فـي الماضي مصلحة، ثم تحولت الى مؤسسة ثم الى منشأة.

ويبين الجدول رقـم (١) تطور حركة النقل في الموانـئ العراقية فـي المراحـل المختلفة التي اشرنا اليها في اعلاه.

الجدول رقم (١)

تطـور حركة النقل فـي الموانئ العراقية الحالية

السنة	عدد الوحدات الراحلة	كمية البضائع المتبادلة (طن)
١٩٧٩	١٦٦٤	٨٠٥٢٠٠٠
١٩٩٠	٣٥٦	٤٨٦٩٠٠٠
١٩٩٩	١٥٨٢	٤٢٤٩٠٠٠
٢٠٠٢	٥٨٧٩	٩٣٣٧٠٠٠
٢٠٠٤	١٩٠٣	٣٢٥٢٨٧٧
٢٠٠٧	٤٩٩٩	١٠٨٨٣٨٨٠
٢٠٠٨	٤٢٥١	١١٨٥٤٠٦١
٢٠٠٩	٤٥٤٢	١١٣٢٥٥٣٣
٢٠١١	٢٢٠٩	١٢٨٤٨٢٠٢
٢٠١٤	٢٦٠٦	١٥٨٦٩١٩٠
٢٠١٦	٢١٧١	١٨١٢٨٨١٣

المصـدر: الشركة العامـة لموانئ العراق: التقريـر السنوي للسنوات١٩٧٩ لغاية ٢٠١٦، قسم التخطيط والمتابعة.

ولابد من اعطـاء فكرة مختصرة عن كل واحد من هذه الموانئ.[٦]

ميناء المعقـل: يقع ميناء المعقـل على الضفة الغربيـة لشـط العـرب قـرب مدينـة البصرة. ويبعـد (١٣٥) كم عن النهايـة الشمالية للخليج

العربي. يتكون الميناء من (١٣) رصيفاً ومن مرسى للجنائب بطول (٥٠٠) م. تبلغ مساحة الرصيف بحدود (٤٠٠٠) م٢، فضلاً عن السقائف والمخازن وساحات مكشوفة لاستقبال الحمولات الثقيلة. وقد توقف النشاط في هذا الميناء اثر نشوب النزاع المسلح بين ايران والعراق سنة ١٩٨٠. ولا يزال النشاط فيه متعثراً بسبب الطمي والغوارق في شط العرب اثر نشوب ذلك النزاع.

ميناء ابوفلوس: تم انشاء هذا الميناء سنة١٩٧٦، وهو يقع على الضفة الغربية لشط العرب، ويبعد (٢٠) كم عن مدينة البصرة. ويتكون من ثلاثة ارصفة فولاذية طول كل رصيف (١٧٥) م وعرضه (١٨) م.

ميناء ام قصر: تعود فكرة انشاء ميناء في منطقة ام قصر الواقعة في نهاية خور عبدالله[٧] الى بداية الاحتلال البريطاني للعراق. إذ فكرت السلطات البريطانية الافادة من هذا الموقع الاستراتيجي لانشاء قاعدة بحرية حربية. ولكن التطورات السياسية في العراق بعد ذلك دفعت الى التفكير بالافادة من هذا الموقع لانشاء ميناء تجاري. وهكذا اخذت الفكرة طريقها الى التنفيذ سنة ١٩٣٠. ومعلوم ان هذا الموقع يكتسب اهمية استراتيجية واقتصادية. اذ انه يقع بالقرب من الخليج العربي على بعد ٧٥ كم من المدخل الغربي لمدينة البصرة.

لقد شعر العراق نتيجة التطورات التي مر بها بعدم كفاية ميناء المعقل لاستيعاب الحركة التجارية العراقية مع العالم. لذا اتجهت الفكرة نحو بناء ميناء ام قصر، ولاسيما وان عمق القناة الملاحية التي تربطه بالخليج تزيد عن عمق القناة الملاحة في شط العرب.يتكون الميناء من مينائين منفصلين: ميناء ام قصر الجنوبي، ويتكون من تسعة ارصفة، وميناء ام قصر الشمالي ويتكون من (١٨) رصيف. ولكن نشاط الميناء تعرض الى فترات من التلكؤ بسبب الاحداث التي مرت بالعراق من حصار واحتلال. ولم يستعد عافيته الا بعد الغاء العقوبات على العراق. ويمكن تطوير الميناء في المستقبل بسبب ما يتميز به مواقعه من قرب من الطرق البرية وصلابة الارض المناسبة لبناء الارصفة بمواصفات عالمية وقلة الترسبات في الميناء وقربه من الخليج العربي.[٨]

ميناء خور الزبير: يقع ميناء خور الزبير في منطقة خور الزبير الصناعية، ويبعد (٦٠) كم عن مدينة البصرة و (١٠٥) كم من النهاية الشمالية للخليج العربي. وتمر بالقرب منه قناة البصرة. وتم انشاء الميناء سنة ١٩٨٩. وإذ حفرت قناة خور الزبير للملاحة بطول (٢٤) كم لربط الميناء بقناة خور عبدالله ومنه الى الخليج العربي.

يحتوي الميناء على (١٣) رصيفاً متخصصاً. رصيفان اختصاصيان لمعمل الحديد والصلب، ورصيفان كونكريتيان لاستيراد خامات الحديد وتصدير الحديد الاسفنجي، وخمسة ارصفة مع ملحقاتها لخزن سماد اليوريا والفوسفات، وثلاثة ارصفة جديدة للبضائع بطول (١٨٠) م مع رافعات كهربائية عدد (١٢). فضلاً عن المساحات والمخازن والطرق المبلطة وسكك الحديد وبقية الخدمات. وتبلغ مساحة الميناء الكلية (٣) كم٢ والمساحة المائية (٨٧٥) م٢.

انبثاق فكرة انشاء ميناء الفاو الكبير:

نلاحظ مما سبق ان موانئ العراق الحالية قد تغطي حاجته في الوقت الحاضر. الا ان العراق مقبل على تطور اقتصادي كبير وحاجة مستمرة الى زيادة نشاطه التجاري مع العالم نتيجة الزيادة المستمرة في عدد السكان[٩] الامر

الـذي يدفعه الى التوسـع في حركة الاسـتيراد والتصديـر عن طريق الموانـئ. فضلاً عن ان الموانئ العراقية الحالية تواجه منافسة قوية من قبل موانئ الدول المجـاورة، تلك الموانئ التي استمرت في التطور والنمو على حساب موانئ العراق التي تعرضـت الى هزات كبيرة بسبب الاحداث السياسـية التي ادت الى تراجع ادائها وكفائتها.(١٠)

ان تطـور تقنيات النقل البحري السريعة جعلت مـن الموانئ الحاليـة غير قادرة علـى مواكبة هـذا التطور. اذ ان ازدهار الـدول يرتبط اليوم ارتباطاً وثيقـاً بعلاقاتهـا الاقتصادية بالمجتمع الدولـي عن طريـق التجـارة المتبادلـة. لذا لم تعـد الموانئ العراقية الحالية قـادرة على تلبية متطلبـات هـذا الواقـع الجديـد بسبـب طاقتها المحـددة ومحدودية اعماق الممـرات البحرية المؤدية اليها، التـي لا تتجاوز (٦-١٠) م إذ لا تسمح هذه الاعماق باسـتقبال البواخر العملاقة لنقل الحاويات والحمولات الثقيلة.

مـن هنا انبثقـت فكرة انشاء مينـاء جديد يكون قريبـاً مـن المنافـذ البحريـة الدوليـة وتكـون الاعماق في القنـاة الموصلة اليه وفي ارصفته كافية لاسـتقبال البواخر العملاقـة، الامر الذي يـؤدي الـى انخفاض كلـف النقل والـى توجه الناقليـن الى المينـاء الجديد. لـذا وقع الاختيار علـى منطقة الفاو الواقعة علـى الخليج العربي وفي مدخـل خور عبدالله. واختيـر لهذا الميناء اسم (ميناء الفاو الكبير). وهو يعد من المشاريع الاسـتراتيجية العملاقـة وسـيكون جـزءاً من مشـروع القنـاة الجافـة التـي تربـط الموانئ العراقية بالبحر الابيض المتوسـط عبر سوريا واوربا عبر تركيا.

وخدمة المينـاء الجديدة لا تقتصـر على حاجة العـراق لاسـتيراد وتصديـر البضائـع وانمـا ايضـاً يكون نقطـة مهمة لعبـور البضائع عن طريـق الترانزيـت بيـن الشـرق والغرب عن طريق المينـاء الجديد والقناة الجافـة العراقية. اذ ان المينـاء يقـع فـي منطقة تختصـر الوقت علـى البواخـر التجاريـة القادمـة مـن جنوب شـرق اسـيا قرابة احد عشر يومـاً، فضلاً عن تخفيض تكاليف نقـل البضائع، وتخفف الزحام الحاصل في قناة السويس وميناء العقبة، ويزيد مـن واردات العراق السنويـة وينعش اقتصاده الوطني، ويسهم في نقل مركز التجارة العالمية الى مدن الفاو والبصرة.(١١)

ان بنـاء ميناء الفاو الكبير في هذ الموقع يساعد على تطويـر المنطقة الى منطقة حرة مهمة في جنوب العراق نظراً لتوفر العوامل الاقتصادية والخدميـة فيها. فمن الناحيـة الاقتصادية يشكل قربها من مدينة البصرة عاملاً مهما في نجاحها، مع توفـر البيئـة الانتاجية المساعـدة كالعمالة وتوفـر مراكز البحث العلمي. كما ان قربها من حقول النفـط والاهوار والمناطق التأريخية يعد من عوامل نجاحها.(١٢)

كانـت فكرة انشاء ميناء الفاو الكبير فكرة قديمة تعود الى بداية الاحتلال البريطاني للعراق.(١٣) الا ان الاهتمام الفعلي بهذه الفكرة يعود الى عام ١٩٨٦،إذ جـرت دراسـات اوليـة لفكرة انشاء ميناء يتكون من (١٠٠) رصيف، حدثني السيد المهنـدس هشام المدفعي انـه عندما كان وكيلا اول لامين بغـداد السيد عبد الوهـاب المغني، ان رئيـس الجمهورية كلف امين بغداد باعداد دراسـة وتصاميم لميناء كبيـر يقع على الخليج العربي يكون قـادرا على تلبية متطلبات تطور

العـراق في المستقبل. وقد رصد لهذا المشروع مبلغ مائة مليون دولار. وخوله الاسـتعانة بمن يـراه من الخبراء. الا ان المشروع تاجل بسبب ظرف الحـرب الايرانيـة العراقيـة. ثم عادت الفكرة من جديد سـنة ١٩٩٧ وقدمت دراسـات مـن قبل باحثين من وزارة النقل والمواصلات. ولكـن هذه المحاولات لم تـر النور ايضاً. وبعد عام ٢٠٠٣ بدأت دراسات اكثر جدية بعد اقرار اللجنـة الاقتصاديـة العليا في مجلـس الوزراء فكرة انشاء (ميناء البصرة)، وشـكلت لجنة في الشركـة العامة للموانئ العراقية لتقديم دراسـة حـول متطلبـات المشـروع المقتـرح واختيار الموقـع المناسـب. وانبـرت وزارة النقـل مع الهيئة العامة للموانئ لتقديم دراسـة عن طريق مركز علوم البحار في البصرة الذي قدم دراسة اقتصادية وفنية متكاملـة واختيار موقع للميناء الجديـد، الا ان المسؤوليـن لـم يأخـذوا بتلـك الدراسـة. وان الجهـود لتخصيـص مبلغ للبدء بالمشـروع لـم تفلح. لـذا تقدمت عدة شـركات بعروض حول المشروع هي:

شركة مشرف للتجارة والمقاولات، وهي شركة كويتية مسجلة في العراق.

مجموعة شـركات ساندي العراقية- الامريكية المسجلة في العراق.

شركة KGL الكويتية.

شركة حنا الشيخ الاماراتية.

قامـت لجنـة مشكلة بامر وزاري سـنة ٢٠٠٥ بدراسـة العـروض وتوصلـت الـى نتيجة ان عرض شـركة حنا الشيخ هو افضل العروض واوصت بقبوله. الا ان وزارة النقل رفضت هذا العطاء لاحتوائه على شروط تعاقدية صعبة.

بعد ذلك قامت شـركات ايطالية، بموجب منحه مـن الحكومة الايطالية، بتقديم دراسـة جدوى، ووقعـت تلك الشركـات مـع وزارة النقل عقداً عام ٢٠١٠ بكلفة (٤٦٥) مليون يورو. ولم ينفذ العقد الا في منتصف عام ٢٠١١.

اختيار موقع ميناء الفاو الكبير:

اختار مركـز علوم البحار موقعـا للميناء على شكل مستطيل بعيداً عن رأس البيشة. اما شركة حنـا الشيخ فقـد اختـارت رأس البيشـة موقعاً للميناء. الا ان الشركات الايطالية اعتمدت جملة مـن المعايير لاختيار الموقـع الافضل للميناء. ويمكن تلخيص هذه المعايير بما يأتي:[١٤]

الكلـف المتعلقـة بالعمالـة والمـواد والمعدات والحفر والانشاءات.

الامان: توفير الامـان للمشروع مهم لمتطلبات السلامة للميناء.

مخاطر الترسـبات الكبيرة: شـط العرب يجلب في مواسـم الفيضان كميات كبيرة من الاطيان، الامـر الـذي يحتـاج الـى المزيد مـن الكري وبالتالي زيادة كلفة الصيانة لممرات الميناء.

سـلامة العمليات وابتعادها عـن حركة ناقلات النفط والسفن التي تحمل منتجات خطرة.

الخصائـص الملاحيـة الملائمة لنشـاط الميناء المعتمـدة بشكل أسـاس علـى قصـر القنوات المكريـة، ممـا يؤدي الـى تقليل كلـف الكري والصيانة.

الاتصـال باليابسة الذي يوفر سـرعة الاتصال بطرق المواصلات البرية وسـكك الحديد، مما

يخفض كلفة الشحن الوارد الى الميناء والخارج منه .

العوامل البيئية المؤثرة كالتربة والتربة التحتية والبيئة البحرية والمساحات المحمية والجوانب الاجتماعية والاقتصادية وانشطة صيد السمك.

واستناداً الى هذه المعايير اختيرت ثمانية مواقع بديلة لتحديد الموقع الافضل، واعطي لكل موقع الدرجات المناسبة وفق ذلك. وجرت مناقشة بين خبراء الفريق الايطالي والخبراء العراقيين على قائمة التحليل للمعايير الذي اشرنا اليها سابقاً. وكانت نتيجة هذا التحليل ان وقع الاختيار على البديلين A,B اللذان تتوفر فيهما تلك المعايير اكثر من غيرهما، وتقرر المزج بين الموقعين لاختيار الموقع المناسب للميناء. انظر الصورة.

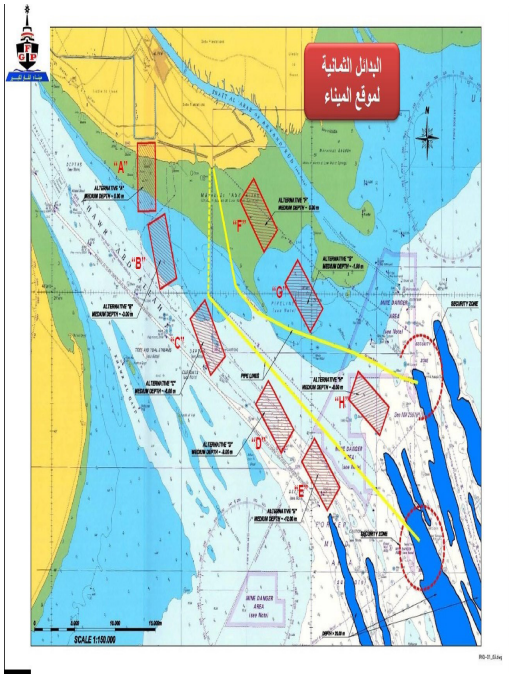

الملاحية المؤدية الى مينائي ام قصر وخور الزبير، وتوافر المساحات اللازمة للتحميل والتفريغ والخزن وبقية الخدمات الضرورية. مع امكانية توفير الممرات المائية العميقة لمرور السفن العملاقة التي تتلائم مع النقل البحري الحديث.[١٥]

ومعلوم ان خور عبدالله من المساحات البحرية الضيقة. وان قرارات مجلس الامن التابع للامم التحدة المرقمة ٦٨٧ و ٧٧٣ و ٨٣٣ حددت الحدود البحرية للعراق والكويت في منتصف خور عبدالله، واصبح الممر العميق في الجانب الكويتي. علماً ان خور عبدالله كان بكامله عراقياً تدير الملاحة فيه مصلحة الموانئ العراقية منذ الاربعينيات من القرن الماضي وحتى احتلال الكويت عام ١٩٩٠.[١٦]

منشآت ميناء الفاو الكبير:

يكتسب ميناء الفاو الكبير اهمية خاصة بالنسبة لمستقبل العراق والحاجة الى تطوير اقتصاده المعتمد بشكل اساس على واردات النفط، التي يقدر الخبراء انها ستؤول الى النضوب في المستقبل حتماً. وعند اكتمال بناء الميناء سيكون ذو قيمة استراتيجية مهمة في شبكة النقل البحري الدولي، ليس للعراق فقط وانما لاقتصاد النقل الدولي عموماً. وسيشكل مع القناة الجافة حلقة وصل اساسية بين قارتي آسيا وافريقيا من جهة واوربا من الجهة الاخرى. حيث سيوفر ٣٥٪- ٤٥٪ من كلفة النقل و ٣٥٪ - ٤٠٪ من وقت النقل، مما يجعله مفضلاً عند شركات ومؤسسات النقل.

يتكون التصميم الاساس المتفق عليه للميناء من الاجزاء الرئيسة التالية:[١٧]

كاسـر الامـواج المتكـون من جزئين. كاسـر الامواج الشرقي بطول (٨) كم. وكاسر الامواج الغربي بطـول (١٨) كم بشكل قوس. ويكتسب كاسـر الامواج اهمية خاصة للموانئ البحرية. اذ انـه يحافظ على اسـتقرار السفن عند دخولها المينـاء وعند رسـوها علـى الارصفة لغرض تفريغهـا، وتحميلها من البضائع. وقد انجز بناء كاسـري الامـواج الشرقي والغربـي والجدير بالذكر ان ارتفـاع الامواج في هذه المنطقة من الخليـج العربي قـد يصل الى اربعـة امتار في مواسم معينة.

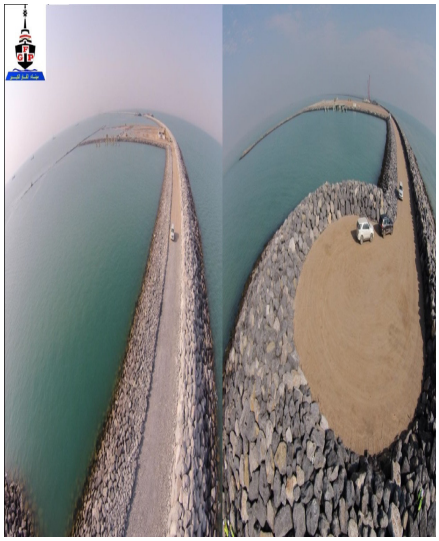

كاسر الامواج لميناء الفاو الكبير

القناة المؤدية الى الميناء: يرتبط الميناء بمياه الخليـج العربي وممراته الملاحية بقناة بعرض (٤٠٠) م وعمـق (١٧,٥) م، وهـذا العمـق يستوعب سفن بغاطس (١٦) م على الاقل. وفي الممر منطقة استدارة مساحتها (٦٥٠) م، وهي مطابقـة للمواصفات العالميـة بالكامل. ويصل عمق ميـاه الارصفة الـى (٢٠) م، لان السفن عند رسـوها على الارصفـة تحتاج الى اعماق اكثر بسبب حركتها.

الارصفة: يتكون الميناء من عدد من الارصفة مختلفـة الاغـراض. وقـد تقـرر انشاءها على مرحلتين:[١٨]

المرحلة الاولى: المفروض ان يكتمل انشاؤها عام ٢٠٢٨ وتتكون من:

١. ارصفة بطول (٣٩٠٠٠) م للحاويات.[١٩]

٢. ارصفـة بطـول (٢٠٠٠) م للحمـولات العادية.

٣. ساحة للحاويات بمساحة (١٢٠٠٠٠٠) م٢.

٤. ساحة للحمولات العادية بمساحة (٤٠٠٠٠٠) م٢.

٥. مساحة مبلطة لطرق السيارات وسكك الحديد والابنية والخدمات بمساحة (٦٠٠٠٠٠) م٢.

٦. سايلوات لخزن الحنطة بحجم (١٥٠٠٠٠) م٣.

المرحلة الثانية: المفروض ان يكتمل انشاؤها عام ٢٠٣٨، وتتكون من:

١. ارصفة بطول (٣١٠٠) م للحاويات.

٢. ارصفة بطول (١٥٠٠) م للحمولات العادية.

٣. ساحة للحاويات بمساحة (٨٠٠٠٠٠) م٢.

٤. ساحة للحمولات العادية بمساحة (٢٠٠٠٠٠) م٢.

٥. مساحة مبلطة للطرق المعبدة والابنية والخدمات بمساحة (٤٠٠٠٠٠)م٢.

٦. سايلو لخزن الحنطة بحجم (٥٠٠٠٠) م٢.

لذا سيكون مجموع ارصفة الحاويات (٤٦) رصيفاً لاستقبال (٢٥) مليون حاوية سنوياً وطول الرصيف الواحد بين (٢٥٠-٤٠٠) م. ومجموع طول ارصفة الحاويات (١٨,٤٠٠) كم. اما ارصفة البضائع الفل فهي (١٦) رصيفاً بقدرة استقبال (٥٥) مليون طن سنوياً وطول الرصيف (٣٠٠) م ومجموع اطوالها (٤,٨٠٠) كم.

وهناك ارصفة المشتقات النفطية فهي (٦) ارصفة ورصيفين لدحرجة البراميل. ويحتوي الميناء قاعدة بحرية ومحطة ادلاء لارشاد السفن. فضلاً عن مساحة كبيرة لتصليح السفن (مسفن) بكافة اجهزته والعدد اللازم من الكرينات بكافة انواعها.

ومن المتوقع ان يبلغ عدد السفن الزائرة للميناء في سنة الهدف عام ٢٠٣٨: سفن الحاويات (١٧٢٠-١٨٨٠). وسفن الصب (٨٠٠-١٢٠٠). اي مجموع (٢٥٢٠-٣٠٨٠) سفينة في السنة.

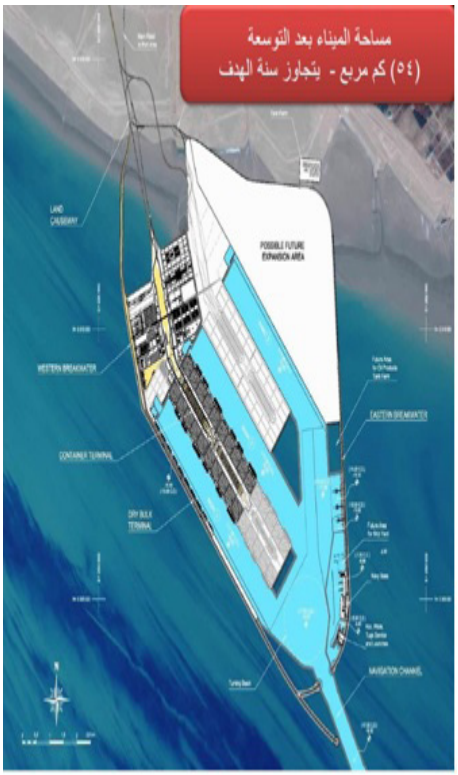

كلفة إنشاء الميناء: وتقدر الشركات الايطالية كلفة انشاء الميناء بالكامل وما يحتويه من منشآت ومباني ومعدات ومصروفات متفرقة مبلغ (٧,٢٧٩) مليار دولار حسب

الجـدول رقـم (٢). وهـو رقـم ليـس بالكثيـر علـى دولة مثل العـراق، نظراً لحجـم موارده الاقتصادية الكبيرة.

جدول رقم (٢)
كلفة تشييد الميناء

ت	الفقرة	المبلغ /م/د
١	التعبئة	٢٠١
٢	الارصفة	٢,١١٨
٣	تقوية ارصفة الحاويات	٥٣٠
٤	ارصفة الصب الجافة	١٧١
٥	كاسر الامواج	٢١٤
٦	الحفر	٧٩٩
٧	المعدات	١,٢٦٦
٨	الاتصالات	٢٧٧
٩	التخيف البيئي	٤٤
١٠	الحالات الطارئة ٥٪	٢٧٩
١١	التصاميم والمسوحات	٢٣٤
١٢	ادارة المشروع والاشراف على الموقع	٢٦٧
١٣	مصروفات عامة	٢٩٣
١٤	نفقات اضافية	٥٨٦
	اجمالي كلف عناصر انشاء ميناء الفاو الكبير	٧,٢٧٩

المصدر: نبيل جعفر الموسوي وحسن حيدر محمد الجزائري، المصدر السابق، ص: ١٢.

القنـاة الجافـة: يحتـل العـراق موقعـاً اسـتراتيجياً مهما في منطقة الشرق الاوسط. اذ يعد اقصر طريق بري يربط قارتي اسيا وافريقيا باروبـا عـن طريق البحـر الابيض المتوسـط وتركيا. لذا وانطلاقاً مـن هذا الواقع الجغرافي فان تطوير الطرق المارة عبر العراق سـتكون لـه انعكاسـات اقتصادية وسياسـية هامة على مكانة العراق الدولية وعلى تطوير اقتصاده في المستقبل. ولاسـيما اذا علمنا ان العراق سيكون حلقة مهمة في طريق الحرير البحري الصيني. وهـذا يعطي لميناء الفاو الكبير اهمية ولاسـيما في التجارة والمواصلات الدولية.

ولكي تحقق طرق المواصلات العراقية دورها المنشـود لا بد من تطويرها بالشكل الذي يتلائم مـع مكانة العـراق الدولية واهميـة ميناء الفاو الكبيـر. فالسكـك الحديديـة الحاليـة ذات خط مفرد للذهاب والايـاب. والطرق البرية لا تفي بالغـرض المطلوب، رغم وجـود بعض طرق المـرور السريع. كما ان فقدان الرقابة على هذه الطرق عرضها الى اضرار بليغة.

وأمـا النقـل بالسكك الحديد فهـو يكتسب اهمية فـي نقـل الحمـولات الثقيلة ولمسافـات طويلة وبسرعة تفوق سرعة بقية وسائط النقل. وتعود بداية انشاء خطوط سـكك الحديـد العراقية الى عـام ١٩١٤. ثـم تطورت بعد ذلـك، إذ ربطت فيما بعد بالشبكة الاوربية عن طريق اسطنبول. وتعرضت السكك الحديـد العراقية الى نكسات عديدة بسبب الاحـداث التي مرت بالعراق، الا ان السلطـات المختصة اولتهـا اهتماماً منذ عام

٢٠٠٩ واعيد ربطها بالخطوط التركية.

وعندما يتم انشاء ميناء الفاو الكبير فان شبكة السكك الحديدية العراقية الحالية سوف لن تكفي لتلبية متطلبات نشاط الميناء. لذا يخطط الان لبناء خط سكك حديد مزدوج بطول اجمالي (١٥١٠) كم يربط الميناء بالبحر الابيض المتوسط، منها (٩٢٠) كم في العراق.

اما النقل عن الطرق البرية. ففي العراق عدة طرق سريعة، اهمها طريق زاخو- ام قصر بطول (١٢٣١) كم وطريق الموصل- الفاو بطول (١١٤٣) كم وطريق خانقين- الرطبة بطول (٢٨٤) كم وطريق بغداد كربلاء- عرعر بطول (١٢٠٠) كم.[٠٢] ولكن هذه الطرق تحتاج الى تحسين ونصب محطات وزن عند المنافذ الحدودية وابعاد مرور الشاحنات بالمدن.

ان تطوير القناة الجافة العراقية فيه فوائد اقتصادية جمة للعراق تتعدى تعرفة المرور عبر تلك الطرق الى تنشيط حركة الموانئ العراقية وما تدره من عوائد السفن والوكالات البحرية وفرص العمل لعمال الشحن والتفريغ ويؤدي الى تقليص المسافات البحرية وتخفيض كلف النقل والتأمين.

التحديات التي تواجه المشروع: هناك تحديات عديدة تواجه نجاح مشروع ميناء الفاو الكبير والقناة الجافة، يمكن اجمالها بما يأتي:

التحديات الداخلية: يعتبر الفساد الاداري والمالي اهم التحديات التي تواجه المشروع. ويتجلى ذلك في مظاهر عديدة، اولها قلة التمويل المرصود للمشروع في الموازنات العامة للدولة. فضلاً عن الروتين الاداري المعقد المتمثل في التأخير في دفع مستحقات الشركات وسوء الادارة ومنح سمات الدخول وفرض الضرائب والرسوم رغم قرار مجلس الوزراء اعفاء الشركات العاملة من هذه الضرائب والرسوم. وانعدام البيئة الامنية المناسبة.

التحديات الخارجية: هناك عدد من التحديات الخارجية المتمثلة بمنافسة بعض المشاريع في المنطقة لنشاط ميناء الفاو الكبير في المستقبل، اهمها:

١. ميناء مبارك: أقرت دولة الكويت بناء ميناء جديد في خور عبدالله على جزيرة بوبيان عام ٢٠٠٧. ومعلوم ان لدى الكويت ثلاثة موانئ بحرية على مناطق بحرية مفتوحة على الخليج العربي. وهذه الموانئ تكفي لسد حاجة الكويت للتجارة مع العالم. ومع ذلك قررت بناء ميناء جديد في احرج منطقة على خور عبدالله. ويبدو ان فكرة بناء هذا الميناء جاءت لاستباق انشاء ميناء الفاو الكبير ومنافسته عن طريق ربط الميناء الكويتي بشبكة سكك الحديد العراقية. ورغم عدم سلامة النية في بناء الميناء الكويتي في هذا المكان الا انه لا يمكن ان ينافس الميناء العراقي العملاق وذلك لان ميناء الفاو الكبير يرتبط مباشرة في القناة الجافة العراقية وسيكون في المستقبل حلقة مهمة واساسية في طريق الحرير البحري الصيني المزمع انشاءه. كما ان المرحلة الرابعة في بناء ميناء مبارك تغلق الممر الملاحي المتوجه الى ميناءي ام قصر وخور الزبير العراقيان، وهذا يخالف احكام قراري مجلس الامن رقمي ٦٨٧ و ٨٣٣ الذين اكدا على سلامة الملاحة في خور عبدالله. فضلاً عن ان النقل عن طريق ميناء مبارك سيكلف الناقل وقتاً وكلفة تزيد على كلفة ووقت النقل عن طريق ميناء الفاو الكبير.

٢. القناة السعودية: قررت المملكة العربية السعودية عام ٢٠١٥ انشاء قناة ملاحية عبر الصحراء من الخليج العربي الى البحر الاحمر بعمق (١٦) م وبكلفة تقدر بـ (٥٠) مليار دولار. والغرض من حفر هذه القناة هو لتحويل الملاحة المتجهة الى الفاو نحو البحر الاحمر وقناة السويس او ميناء ايلات الاسرائيلي او ميناء العقبة الاردني. ومعلوم انه لا تتوفر الجدوى الاقتصادية لهذا المشروع بهذه الكلفة العالية وما تؤدي اليه من اطالة طريق الشحن. فضلاً عن زيادة كلفة الشحن على الناقل بسبب المرور في قناة السويس والموانئ المختلفة

والطـرق الطويلــة عبـر اسـرائيل او الاردن، الامــر الذي يكلفــه المزيد من رسـوم الكمارك والتفريغ والشحن، فضلاً عن المزيد من الوقت والجهد. لذا فلا يمكن لهذا المشروع من منافسة ميناء الفاو الكبير.

٣. قناة الســويس: لا يمكن لقنــاة السويس ان تنافـس ميناء الفاو الكبير وذلك للمسافة الطويلة التي تحتاجها السفن للوصول الى البحر الابيض المتوسـط ومـا تستغرقه من وقـت ونفقات. اذ علــى السفن ان تمر عبر بحـر العرب ومنطقة بحر الصومال الموبوءة بالقرصنة البحرية، ثم الى مضيـق باب المندب والبحـر الاحمر. كما ان القناة الجافة المصرية المتمثلة بمد خط سكة حديد عبر سـيناء لا يمكن ان تؤثر على افضلية ميناء الفاو الكبير لنفس الاسباب اعلاه.

الخلاصــة: ان مشـروع بنــاء ميناء الفــاو الكبيـر والقنــاة الجافــة يعتبران مــن المشاريع الاسـتراتيجية الكبـرى التــي سـتوفر للعراق مركزاً اقتصادياً وسياسـياً فريداً. ولاسيما وان اعتمــاد العراق علــى واردات النفط في الوقت الحاضر سـوف لن يدوم مــع نضوب النفط في المستقبل رغم ضخامة الخزين النفطي العراقي.

ان هـذا المشروع سـينشط الاقتصــاد العراقي ويشغـل اعـداداً كبيـرة مـن الايـدي العاملــة العراقية. لــذا على الحكومات العراقية ان توفر المال اللازم لانجــاز المشروع في اقصر وقت ممكن. ويمكن الاعتماد على الشركات العالمية الرصينــة للقيــام بالعمــل المطلوب باسـرع ما يمكن، ,ولاسـيما وان الصين ابدت اسـتعدادها الكامـل لانجـاز المشـروع بالشكـل والسرعة المطلوبين.

المصادر

- ثائـر عبـد اللطيف مصطفى: دراســة جدوى مشـروع ميناء الفـاو الكبير كداعـم للاقتصاد العراقــي، وزارة النقل الشركــة العامة لموانئ العراق، ٢٠١١.

- جميل طارش العلي واخرين: دراسة التغيرات الطوبوغرافية لقناة خـور عبدالله، مركز علوم البحار، جامعة البصرة، مجلة ابحاث البصرة، العدد ٣٨، ٢٠١٢.

- حسيـن حميـد كريـم، ظاهرة تعـدد الاخوار فــي الجزء الشمالي مــن الخليج العربي: مركز علوم البحار، جامعة البصرة، ١٩٨٦.- صلاح خضير العيداني: دراســات طبيعية واقتصادية للموانئ والمياه العراقية، شركة الغدير للطباعة والنشر، البصرة، ٢٠١٨.

- علي حسين خميس حسن العنزي: تطور النقل البحــري لموانئ العراق، دراســة في جغرافية النقل، جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠٠٤.

- كاظـم فنجــان حســن الحمامي: نحــو تطوير الموانــئ العراقية والارتقــاء بها، بحث منشور علــى الموقــع الالكترونــي .http:// www .basrahcity.net

- محمد الحاج حمــود: القانون الدولي للبحار، دار الثقافة، عمان، ٢٠١١.

- محمــد الحــاج حمــود: المفاوضــات الدولية والسيادة الوطنية، دار الثقافة، عمان، ٢٠١٩.

- مصطفى فهد محســن: الحاويات واثرها على سـلامة وامن النقـل البحري، الشركــة العامة لموانئ العراق، ٢٠١٠.

- نبيـل جعفر الموسـوي وحسن حيـدر محمد الجزائري: ميناء الفاو الكبير، الاهمية والموقع والتحديات. مركز المحور للدراسات والتخطيط الاستراتيجي، البصرة بدون تاريخ.

- هشــام المدفعــي: ميناء الفــاو الكبير واعمار منطقتي الفاو والزبير- البصرة، مجلة الحوار، العدد الثامن والعشرون،

- هشــام صــلاح محســن: الموانــئ العراقيــة ودورهــا فــي حركة النقــل البحــري (ميناء ام قصر الواقع والافاق المستقبلية) دراســة حالة، مجلــة كلية التربية الاساسـية، البصــرة، العدد الثالث والسبعون، ٢٠١٢.- وثيقة الامم المتحدة: اسـتعراض النقل البحــري لعــام ٢٠٠٥، رقم E.٠٥.II.D.١٤، ص ٤.

وكذلك: francios ODER: La circulation maritime et la conference sur le droit de la mer, R.I.R.I., Nos ١١- ١٢,١٩٧٨.

الهوامش

* مستشار وزير الخارجية .

(١) د. محمد الحاج حمود: القانون الدولي للبحار، دار الثقافة، عمان، ٢٠١١، ص:١٥.

(٢) وثيقة الامم المتحدة: استعراض النقل البحري لعام ٢٠٠٥، رقم E.٠٥.II.D.١٤، ص ٤.

وكذلك: francios ODER: La circulation maritime et la conference sur le droit de la mer, R.I.R.I., Nos. 11-12,1978,P.296.

(٣) د. هشام صلاح محسن: الموانئ العراقية ودورها في حركة النقل البحري (ميناء ام قصر الواقع والآفاق المستقبلية) دراسة حالة، مجلة كلية التربية الاساسية، البصرة، العدد الثالث والسبعون، ٢٠١٢، ص: ٣٤٧.

(٤) كاظم فنجان حسن الحمامي: نحو تطوير الموانئ العراقية والارتقاء بها، بحث منشور على الموقع http:// www.basrahcity.net، ص: ٦-٧.

(٥) علي حسين خميس حسن العنزي: تطور النقل البحري لموانئ العراق، دراسة في جغرافية النقل، جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠٠٤: ١٨٠ وما بعدها.

وانظر كذلك حول تطوير الموانئ العراقية: كاظم فنجان حسن الحمامي: المصدر السابق، ص: ٤٢ وما بعدها.

(٦) صلاح خضير العيداني: دراسات طبيعية واقتصادية للموانئ والمياه العراقية، شركة الغدير للطباعة والنشر، البصرة، ٢٠١٨، ص: ٤١٣ وما بعدها.

هشام صلاح محسن: المصدر السابق، ص: ٣٥٨ وما بعدها.

(٧) للمعلومات حول خور عبدالله، انظر: جميل طارش العلي واخرين: دراسة التغيرات الطوبوغرافية لقناة خور عبدالله، مركز علوم البحار، جامعة البصرة، مجلة ابحاث البصرة، العدد ٣٨، ٢٠١٢.

وكذلك: حسين حميد كريم، ظاهرة تعدد الاخوار في الجزء الشمالي من الخليج العربي: مركز علوم البحار، جامعة البصرة، ١٩٨٦، ص: ٣٩٣.

(٨) د. هشام صلاح محسن: المصدر السابق، ص: ٣٥٨ وما بعدها.

(٩) تبلغ الزيادة السنوية لسكان العراق حالياً حوالي ٣٪.

(١٠) انظر الموانئ الخليجية ومشاريعها المستقبلية: كاظم فنجان حسن الحمامي: المصدر السابق، ص: ٢٦ وما بعدها.

(١١) هشام المدفعي: ميناء الفاو الكبير واعمار منطقتي الفاو والزبير- البصرة، مجلة الحوار، العدد الثامن والعشرون، ٢٠١١، ص: ٦٠-٦١.

(١٢) نفس المصدر، ص: ٦٤-٦٥.

(١٣) الدكتور نبيل جعفر الموسوي وحسن حيدر محمد الجزائري: ميناء الفاو الكبير، الاهمية والموقع والتحديات. مركز المحور للدراسات والتخطيط الاستراتيجي، البصرة بدون تاريخ، ص: ٢ وما بعدها.

(١٤) الدكتور نبيل جعفر الموسوي وحسن حيدر محمد الجزائري: المصدر السابق، ص: ١٤-١٥.

(١٥) المصدر السابق: ص: ١٦-١٨. وانظر ايضاً تفاصيل ملائمة الموقع لدى صلاح خضير العيداني المصدر السابق، ص: ٥٥٩ وما بعدها..

(١٦) د. محمد الحاج حمود: المفاوضات الدولية والسيادة الوطنية، دار الثقافة، عمان، ٢٠١٩، ص: ٣٧٥-٣٧٦.

(١٧) المصدر السابق، ص: ٢٤-٢٥.

(١٨) الدكتور نبيل جعفر الموسوي وحسين حيدر محمد الجزائري: المصدر السابق، ص: ٢٣ وما بعدها. وكذلك ثائر عبد اللطيف مصطفى: دراسة جدوى مشروع ميناء الفاو الكبير كداعم للاقتصاد العراقي، وزارة النقل الشركة العامة لموانئ العراق، ٢٠١١، ص: ٦ وما بعدها.

(١٩) الحاوية هي وحدة لنقل البضائع صالحة للاستخدام المتكرر ذات مكانة تكفي للمناولة في الموانئ، يمكن رصرتها او مناولتها بسرعة، بحيث تكون مزودة بتجهيزات ركنية لهذه الاغراض. انظر: صلاح خضير العيداني: المصدر السابق، ص: ٤٢٣. وكذلك مصطفى فهد محسن: الحاويات واثرها على سلامة وامن النقل البحري، الشركة العامة لموانئ العراق، ٢٠١٠، ص: ٣١.

(٢٠) المصدر السابق: ص ٣٠ وما بعدها.

مجلس التعاون لدول الخليج العربية بين الاستمرار والتغيير

أ.د. خيري عبد الرزاق جاسم (*)

المقدمة

شهدت بلدان مجلس التعاون لدول الخليج العربية كثيراً من التطورات السياسية في الاونة الاخيرة ، منها تطورات داخلية واخرى اقليمية وضعت المجلس على المحك في مدى امكانية استمراره أو اجراء تغييرات عليه تصب في اتجاه تغيير ركائزه الرئيسة أو عطله التام عن العمل في اداء وظائفه الرئيسة المنوطة به والتي تطلعت الى تحقيقها منذ نشأته .

وتتمثل تلك التطورات بثلاثة عوامل رئيسه هي العلاقات البينية فيما بين دول المجلس والتي تنذر بوجود مخاطر على استمرار المجلس لاسيما بين دول المجلس الرئيسة وقطر ، ومن ثم التطورات الداخلية في داخل بلدان المجلس نفسها والتي تنذر هي الاخرى بعدم مقدرة دول المجلس على الايفاء بمتطلبات استمرار المجلس لاسيما تلك المتعلقة بضرورات الاصلاح والتي قد تتباين من دولة الى اخرى وبالمحصلة تؤثر على المجلس واستمراره ، واخيرا مسألة العلاقات مع ايران التي تتسم بالانفراج حينا وبالتوتر احياناً اخرى والتي ستؤثر على استمرار المجلس أو تغيره .ان دراسة هذه العوامل يمكن ان توضح لنا ذلك ، ويمكن ان نستشرف مستقبله تبعا لتلك العوامل وتفاعلاتها وسيكون منطلقنا في ذلك الفرض الرئيس الذي مفاده (حصول عوامل عديدة اثرت في مجلس التعاون لدول الخليج العربية يمكن ان تؤثر على استمراره بشكله التقليدي) . وسنقسم البحث على ثلاث محاور رئيسية وهي :

العلاقات البينية : العلاقات مع قطر

التطورات الداخلية : ضرورات الاصلاح

العلاقة مع ايران : معضلة الامن

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية - جامعة بغداد

المحور الاول : العلاقات البينية : العلاقات مع قطر

يُقدِّم تاريخ العلاقات داخل مجلس التعاون الخليجي عدَّة حالاتٍ للخلافات، وبمستوياتٍ مختلفة. فعلى سبيل المثال، لم تُحَل عدَّة نزاعاتٍ حدودية طويلة الأمد في المنطقة حتى مطلع الألفية الجديدة، بما في ذلك الاتفاق الحدودي في عام ٢٠٠٣ بين الإمارات وسلطنة عُمان، وتسوية النزاع البحريني القطري على جزر حوار عن طريق محكمة العدل الدولية في عام ٢٠٠١، ووضع اللمسات الأخيرة على اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين الكويت والسعودية في عام ٢٠٠٠. ومع ذلك، لم يُوضَع حدٌّ لهذه الخلافات إلا عبر تدخُّلٍ فعَّال من المؤسسات الدولية، وليس عبر الآليات الداخلية لمجلس التعاون الخليجي. بيد أنَّ بعض المشكلات الحدودية ما زالت قائمةً حتى اليوم، بما في ذلك الخلاف بين قبائل من السعودية والإمارات وعُمان على واحة البريمي، والخلاف على الحدود البحرية بين السعودية والإمارات، الذي أدَّى إلى مناوشاتٍ وعمليات احتجازٍ وجيزة حتى مارس/آذار ٢٠١٠. بل وتُعَدُّ الخلافات ذات التداعيات الاقتصادية القوية أشدَّ سخونةً. ويُقدِّم الخلاف المستمرُّ بين السعودية والكويت على إنتاج النفط في "المنطقة المحايدة" المشتركة، وهي منطقة حدودية لم تُرسَّم الحدود فيها حتى الآن – حالةً واضحة للصراع القائم بين التعاون والمخاوف المرتبطة بالسيادة. فعلى مرِّ سنوات، تصادم البَلَدَان على خلفية بناء مصفاة نفط في هذه المنطقة المشتركة، ومنح حقوق الإنتاج لشركات النفط الأجنبية، واعتماد العمَّال العاملين في المنطقة، الأمر الذي أدَّى إلى إغلاقٍ مطول لحقلي الوفرة والخفجي بين عامي ٢٠١٤ و٢٠١٥. وفضلاً عن ذلك، لم تؤدِّ زيارة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى الكويت في سبتمبر/أيلول ٢٠١٨، حين كان البلدان يعانيان من أجل زيادة مستويات الإنتاج لتحقيق الاستقرار في سوق النفط – إلى أيِّ نتائج ملموسة في هذا الشأن [١].

في ٥ حزيران / يونيو ٢٠١٧م فوجئ العالم بقرار رباعي من السعودية والإمارات والبحرين ومصر بقطع العلاقات مع قطر، مع غلق المجال الجوي والبحري والبري أمام قطر عبر الدول الأربعة، وقامت الدول الثلاث الخليجية بطرد المواطنين القطريين ومنعهم من ممارسة أي أعمال في داخل تلك الدول، في تصعيد لم تشهد المنطقة مثله من قبل، لاحقاً قامت حكومة شرق ليبيا والحكومة اليمنية المعترف بهما دولياً وغيرهم من الدول بتأييد قرار الرباعي العربي، ولكن ما هي أسباب هذه التطورات الخطيرة في المنطقة [٢].

كان هذا التحرُّك ردًّا على انتهاك قطر المزعوم لاتفاقٍ أمنيٍّ شامل يعود إلى نوفمبر/تشرين الثاني من عام ٢٠١٣، يُطلَق عليه "اتفاق الرياض"، ويُحدِّد التزاماتٍ تنصُّ على الامتناع عن دعم الأطراف الفاعلة الإقليمية المُصنَّفة باعتبارها أطرافًا مُزعزِعةً للاستقرار، بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين وإيران والمجموعات المرتبطة بهما كافة. ثم عاد السفراء المسحوبون إلى الدوحة في نوفمبر/تشرين الثاني من عام ٢٠١٤، بعد ثمانية أشهر

من سحبهم، بعدما وقَّع أمير قطر تميم بن حمد آل ثاني اتفاقًـا أمنيًّا ثانيًا، يُعرَف بـ"اتفاق الرياض التكميلي". وقد عزَّزت هذه الوثيقة الثانية النقاطَ المُتَّفـق عليها في نوفمبر/تشرين الثاني من عام ٢٠١٣، والمتمثِّلة في تماشي قطر مع سياسات خصومهـا، وتضمَّنت الوثيقـة كذلك العديد من إجراءات التنفيذ والمتابعة التفصيلية [٣].

وتمثـل حالة العزلة التي تحـول إليها الاقتصاد القطـري أحد مصـادر التهديـد بالنسبة لقدراته الماليـة، وجدارته الائتمانيـة كذلك، إذ تحد هذه الحالـة كثيرًا من تدفقـات رؤوس الأموال إليه، بسبب توقـف أو انحسار الأنشطة في عديد من القطاعات المُدرة للنقد الأجنبي بالنسبة له، مثل: الطيران المدنـي، والتصدير وإعادة التصدير، والسياحة، والاسـتثمار الأجنبي. وسـينتج عن ذلك حدوث تراجع فـي احتياطي النقد الأجنبي القطـري، ومن ثم لجـوء الحكومة القطرية إلى السحـب بكثافة مـن أرصدتها الماليـة، بما في ذلك صناديقها السيادية، من أجل تأمين السيولة المالية اللازمة لتمويل عجـز الموازنة العامة، وكذلك من أجل ضخ بعض الأموال في القطاع المصرفي وتمويل الاستيراد [٤].

وعندمـا ضربت أزمـة يونيو/حزيران ٢٠١٧ التـوازن الهـش فـي الخليـج، بعـد أن قطعت السعوديـة والإمـارات والبحريـن ومصـر العلاقات الدبلوماسية مع قطر وأغلقت حدودها البريـة والبحريـة والجويـة من جانـب واحد، توجهت قطر إلى الجهـات الفاعلة المحلية مثل تركيـا وإيـران، ولم تتجـه نحو الغـرب الذي تذبـذب بين الصمـت ودعـم دول الحصار في بداية الأزمة، ولاسيما الرئيس الأميركي دونالد ترامب [٥].

ومن ناحيـة أخرى، أظهرت الأزمـة الخليجية أن قطـر ليست وحيدة في عـدم الثقة بجيرانها، إذ حاولـت الكويـت وعمان نـزع فتيل الأزمة ورفضتا الرضوخ للقيادة السعودية الإماراتية، ولاسـيما أن مـا يؤخذ علـى قطر مـن تعاملها مـع الإخـوان المسلميـن، أوضح فـي الكويت والبحريـن اللتيـن لديهما أحـزاب إخوانية علنا ورسميا في البرلمان، بحسب الموقع [٦].

عند تحليل الخلافات السابقة بين مَلَكيات مجلس التعاون الخليجي، سـواءٌ تلك المتعلِّقة بالسياسة أو الاقتصـاد أو الأمن، فإنَّ هناك عنصرًا لافتًا للنظر علـى نحوٍ خاصٍّ، وهـو أنَّ الاختلافات شـائعةٌ، ويجـري تجاوزهـا باسـتمرار، لكنَّها نادرًا ما تُحَلُّ رسـميًا وبصورةٍ كاملة. بادئ ذي بـدء، وهي النقطة الأهـم، لا يُعَدُّ حلُّ الخلافات بين الحكومات مجـالًا لتدخُّل الأطراف الثالثة، بما في ذلـك مجلس التعاون الخليجي نفسه. فلا توجـد عملية نظامية أو آلية رسـمية مؤسـسية داخل مجلس التعـاون الخليجي لديها الموثوقية والصلاحية لحلِّ الخلافات بين أعضاء المجلس . بـل كانت وجهات النظـر المتباعدة تتفق عبر مفاوضـاتٍ غير رسـمية تضم قِلَّةً مـن صُنَّاع القـرار ضمن دوائر الحكَّام والحكَّام أنفسهم في أحيانٍ كثيرة. وكما هو الحال مع معظم المجالات الأخرى، فإن سياسـات التفـاوض تتسم بطابعٍ شـخصيٍّ للغاية في مجلس التعـاون الخليجي، ومن ثَمَّ تتسم بالتقلُّب وتخضع للنزعات الفردية. لكـن الزيادة من الاندماج قد أدَّى في الواقع إلى زيـادة تكلفـة الخلافات داخل مجلـس التعاون، فإنَّ هـذا الاندماج نفسه تعرَّض لتحدياتٍ بسبب

مخاوف تتعلّق بالسيادة [٧].

ومـا أكده أميـر قطر الشيـخ تميم بـن حمد آل ثاني في وقت سـابق من إن «اسـتمرار الأزمة الخليجية كشفت إخفاق مجلس التعاون الخليجي فـي تحقيـق أهدافه وتلبيـة طموحات شـعوبنا الخليجية» إشـارة إلى مدى الاسـتياء القطري على المستوى الرسـمي قبـل الشعبي تجاه هذا الكيـان، الذي هـرم قبل أن يبلـغ الأربعين من عمـره، بل وصار في الوجـدان القطري أنه لم يعد لوجود قطر فيه أي حاجة، والانسحاب منه لن يضـر قطر أكثر مما لحق بهـا من أضرار نتيجة الحصار.

المراقبـون للشـأن الخليجـي وقـد وجـد أن تصريحـات وزيـر الخارجية القطـري الشيخ محمـد بن عبـد الرحمن آل ثانـي، مؤخرا أمام مجلـس العلاقـات الخارجيـة أثنـاء زيارتـه للولايـات المتحـدة، بـأن «مجلـس التعـاون الخليجي افتقـد القدرة على التأثيـر، ومن غير المرجح أن يسترد دوره مستقبلا في ظل الوضع الحالي» إشارة قطرية أخرى للعالم، مفادها أن مستقبل هذا المجلس غامض، فضلاً عن أن«ما يحدث لمجلـس التعاون الخليجي أمر مؤسـف لأنه كـان أكثر الهياكل اسـتقرارا في المنطقة، لكـن عندما فُرض الحصار علـى قطر تغيرت نظـرة المواطنين والمجتمع الدولي تجاه مجلس التعـاون، ويبيّن ذلك كيـف أصبح المجلس أداة غير مؤثرة».

هكذا إذن وصلت نظرة قطر الرسمية والشعبية إلى مجلس التعاون الخليجي.. كيان غير مؤثر، وبالتالـي يمكن أن يصل المراقـب للوضع إلى نتيجـة مفادها أن البقـاء فيه هدر للوقت والجهد وكذلك المال [٨] .

وتحظـى الأزمة باهتمام دولي كبير بالنظر إلى دور دول الخليـج فـي الحرب علـى الإرهاب؛ وهو ما دفع مسؤولون غربيون كثيرون لمطالبة العواصـم الخليجيـة الأربـع باللجـوء للحوار والحفاظ على تماسـك المجلـس، كما عرضت عدة دول بينها الولايات المتحدة وفرنسا التدخل لإنهاء الأزمة.

وللحفـاظ علـى أركـان «التعـاون الخليجي» الـذي كانت المشاورات قبـل الأزمة تصب في ضرورة تحوله لاتحاد خليجي كونفدرالي، تقود الكويت وسـلطنة عُمان -اللتـان فضّلتا الحياد- وساطة لحل الخلاف الذي أثار موجة من ردود الأفعـال العالمية والإقليمية، بـل وعلى مستوى الشارع العربي عموماً والخليجي خصوصاً [٩]

المحور الثاني : التطـورات الداخليـة : ضرورات الاصلاح

انطلاقـا من التوتـرات وحالة عدم الاسـتقرار التي شـهدتها منطقة الخليج العربي خلال العقد الأخيـر من القـرن الماضي سـادت لدى دول مجلـس التعـاون لـدول الخليج العربيـة قناعة مؤداهـا أن أمن الخليج أصبح شـأناً دولياً يجب المحافظة عليه بكافة الوسائل بما في ذلك اللجوء إلى القوة وذلك في ظل ترسيخ توافق دولي بأن هناك تشابكاً متيناً بين أمن دول مجلس التعاون الخليجي الست وبين صحة وسـلامة الاقتصاد العالمـي . وفي هـذا الإطار تتحـدد رؤية دول مجلس التعـاون لأمن المنطقة فـي ثلاثة بدائل

: [10]

البديل الأول : يتمثل في إجماع دول مجلس التعاون الخليجي الست على أهمية الوجود الأجنبي في المنطقة وفقاً لاتفاقيات تم توقيعها بين الجانبين في أعقاب حرب تحرير الكويت ١٩٩١ .

البديل الثاني : ويتمثل في عملية التنسيق الدفاعي الجماعي الخليجي كأحد البدائل المهمة في الحفاظ على أمن واستقرار منطقة الخليج .

البديل الثالث : تضاءل الاعتماد عليه وهو إعلان دمشق [11] باعتباره خياراً عربياً للحفاظ على أمن منطقة الخليج ، ولكنه يظل قائماً .

وتشكل مشاريع الإصلاح الأخيرة في الخليج جزءاً كبيراً من الرد على ثلاثة مخاوف أساسية في السنوات الأخيرة. تتمثّل إحداها في انخفاض أسعار النفط منذ عام ٢٠١٤، الأمر الذي عصف بالميزانيات الخليجية التي تعتمد على إيرادات النفط. والأمر الأكثر أهمية هو أن هناك آثار سلبية تترتب على انخفاض الإيرادات، بالنسبة لقدرة الحكومات على تعزيز العلاقات بين الحكام والمواطنين من خلال الإعانات السخية ومزايا الرعاية الاجتماعية. وتعني الموارد المالية المحدودة أنه يجب على الحكومات إيجاد مقاربات تكميلية أو حتى بديلة لتعزيز الدعم الشعبي.

أمّا القلق الثاني فيتعلّق بضعف الحكومات المتأصل تجاه نوع الاحتجاجات الشعبية، والثورات، والحروب الأهلية الناشئة من «الربيع العربي». فقد حطّمت الأحداث العاصفة خلال السنوات الأولى، ممّا يعرف بالربيع [العربي]، أي انطباع سائد بالأمن في الخليج. وشكّل وصول جماعة «الإخوان المسلمين» إلى سدة الحكم في مصر مصدر قلق ولاسيما للإمارات والسعودية. إن استمرار الصراع الدائر بين الفصائل هو بمثابة تذكير دائم ومثير للقلق حول احتمال تعرض الدول الخليجية للاضطرابات.

وتتفاعل هاتان المسألتان الأساسيتان - إحداهما متجذرة في الاقتصاد والأخرى في السياسة - وتتداخلان مع بعضهما البعض لإيجاد تحدٍ ثالث. ويكمن ذلك التحدي في كيفية الاستجابة للعدد المتنامي من شباب الخليج. ويبحث العديد من هؤلاء الشباب عن فرص للمشاركة في الخطاب السياسي، والحصول على معلومات غير محدودة حول التطورات المحلية والإقليمية وأداء الحكومة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، على عكس الأجيال السابقة لهم، كما ويبحثون عن وظائف حكومية جيدة بينما تأمل حكومات عديدة أن يَنْضموا إلى القطاع الخاص.

وأخيراً، إن ما يزيد من المخاوف الثلاثة هي نظرة [دول] الخليج العربي لمكاسب إيران المزعزعة للاستقرار في المنطقة، بما فيها في شبه الجزيرة الخليجية، والتساؤلات الخاصة حول الالتزام الأمريكي الحالي المتعلق بأمن الخليج العربي.

ولمواجهة هذه التحديات، تتّبع معظم دول الخليج العربية مسارين رئيسين للإصلاح: الإصلاح الاقتصادي الذي يركز على توسيع الاقتصادات

الوطنية إلى ما يتخطى قطاع النفط، والإصلاح الاجتماعي الذي ينطوي على توفير الفرص الترويحية والثقافية والترفيهية وغيرها من الإمكانيات للسكان لكي يتمتعوا بحياة سعيدة يحققون فيها طموحاتهم ومن أجل المساهمة في النمو الاقتصادي الوطني. ويقيناً، أن ممالك الخليج كانت تنوي القيام بخطط تنمية مماثلة منذ سنوات، ولكن التحديات الأمنية الجديدة جعلت هذه الجهود أكثر إلحاحاً. وبالمثل، اقترن الجهد الأخير للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ببيئة سياسية أكثر تقييداً [١٢] .

ورغم أن البعض من الكتاب في معالجتهم لمنطقة الخليج يجنحون للقول إن الثروة الطائلة التي جاءت لخزائن المنطقة بفعل عامل النفط وتصاعد عائداته قد مكنت هذه الدول من (تحقيق أهدافها وإنجاح صفقاتها السياسية مع مواطنيها)وذلك من خلال جعلهم راضين أو على الأقل غير مستائين منها . أو في قول أخذ كثير من الكتاب المقولة المشهورة والقائلة « أن لا تمثيل دون ضرائب « وبني عليها فكرة أن اختفاء الضرائب عن الحالة الخليجية قد لا تدفع المواطنين نحو المطالبة بالمشاركة السياسية . إلا أن الاحداث التي جاءت على الكويت في النصف الثاني من الثمانينيات حتى عودة المجلس المنتخب العام ١٩٩٢ ، كما هي الأحداث التي جاءت على البحرين في الثمانينيات والتسعينيات والمطالبة بإصلاح سياسي وإداري ، كما هي المخاضات الصعبة التي يمرّ بها النسق السياسي السعودي من تصاعد في مطالب الاصلاح في البيت السعودي ، والذي تطور ليأخذ العنف أحد أهم أشكاله خلال السنوات الأخيرة ، كلها احداث وتفاعلات تشير الى خطأ المبالغة في تبني مقولة أثر المال النفطي على « خمود « أشكال مطالبات الناس في تحسين أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية [١٣] .

عملية الاصلاح السياسي هي ضرورة، وينبغي الايمان بها، وتبدأ بمراجعات وانفراجات أمنية وسياسية قادرة على إعادة بناء الثقة بين المواطن الخليجي وحكوماته، والشروع في تنفيذ ما اصطلح على تسميته ب"العدالة الانتقالية" لتحقيق المصالحات الوطنية في البلدان الخليجية التي عانت من الازمات منذ عقود وتغيب عنها الديمقراطية والتمثيل الشعبي الحقيقي.

إن حجم الإنفاق في قطاعي الأمن والدفاع المتضخم وصاحب الارقام الفلكية، لا يغني البتة عن الشروع في تحقيق الاصلاح السياسي المنشود وفق ما قررته الشرعية الدولية التي تتكثف في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والثقافية. فرغم التراجعات التي تعاني منها المنطقة العربية وحالة التشظي القائمة في بلدان عديدة من هذه المنظومة بدعم من دول اقليمية ودولية كبرى، إلا أن الحاجة ماسة لعملية اصلاح حقيقي في عصر ثورات الاتصالات والتقنيات والتغيرات السريعة. فلا يمكن الحديث عن تطوير بلدان مجلس التعاون الخليجي في وقت تعاني فيه نسبة كبيرة من شبابه من البطالة والتهميش وعدم اشراكهم في عملية التنمية الانسانية التي يكون فيها الإنسان وسيلة وهدف

في آن واحد [١٤] .

المحور الثالث : العلاقة مــع ايران : معضلة الامن :

إن أحد أهم تعريفات مُشكلة أمن الخليج، يؤكِّد علــى أن ذلك الخليج المهدّد، في واقع الأمر هو منطقــة الخليج العربــي، التي تضم دول مجلس التعــاون الخليجــي العربية الســت والتي تتمتع بموقع إستراتيجي واحتياطيات نفطية وفوائض مالية واستثمارات كُبرى، مع عدم قُدرة دوَّلها علــى حمايتها بقُدراتها الخاصــة، في مواجهة عِملاقيــن إقليمييــن مُجاوريــن، همــا إيــران والعراق ما قبل انهيار نظام صدّام حسين [١٥] .

لكن العراق وإيــران، لم يمثلا فقط مجرد قِوى إقليمية تُـهدد أمن وموارد وتماسك الدّول الست، رغم أنهما كانتا تفعــلان ذلك طوال الوقت. فقد كانتــا أيضــا تتصارعــان بعُنف ممــا أدّى إلى ســقوط أكثر من ٧٥٠ ألف قتيــلاً خلال حرب الثمانينــات، كمــا كانتا تتعرّضان للاســتهداف والتهديد من جانب القِوى الكبرى المتواجدة في الخليج، وقد انهارت إحداهما بالفعل تحت وطأة حربين كبيرتين عامي ١٩٩١ و٢٠٠٣ [١٦].

ولقد قامت إستراتيجيات دُول الخليج العربية في التعامل مع الطرفين، على مبدأين شهيرين، هما تــوازُن القِوى في الخليــج والتحالفات الدفاعية مع الأطــراف الدولية، وأدّى هــذا الوضع إلى تدويــل كامــل لأمــن الخليــج عبر ســلسلة من الاتفاقــات الدفاعيــة، التــي أبرمتهــا السعودية (١٩٤٥) والبحرين (١٩٧١-١٩٩١) وعُمان (١٩٨٠) والكويــت (١٩٨٧) وقطر (١٩٩٢) والإمارات (١٩٩٤) مع الولايات المتحدة [١٧] .

ظنــت دول الخليــج العربيــة مع بدايــة الحرب العراقيــة الإيرانيــة، أن الخــلاص يكمــن فــي تجمع يحفظ لهذه الكيانات وجودها واســتقلالها وســيادتها فتوّلد مجلس التعــاون الخليجي. لكن دول الخليــج وقعت في الخطــأ الذي وقعت فيه الدول العربية عند تأسيس جامعة الدول العربية. وقــد بــادرت دول الخليــج إلى تأســيس مجلس التعــاون لدول الخليج العربية في ايار/ مايو من عام ١٩٨١، كإطار مؤســسي دفاعي يستهدف بالدرجة الأولى حمايــة أعضائه من طموحات إيــران ما بعد الثــورة في نشر مبادئها لاســيما مــا يتعلق بفكرة «تصدير الثــورة» إلى الجوار الجغرافــي القريب ممثلًا في الخليج، فضلاً عن دفع التهديدات العراقية المحتملة آنذاك [١٨] .

يعتري العلاقــات الخليجية الايرانية قدراً كبيراً من التناقض ، ســواء على المستوى الثنائي أي بيــن إيران وكل دولة خليجية على حدة أو على المستــوى الجماعــي التنظيمــي ، أي مستــوى مجلــس التعاون لــدول الخليــج العربية الذي لا تحكمه إســتراتيجية موحدة تجــاه إيران فالدول الخليجية بعضهــا تحكمه علاقة تنافر مع إيران (حالــة البحرين وإمــارة أبو ظبي) ، والبعض الاخــر تحكمه علاقة تعاون معهــا (حالة قطر وسلطنة عُمان والكويت وإمارة دبي) والبعض الثالــث تحكمه علاقة فتور (حالــة السعودية) [١٩].

تقــوم العلاقات على المستــوى العملي الواقعي بيــن إيران ودول مجلس التعــاون لدول الخليج العربيــة على أبعاد اقتصادية متشعبة ، تتوارى

أمام حدة الخلافات السياسية والمخاوف الأمنية التـي تظهر على السطح مـن حين لآخر وتدفع صـورة هذه العلاقات إلـى التساؤل حول كيفية احتفاظ الطرفيـن ، الخليجي والإيراني ، بواقع وروابط اقتصادية فعالة ، بالرغم من الخلافات السياسـية . وتطمح إيران إلـى تعزيز علاقاتها الثنائيـة مع دول مجلس التعـاون الخليجي عبر تكثيـف الزيـارات المتبادلة بيـن الجانبين لبناء أفضـل العلاقـات فـي المجالات كافـة ، وتقيم إيران علاقات سياسية واقتصادية جيدة مع دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية لاسـيما في مجال تصدير الغاز والكهرباء ، وتعتقد أن حجم التبادل التجاري يمكن أن يزداد أضعاف ما هو عليه الان إذا ما استثمرت الإمكانات والطاقات المتوفرة بصورة أمثل من قبل الطرفين [٢٠].

يمكـن القول بـأن السبـب الرئيس لقيـام قطر بتعزيـز العلاقـات السياسـية مع إيـران يتمثل في الرغبة القطرية الدائمـة في إثبات وجودها الإقليمي ولمواجهة الضغوط الخليجية، وامتلاك أداة سياسية متمثلة في تحالف إقليمي بينها وبين تركيا وإيران بهدف دفع دول المقاطعة للتراجع عن قراراتهـا بخصوص المقاطعة، أما بالنسبة لإيـران، فإنهـا رأت فـي المقاطعـة الخليجية فرصـة ذهبية لاسـتقطاب قطر إلـى صفها في مواجهـة الضغـوط الدوليـة والإقليميـة التـي تواجههـا، فيمكن أن تستخدم قطـر كأداة لتنفيذ سياساتها الخارجية القاضية بتفكيك دول الخليج لنشـر نفوذهـا في تلـك المنطقـة الحيوية عبر نمـوذج تصدير الثـورة الذي تبنتـه منذ الثورة الإيرانيـة عام ١٩٧٩م، ولاسـيما وأن قطر لا تـزال في مجلـس التعـاون الخليجـي وجامعة الـدول العربيـة، إلى جانب ذلك فـإن إيران قد وجدت أرضـاً جديدة يمكن لقواتهـا أن تتدرب فيها ومع قـوات نظاميـة ذات تسليح أمريكي، ما يزيد من خبرة هـذه القوات في الحروب مع الجيـوش النظامية تحسباً لاحتمال دخول إيران في حرب مع إسرائيل أو السعودية أو حليفتهما الولايات المتحدة [٢١] .

وقـد تكررت تلـك الدعوات منذ عهـد الرئيس الإيرانـي الأسـبق رفسنجاني، وبعـده الرئيس خاتمـي. ولإقنـاع الـدول الخليجيَّـة عملـت إيران علـى بناء إجراءات الثقـة لتسهل تطبيع العلاقـات معها، إذ أجرت مشـاورات منتظمة مـع حكومـات دول مجلس التعـاون الخليجي، وتم تبادل الملحقين العسكريين، وزارت السفن البحريَّـة الإيرانيَّـة بشكـل ودي موانـئ دول مجلس التعاون الخليجي، وشارك مراقبون من دول مجلـس التعاون الخليجي فـي المناورات العسكريَّـة الإيرانيَّـة، وقدمت إيـران إخطاراً مسبقـاً عند إجراء مثل هذه التدريبات أو اختبار إطلاق الصواريخ الباليستية [٢٢].

تكمـنُ المعضلـة فـي العلاقة بيـن دول الخليج العربـي وإيـران هـي اختلاف تصـورات كل منهما للآخر.إذ تقوم اسـتراتيجيات دول الخليج الدفاعيَّـة على اعتبـار إيران تهديـداً، وبالتالي ضرورة الحفـاظ على توازن القـوى بالخليج، عبر تطوير القدرات العسكريَّة لكل دولة خليجية ومنع تحـوّل توازن القوى لصالـح إيران عبر تطويـر برنامجها النـووي، أو تطوير منظومة الصواريخ الباليستية.

فـي المقابل تقـوم الاسـتراتيجية الإيرانية على

توسيع مساحة نفوذها، والتدخل في شؤون الدول الأخرى، واستعراض قوتها العسكريَّة في الخليج بما يجعلها تعود إلى ممارسة دور شرطي الخليج، لكن بتأييد من الولايات المتحدة وقبول إقليمي [٢٣] .

تبعت دول الخليج الرؤية الأميركية بسذاجة ودون أدنى تفكير قبل واثناء وبعد احتلال العراق ولم تفكر، ولو قليلا، في المعطيات الاستراتيجية والجيوسياسية في تكوين علاقة خاصة ومميزة مع إيران، كما لم تتمكن من الانعتاق عن التعليمات الأميركية ورفض الحصار والمقاطعة لإيران كما سبق وأن فعلت دول أميركا اللاتينية [٢٤] .

وبالرغم من العلاقات الجيدة بين قطر وإيران في المجال الاقتصادي بشكل خاص، فإن تدهور العلاقات مؤخراً مع دول الخليج دفع قطر لأن تعزز علاقاتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية مع إيران كوسيلة للضغط عليهم، إلى جانب ذلك فإيران كانت قد سارعت بتقديم الدعم الاقتصادي لقطر عقب المقاطعة، فسمحت بإرسال الطعام إليها عبر البحر إلى جانب تسيير الرحلات الجوية من إيران إلى قطر، هذا إلى جانب إرسالها لعناصر من قواتها لحماية النظام القطري تحسباً لأي تدخل عسكري من دول المقاطعة لإسقاط النظام، ما دفع قطر لأن تعيد العلاقات الدبلوماسية بشكل كامل مع إيران، كما استضافت عناصر من الحرس الثوري الإيراني، ما جعل كثير من الباحثين يتحدثون عن تغيرات تجري في العلاقات بين إيران وقطر بعيداً عن المحدد الخليجي الذي ظل لعقود طويلة مقيداً لتلك العلاقات حتى لا تتسع إلى حد يهدد أمن واستقرار الخليج، ولاسيما مع التمدد الإيراني الكبير في المنطقة، ومن هذا المنطلق فإننا سنتناول أبعاد العلاقات القطرية الإيرانية لمعرفة مدى التطور الذي حدث ما بعد المقاطعة [٢٥] .

وقد أظهرت الأزمة القطرية خلافات كانت مختفية في السابق نظراً للأخطار الإقليمية المحيطة بهم في ظل التقدم الإيراني المضطر في سوريا واليمن دفع ذلك دول المجلس إلى تنحية تلك الخلافات جانباً لحين الانتهاء من الملف الإيراني، إلا أن تطورات الأحداث وتحركات السعودية والإمارات الأخيرة قد أغضبت بعض دول المجلس؛ فلم تعد قطر راغبه في البقاء داخل العباءة السعودية الإماراتية، وصارت تطمح لأن يكون لها نفوذاً قوياً في المنطقة، أيضاً فإن هناك تصاعداً ملحوظاً للدور الإماراتي الذي يبدو أنه هو الآخر بات يبحث عن متنفس له خارج الهيمنة السعودية المطلقة التي شهدها الخليج لعقود، ما يعطي لنا مؤشراً هاماً عن طبيعة التفاعلات داخل المنظومة الخليجية المتمثلة في مجلس التعاون الخليجي والذي لم تنجح اتفاقيات التعاون الاقتصادي والثقافي المختلفة في أن تخلق هوية خليجية موحدة وسياسة خليجية موحدة، وبات المجلس على مشارف الانقسام بفضل الطموحات الإقليمية المختلفة لدوله ولاسيما قطر والإمارات اللذان لم يعودا قابيلين بهيمنة سعودية خاصة مع القيادة الشابة الحالية، كما أن عمان بدأت تستشعر الخطر بسبب تهور القيادات الشابة في الخليج وسعيها لجر المنطقة نحو حرب إقليمية غير محمودة العواقب، وهو

ما يفسر لنا التحرك العماني غير المعتاد مؤخراً؛ فقد ظلت عمان تحت حكم السلطان قابوس تتبع سياسة الحياد السلبي، فهي لا تتدخل في شؤون دول الخليج وهم لا يتدخلون في شؤونها، حتى تلقبت عمان بلقب سويسرا العرب، ولكنها مؤخراً وفي ظل الأوضاع الملتهبة المحيطة بها اضطرت للتدخل للحيلولة دون حرب إقليمية ولاسيما عندما قامت السعودية باحتجاز رئيس الوزراء اللبناني تحت الإقامة الجبرية تمهيداً للدخول في حرب مع إيران في لبنان وهو ما دفع عمان للمساهمة في جهود الوساطة لمنع ذلك الأمر كذلك كانت قد تدخلت مؤخراً بوساطة بين إيران والولايات المتحدة وهي الوساطة التي أعلن بعدها ترامب عن رغبته في الجلوس مع الإيرانيين دون شروط مسبقه، والجدير بالذكر أيضاً أن عمان سبق وأن رفضت دعوة سعودية لتحويل مجلس التعاون الخليجي إلى اتحاد سياسي خليجي نظراً لأن ذلك يعد اعتداء على سيادة واستقلال السلطنة .[٢٦]

وتُعد قضية أمن الخليج من أهم القضايا المؤثرة على العلاقات بين الجانبين حتى الان ، وذلك لاختلاف تصور كل من إيران ودول المجلس لأمن الخليج ، انطلاقاً من أن لكل منهما مصالحه الخاصة ، فدول مجلس التعاون ترى في وجود القوات الأجنبية والعربية التي كانت أثناء تحرير الكويت أمناً لها ، في حين ترفض إيران هذا الوجود وتعتبره تهديداً لأمنها ، وهذا ما أكده الخطاب السياسي الإيراني أثناء أزمة الخليج الثانية في اب / اغسطس ١٩٩٠ ، بأن الأزمة أثبتت غياب نظام حقيقي لأمن الخليج يمكن أن يكون كفيلاً بردع أية دولة تعتدي على دولة أخرى ، ويعني في الوقت ذاته عن الحاجة لاستدعاء قوات من خارج المنطقة ، وتكرر هذا المعنى في تصريح النائب الأول لوزير الخارجية الإيراني انذاك (محمد علي بشارتي) الذي طلب لإيران دوراً مميزاً ولاسيما في أمن الخليج ، مؤكداً أن أمنه (أي أمن الخليج) هو مسؤولية الدول المطلة عليه [٢٧] .

يمكن إجمال الرؤية الإيرانية لإشكالية الأمن في الخليج ، من خلال الابعاد التالية [٢٨] :

١- إن مسألة الأمن في الخليج هي مسؤولية الدول الواقعة على شواطئه ، ومن ثم فإن أي منظمة أو نظام إقليمي فرعي لابد وأن تدخل إيران طرفا فيه .

٢- ضرورة إبعاد القوى الخارجية والأجنبية عن قضايا الأمن في الخليج .

٣- إقامة نظام أمني تشارك فيه إيران ، وإذا تمت الموافقة على هذا الاقتراح ، فإنه يجب أن يكون لإيران فيه اليد العليا باعتبارها أكبر قوة إقليمية .

٤- تنظر إيران إلى مياه الخليج كمنفذ مهم وحيوي للتجارة العابرة التي تشارك فيها ، لذا فإنها تسعى لجعل الدفاع عن مياه الخليج واجهة لمطالبها في ممارسة دور أكثر حيوية وفعالية .

هناك ثلاثة سيناريوهات مستقبلية للعلاقات الخليجية الإيرانية تتراوح من الصراع إلى التهدئة، ولكنها في حقيقيتها متداخلة ومتشابكة إلى حد بعيد، تقع على طرفي نقيض، وتتمثل فيما يأتي [٢٩] :

- السيناريو الأول ، هو سيناريو صراعي بالأساس، في حالة استمرار روحاني على نهج أحمدي نجاد. وفي ظل هذا السيناريو ستدخل إيران في مواجهة مع الدول العربية وليس الخليجية فقط.

- السيناريو الثاني: تعاوني وتوافقي، ومن خلاله سيكون هناك علاقات جيدة بين الطرفين عن طريق إيجاد حلول واقعية لكل المشاكل العالقة بينهما، كما حدث في عهد الرئيس الأسبق محمد خاتمي. وفي ظل هذا السيناريو ستوقف طهران مساعداتها لكل الخلايا الإرهابية في الخليج، وتهدئة الأقلية الشيعية في البلدان الخليجية، مع محاولة الوصول إلى حل سلمي لقضية الجزر الإماراتية الثلاث عبر التحكيم الدولي أو أي حل آخر يرضي الطرفين، وإنهاء الأزمة السورية عبر وقف طهران دعمها لنظام الأسد.

وفي ظل هذا السيناريو سيحدث تبادل تجاري واقتصادي واستثماري بين بلدان الخليج وطهران ؛ مما سيؤدي إلى معالجة المشكلة الاقتصادية الإيرانية، وربما ستقوم دول الخليج بمحاولة رفع العقوبات الاقتصادية عن طهران إذا استطاعت أن تقدم المزيد من التنازلات في برنامجها النووي.

- أما السيناريو الثالث ، فهو وسطي يقع بين السيناريوهين السابقين، فقد يكون تعاونيًّا تارة وصراعيًّا تارة أخرى. وفي ظل هذا السيناريو ستكون العلاقة بينهما قائمة على الشك والريبة، وتميل إلى التهدئة في أغلب الأحيان.

الخاتمة

ثلاث قضايا رئيسة وضعت مجلس التعاون لدول الخليج العربية على المحك في مسألة استمراره من عدمه ، وهي قضية العلاقات البينية ، وقضية الاصلاح ، والعلاقات مع الجمهورية الاسلامية الايرانية ، والملاحظ أن كل قضية من هذه القضايا ساهمت بشكل او باخر بطرح اشكالية الاستمرار والتغيير فالعلاقات البينية تتسم بعدم التصالح وبالكثير من الخلافات التي عرقلت عمل المجلس وهاجس الشك من الاخر هي الحالة الطبيعية في تلك العلاقات البينية ، وهو ما بدا واضحا في العلاقات بين دولٍ خليجية وقطر وهو ما أدى الى طرح مستقبل المجلس على طاولة النقاش ، ثم أن مسألة الاصلاح هي الاخرى ادت دوراً مؤثرا على مستقبل المجلس لتباين دوله في التعاطي مع مسألة الاصلاح ، ومن ثم كيف أدت ضروراته الى التباين والاختلاف بين دول المجلس في الطريقة الامثل للوصول إلى اصلاحٍ يرضي الداخل والخارج على حدٍ سواء . واخيرا نرى استنادا الى البحث أن العلاقات مع ايران هي الاخرى اثرت على مجلس التعاون الخليجي في استمراره وضرورات تغيره .

هذه القضايا بمجملها أثرت في استقراء مستقبل مجلس التعاون الخليجي ، ونرى بأن المستقبل سيتراوح بين الجمود /عدم الفاعلية ، وانهيار المجلس ، واستنادا الى معطيات داخلية واقليمية ودولية نرى ان الجمود وعدم الفاعلية سيكون مصير المجلس استنادا الى الرغبة في بقائه أكثر من الرغبة في انهياره بالرغم من عدم

الفاعلية التي ستكون السمة الغالبة على ادائه في المحيط الاقليمي .

المراجع

الكتب

أحمد الباز ، الثورة والحرب : تشكيل العلاقات الإيرانية الخليجية ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٨.

احمد أمين عبد العال ، العلاقات القطرية – الايرانية : هل يتفكك مجلس التعاون الخليجي ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية ، الاقتصادية والسياسية ، برلين ، ١٤ اب / اغسطس ٢٠١٨ .

باقر سلمان النجار ، الديمقراطية العصية في الخليج العربي ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠١٧ .

تاج الدين جعفر الطائي ، إستراتيجية إيران اتجاه دول الخليج العربي ، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠١٣.

رضي الموسوي ، مجلس التعاون الخليجي : بين الهاجس الأمني وضرورات الإصلاح السياسي ، البيت الخليجي للدراسات والنشر ، لندن ، ١٩ كانون الاول / ديسمبر ٢٠١٩ .

سبنزيا بيانكو ، العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي : السيادة بين التعاون والمنافسة ، منتدى الشرق ، جنيف ، ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٨ .

عبد الله العمادي ، قطر والانسحاب من مجلس التعاون : بين الرغبة الشعبية والقرار السياسي ، الجزيرة ، الدوحة ، ١٢/٥ ، ٢٠١٨.

عرفات علي جرغون ، العلاقات الايرانية الخليجية : الصراع .. الانفراج .. التوتر ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٦ .

علي صلاح ، التداعيات الاقتصادية لقطع العلاقات الخليجية – القطرية ، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، الامارات العربية المتحدة ، الثلاثاء ٦ حزيران / يونيو ، ٢٠١٧ .

لوري بلوتكين بوغارت ، الاصلاح والأمن في السعودية من وجهة نظر الخليج ، (تحليل السياسات) ، معهد واشنطن ، ١٩ حزيران / يونيو ٢٠١٨ .

محمد السيد سعيد ، مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج ، ٢٠٠٦ .

محمد بحري عيد ، مستقبل العلاقات الخليجية – الايرانية بعد الاتفاق النووي ، مركز الجزيرة للدراسات ، الدوحة ، الخميس ٨ تشرين الاول ٢٠١٥ .

ممدوح بريك محمد الجازي ، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة ٢٠٠٣ – ٢٠١١ ، الاكاديميون للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ٢٠١٤.

يسري العزباوي ، من الجفاء إلى التهدئة سيناريوهات متقلبة للعلاقات الخليجية الإيرانية ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، القاهرة ، الاحد ٢٩ كانون الاول / ديسمبر ٢٠١٣.

الصحف

طراد بن سعيد العمري ، إيران ودول الخليج .. ماذا بعد ، جريدة العرب (اللندنية) ، الخميس ٢٠١٦/١/٢١

هدى رؤوف ، معضلة ايران في منطقة الخليج ، اندبندنت عربية ، الجمعة ٩ اب / اغسطس ٢٠١٩ .

الانترنت

١- أمن الخليج بين رؤية إيرانية وتصورات عربية وتحالفات دولية ، نقلاً عن الرابط

https://www.swissinfo.ch/ara/%D٨٦-%D٩%٨٥%D٩%A٣/%D٨A%D٨%

٢-اوريان ٢١ : قطر : مقاومة دول الحصار اتت اكلها ، نقلا عن الرابط https://www.٢٠١٩/aljazeera.net/news/politics/٥/١٢/%D٨%B١-%D٨%B٧%D٨%٨٢%D٩%-%D٨%B١-%D٨%A٧%D٨%B٥%AD%D٨%D٨%AF%D٨%٨٨%D٩%B٩%D٨%B٣%D٨%A٩%٨A%D٨%D٩

٣- مجلس التعاون الخليجي على المحك : كيف سيمر عامه الـ ٣٦ ؟ ، الخليج اون لاين ، نقلا عن الرابط ،

https://alkhaleejonline.net/%D٨%A٧%D٨%B٣%D٨%A٧%٨A%D٨%D٩%B٣%

الهوامش

١- سبنزيا بيانكو ، العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي : السيادة بين التعاون والمنافسة ، منتدى الشرق ، جنيف ، ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٨ ، ص ١ .

٢- احمد أمين عبد العال ، العلاقات القطرية – الايرانية : هل يتفكك مجلس التعاون الخليجي ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية ، الاقتصادية والسياسية ، برلين ، ١٤ اب / اغسطس ٢٠١٨ .

٣- سبنزيا بيانكو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢ .

٤- علي صلاح ، التداعيات الاقتصادية لقطع العلاقات الخليجية – القطرية ، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، الامارات العربية المتحدة ، الثلاثاء ٦ حزيران / يونيو ، ٢٠١٧ .

٥- اوريان ٢١ : قطر : مقاومة دول الحصار اتت اكلها ، نقلا عن الرابط

https://www.aljazeera.net/news/politics/٢٠١٩/٥/١٢/%D٨%B١-%D٨%B٧%D٨%٨٢%D٩%-%D٨%B١-%D٨%A٧%D٨%B٥%AD%D٨%D٨%AF%D٨%٨٨%D٩%B٩%D٨%B٣%D٨%A٩%٨A%D٨%٩

٦- موقع اوريان الفرنس ، نقلا عن

https://www.aljazeera.net/news/politics/٢٠١٩/٥/١٢/%D٨%B١-%D٨%B٧%D٨%٨٢%D٩%-%D٨%B١-%D٨%A٧%D٨%B٥%AD%D٨%D٨%AF%D٨%٨٨%D٩%B٩%D٨%B٣%D٨%A٩%٨A%D٨%٩

٧-سبنزيا بيانكو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣ .

٨- عبد الله العمادي ، قطر والانسحاب من مجلس التعاون : بين الرغبة الشعبية والقرار السياسي ، الجزيرة ، الدوحة ، ١٢/٥ ، ٢٠١٨

٩- مجلس التعاون الخليجي على المحك : كيف سيمر عامه الـ ٣٦ ؟ ، الخليج اون لاين ، نقلا عن الرابط ،

٨%D٩%B٣%https://alkhaleejonline.net/%D٨
A%D٨%B٣%D٨%A٧%A%D٨

١٠- ممـــدوح بريك محمد الجـــازي ، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياســـة الأمريكيـــة تجـــاه المنطقـــة ٢٠٠٣ – ٢٠١١ ، الاكاديميون للنشـــر والتوزيـــع ، عمان – الاردن ، ٢٠١٤ ، ص ص ٦٩ –٧٠ .

١١- تبلور الاعلان في اذار / مارس ١٩٩١ وضم كلاً من مصر وســـوريا فضلاً عن دول مجلس التعاون الخليجي ، عارضت ايران مشـــاركة دول عربية من خارج الخليج في ترتيبات أمن الخليج .

ينظر محمد الســـيد سعيد ، مســـتقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج ، ٢٠٠٦ ، ص ١٢٩

١٢- لـــوري بلوتكيـــن بوغـــارت ، الاصـــلاح والأمن فـــي الســـعودية من وجهة نظر الخليـــج ، (تحليل السياسات) ، معهد واشنطن ، ١٩ حزيران / يونيو ٢٠١٨ .

١٣- باقر ســـلمان النجـــار ، الديمقراطيـــة العصية في الخليـــج العربي ، دار الســـاقي ، بيروت ، ٢٠١٧ ، ص ٦٢ .

١٤- رضي الموســـوي ، مجلس التعاون الخليجي : بين الهاجس الأمني وضرورات الإصلاح السياســـي ، البيت الخليجي للدراسات والنشر ، لندن ، ١٩ كانون الاول / ديسمبر ٢٠١٩ .

١٥- أمـــن الخليـــج بين رؤية إيرانيـــة وتصورات عربية وتحالفات دولية ، نقلاً عن الرابط

https://www.swissinfo.ch/
A%D٨%-٨٦%D٩%٨٥%D٩%A٣%ara/%D٨

١٦- المصدر نفسه .

١٧- المصدر نفسه .

١٨- محمد بحري عيد ، مســـتقبل العلاقات الخليجية – الايرانية بعد الاتفاق النووي ، مركز الجزيرة للدراسات ، الدوحة ، الخميس ٨ تشرين الاول ٢٠١٥ .

١٩- تاج الدين جعفر الطائي ، إســـتراتيجية إيران اتجاه دول الخليج العربي ، دار مؤسســـة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠١٣ ، ص ١٦٥ .

٢٠- تـــاج الدين جعفر الطائي ، مصدر ســـبق ذكره ، ص ١٦٢ .

٢١- احمد أمين عبد العال ، مصدر سبق ذكره

٢٢- هـــدى رؤوف ، معضلة ايران في منطقة الخليج ، اندبندنت عربية ، الجمعة ٩ اب / اغسطس ٢٠١٩ .

٢٣- هدى رؤوف ، مصدر سبق ذكره .

٢٤- طراد بن ســـعيد العمري ، إيـــران ودول الخليج .. ماذا بعـــد ، جريدة العرب (اللندنيـــة) ، الخميس ٢٠١٦/١/٢١

٢٥- احمد أمين عبد العال ، مصدر سبق ذكره

٢٦- احمـــد أمين عبد العال ، مصدر ســـبق ذكره ٢٧- عرفـــات علي جرغون ، العلاقات الايرانية الخليجية : الصـــراع .. الانفراج .. التوتر ، العربي للنشـــر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ص ١٦١ .

٢٨- أحمـــد الباز ، الثورة والحرب : تشـــكيل العلاقات الإيرانية الخليجية ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٨ ،ص ص ١٣٣ –١٣٤ .

٢٩- يسري العزباوي ، من الجفاء إلى التهدئة سيناريوهات متقلبة للعلاقات الخليجية الإيرانية ، المركز العربي للبحوث والدراســـات ، القاهـــرة ، الاحد ٢٩ كانون الاول / ديسمبر ٢٠١٣.

الكويت و"الربيع العربي": الأزمة والمعالجات

أ.د. مفيد الزيدي (*)

المقدمة

فوجئت دول مجلس التعاون الخليجي بالإحتجاجات الشعبية التي برزت في عدد من الدول العربية عام ٢٠١١،والتي أحدثت تحولات مهمة في البيئة السياسية للمنطقة،ودفعت الأطراف الإقليمية والدولية،لإعادة صياغة توجهاتها السياسية في التعامل مع الأوضاع المستجدة.وتباينت مواقف دول المجلس تجاه "الربيع العربي". ففي حين أيّدت قطر تلك الإحتجاجات،وساندتها سياسياً،وإعلاميا،ومالياً،وتمتعت بعلاقات قوية مع الأنظمة الجديدة التي تولت الحكم في تلك الدول العربية.أتخذت سلطنة عمان،موقفاً محايداً إزاء الأحداث،وعملت سريعاً على إحتواء الإحتجاجات التي شهدتها البلاد عام٢٠١١.فيما كانت مواقف بقية دول مجلس التعاون(السعودية،الكويت،دولة الإمارات،والبحرين) متباينة من أحداث "الربيع العربي"،وفي السنوات الاخيرة رافضة لها عندما أدركت مقدار التهديد الذي قد تتعرض له مع وصول القوى الإسلاموية إلى الحكم في المنطقة. وتعتبر الكويت صاحبت التجربة البرلمانية الفريدة في دول مجلس التعاون الخليجي في ظل التجربة السياسية والحياة الديمقراطية منذ الإستقلال في ستينيات القرن العشرين،بالرغم مما عرفته من نجاحات، وإخفاقات في تجارب أكثر من مجلس أمة،ومواجهات عدة مع الحكومات الكويتية المتعاقبة،التي أدت في نهاية المطاف إلى تدخل السلطات الحاكمة،أوحل مجلس الأمة،أو إستقالة الحكومة جراء المواجهة مع المعارضة في البرلمان.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إنه يعالج بالسرد،والتحليل،والإستنتاج كيف واجهت الكويت رياح «الربيع العربي»،التي عصف ببعض الدول العربية بعد عام ٢٠١١ لعوامل بنيوية موروثة تجسدت في فشل الدولة الوطنية،وشهدت الكويت في عاميّ٢٠١١و٢٠١٢ أحداثاً مقلقةً بين المعارضة،والقوى الشبابية من جهة،والحكومة

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد

والبرلمان من جهة أخرى،كادت تعصف بأستقرار البلاد وأمنها.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث في التعرف على مسببات،وعوامل ظهور التوتر بين الحكومة الكويتية،والقوى السياسية،والمعارضة.ثم محاولة طرح تساؤلات حول أسباب ظهور الإحتجاجات الشبابية منذ عام ٢٠٠٩،وكيف تم التنسيق بين هؤلاء الشباب مع القوى المعارضة،والنخب الإجتماعية.والتعرف عن الأسباب المباشرة،وغير المباشرة التي دفعت إلى ظهور هذه الإحتجاجات،والتي عرفت بالأدبيات السياسية الغربية "بالربيع الكويتي" عاميّ٢٠١١و٢٠١٢،وكيف إستطاع أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أن يحتوي بحكمة،وخبرة زخم الحراك الشعبي في البلاد.

فرضية البحث:

تناول البحث فرضية علمية،وموضوعية يسعى إلى أن يثبت صدقيتها،وهي أن الخلل البنيوي في العلاقات بين الحكومة ،والقوى والنخب الاجتماعية،أدى الى ظهور الإحتجاجات الشعبية التي وصف بأنها بمثابة»الربيع الكويتي»،إلى أن إستطاع صانع القرار في معالجة الأزمة.

منهجية البحث:

تعتمد الدراسات العلمية الرصينة على فكرة تعدد المنهجيات البحثية التي تسهم في تقديم رؤية متكاملة لكي يصل البحث إلى المستوى العلمي،والأكاديمي الرصين.

وتم الإعتماد في هذا البحث على(المنهج التاريخي) في متابعة،ودراسة،وتحليل نشأة الكويت،وتحولها من الإمارة القبلية إلى الدولة الحديثة في القرن العشرين،فضلاً عن إستخدام(المنهج الوصفي) في وصف الأزمة وأسبابها،وتطوراتها،و(المنهج الإستشرافي)،بهدف الوصول إلى رؤى مستقبلية،وإستنتاجات ممكن الإستفادة منها جراء هذه الأزمة .

هيكلية البحث:

يتناول البحث في عدة أقسام ومباحث ضمن الاطار النظري،إلى جانب المقدمة،والخاتمة. في المبحث الأول، يتحدث عن تولي الأمير الشيخ صباح الأحمد الحكم في الكويت عام ٢٠٠٦،والمبحث الثاني يتناول الإحتجاجات الشبابية منذ عام ٢٠٠٩التي كانت بواكير الأزمة التي وصلت إلى الذروة عام ٢٠١١. ويشير المبحث الثالث إلى أحداث"الربيع العربي"،وماهي إرهاصات هذه الإحتجاجات،وتأثيرها على الواقع السياسي الكويتي.وفي المبحث الرابع،يتحدث عن الأزمة،والمعالجات السياسية في عاميّ ٢٠١٢,٢٠١٣.

الدراسات السابقة:

أعتمد البحث على عدد من الدراسات العربية،والأجنبية المتخصصة بالشأن الكويتي المعاصر،ومن أبرزها:مريم جويس،الكويت،١٩٤٥-١٩٩٦،كارين لحود ططر،الاسلام السياسي في الكويت،توبي ماثيسن،الخليج الطائفي والربيع العربي الذي لم يحدث، Jill Crystal, Oil and Political

in the Gulf: Rulers and Merchant in Kuwait and Qatar, J.E .Peterson ,"The Nature of Succession in the Gulf, Kristin Kausch,"The Promise .of Middle Eastern Swing State

أولاً:إستقلال الكويت وتطورها السياسي

١-الكويت: مرحلة الإستقلال ومابعدها

كـان إسـتقلال دولة الكويت فـي ١٩حزيران ١٩٦١،حين تبادل الشيخ عبدالله السالم الصباح مذكرتين مـع المقيـم السياسـي البريطاني في الخليج العربي السير ويليام لوس،تضمنتا إلغاء معاهـدة بين البلديـن عـام١٨٩٩،وأن تستمر العلاقات على أسـاس الصداقة الوثيقة.وفي ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٣،أفتتح الشيخ عبد الله السالم (مجلـس الأمة) الكويتي،وقدّمـت الكويت طلباً لعضويـة جامعـة الـدول العربية،وعقد مجلس الجامعـة اجتماعـاً فـي ١٦ تمـوز ١٩٦١وتم قبولها فـي الجامعة،وفي ١٤ أيار ١٩٦٣ تمت الموافقة علـى إنضمام دولـة الكويت إلى هيئة الأمـم المتحـدة لتصبـح العضو رقـم (١١١) فيها(Peterson, ٢٠٠١, pp.٥٨٣)

(Long, ١٩٧٨, pp.٢٣-٢٤),(Berger, Hudson),(١٠-١٢.١٩٧٨d,pp .(١٨٤.p,١٩٩٥

وتعتبـر التجربـة البرلمانيـة فـي الكويـت الأقدم بيـن التجـارب الخليجية،فقد تـم تشكيل أول مجلـس نيابـي منتخـب فـي ٢٩ كانـون الثاني١٩٦٣،وحققـت كثيـراً مـن الانجازات علـى طريـق ارسـاء الحكـم الدسـتوري البرلماني،وتشكيـل المجالـس البلدية،والنيابية بالاقتراع المباشر.لكنها في واقع الحال لم تصل الى مرحلة النضج في بناء مؤسـسة ديمراطية ليبرالية حديثة.(Salih: ١٩٩١, pp.٥١-٥٧)

وشـهدت مرحلة السبعينيـات والثمانينيات من القرن الماضي ضغوطـاً داخليةً،وخارجيةً علـى الكويـت دفعـت إلـى إجـراء خطـوات إصلاحيـة ديمقراطية،ترافـق فـي مطلـع التسعينيـات مـع التأكيـد علـى دعـم الكويـت دوليـاً للسيـر فـي طريـق الديمقراطيـة بعـد حـرب التحريـر مـن الغـزو العراقـي عـام ١٩٩٠،والحفاظ على سـيادتها،وأمنها،وتلمس طريـق التحـول الديمقراطـي فـي علاقـة السلطـة مـع المعارضة،والبرلمان،ومـن أبرزهـا قيـام الأميـر الشيـخ جابـر باعطـاء المـرأة حـق التصويت،والانتخاب،والترشـح فـي عـام١٩٩٩ في إطـار دعـم الديمقراطية بقـرار أميـري(Yetiv:٢٠٠٢,pp.٢٥٩-٢٦٠)،والتأكيـد إن هـذا الحـق سـيطبق فـي إنتخابـات البرلمـان عـام ٢٠٠٣،وجـاء بعـد مطالبـات طويلة مـن التيـار الليبرالي في منح المـرأة حقوقهـا السياسـية الكاملة فـي مجلس الأمـة(Ghabra:١٩٩٤,pp.١٠٢-١٠٩) ((Ghabra: ١٩٩٦, pp. ٢٢٩- ٢٣١. وتعتقـد مـاري آن تيترولـت،إن حقيقـة الصـراع حـول حقوق المـرأة االسياسـية في الكويت،يعـود بالأسـاس إلى كونه جـزءاً من الصـراع علـى المصالـح الداخلية اكثـر مما هـو على أسـاس شـرعي إسـلامي،أو محافظ قبلـي،أي كسـب المقاعد،والأصوات،وغلبـة الـرأي المحافـظ داخـل مجلـس الأمة،علـى حسـاب الأصـوات الليبراليـة ذات صفـة الحداثـة(Tetreault,١٩٩٣,pp.٢٩٠-٢٩١)،ويظهـر إن حالـة الصـراع بيـن الحكومة،والليبراليين من جهة،والإسلاميين من

جهة أخرى، إذ بقي حول دخول المرأة إلى ميدان المشاركة السياسية بالتصويت،والترشح،والإنت خاب(Longva,١٩٩٣,pp.٤٤٣-٤٤٥).

إن الحالة التي شـهدتها الكويت بعد عام١٩٩١ مـن التوتـر بيـن الحكومة،والمعارضة،والتي كانـت تعبّر عـن طموحـات المعارضة عندما عـادت لبناء سياسـة جديـدة من أجـل ضمان امـن الكويـت فـي الداخل،وعلاقاتهـا فـي الخارج،والتأكيـد علـى أن الكويـت الدولـة الصغيـرة إلى جوار دول إقليميـة كبرى هي(ا لعراق،السعودية،وايران)،ولديهـا ثروة نفطية كبيرة،وتجربـة ديمقراطيـة رائدة،وتسعى إلى إتبـاع سياسـة خارجية أكثر إسـتقلاليةً.إلا أنها واجهت تحديـات داخلية،وخارجية وظلت تلك الأحداث قائمة حتى الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣،والتغيرات التي حصلت في المنطقة،إذ تنفسـت الكويت الصعداء لإعـادة بناء علاقاتها مـع حلفائها،وجيرانهـا(Tereault:٢٠٠٢, pp.٦٧-٧٧).ويـرى روجر أوين،إن الضغوط على الكويت لإعادة العمل الديمقراطي لم يحقق إصلاحـاً حقيقياً،مع بقـاء المنافسة التقليدية بين الموالين للحكومة،وقـوى المعارضة،والتـي تجسدت في الإنتخابات البرلمانية التي حصلت في الأعـوام ١٩٩٢-٢oo٣(Owen:١٩٩٢, pp.٢٣٩-٢٤٠).

وفـي ١٥كانون الثانـي ٢٠٠٦،توفي الأمير الشيخ جابـر الأحمد،وكانت حقبة حكمه طويلة عرفت فيها البلاد أحداثاً صعبةً داخليةً،وإقليميةً أنعكست على الكويت،وأعلـن مجلس الوزراء تزكيـة الشيـخ صبـاح الأحمـد الصبـاح فـي ٢٤كانون الثاني ٢٠٠٦،ليكـون أميراً للكويت بعد تنحية الشيخ سـعد العبـد الله السالم الصباح بتصويـت مـن مجلـس الأمـة بالإجمـاع بعد عشـرة أيام من المنـاداة به أميـراً للبلاد،وذلك لأسـباب صحّية، (Cryśtal: ١٩٩٠,pp.٢٤-٢٨),,(جويس:٢٠٠١،ص١٧٧).

٢-العهد الكويتي الجديد

أعلـن مجلـس الـوزراء الكويتـي «تزكيـة» الشيـخ صبـاح الأحمد الصباح فـي ٢٤ كانون الثانـي ٢٠٠٦ ليكون(أميراً للكويت) بتصويت مـن مجلـس الأمـة بالأجماع،وتولـي مقاليـد السلطة،وقيامه بعد ذلك بجولة خارجية في دول مجلس التعـاون الخليجي،ودولاً أجنبية لتطوير علاقات بلاده الخارجية،وبدأت إنتخابات مجلس الأمة في الفصـل التشريعي الحادي عشرة،بعد أن قـام الأميـر بحـل مجلس الأمة فـي الفصل العاشـر بحسـب صلاحياته في المـادة (١٠٧) من الدستور،وألقى خطاباً هاماً في إفتتاح دورة الفصـل الحادي عشـرة لمجلس الأمـة في١٢ تمـوز ٢٠٠٦،قـال فيه:" إننـا أقويـاء بثوابتنا المبدئية،ووحدتنا الوطنية،وخيارنا الديمقراطي المتجذر،ودستورنا هو الحكم الفيصل فيما نتفق عليـه ونختلف".وقَـرّر الشيخ صبـاح في ٢٣ تموز منـه منح كل مواطـن كويتي مبلغ(٢٠٠ دينـار كويتي) لتخفيف أعباء المعيشة عليه،وتم صرفهـا في ١٣ أيلول مـن العام نفسه،وأصدر في ٧ شـباط ٢٠٠٧ أمـراً أميرياً بتزكية الشيخ نـواف الأحمـد الجابر الصبـاح (لولاية العهد) ضمن أحكام قانون توارث الإمارة،وأدى اليمين الدسـتوري أمام أميـر البلاد،وقام مجلس الأمة بمبايعة ولـي العهد بالأجماع في جلسة خاصة. (تقرير عـن أهم الاحداث المحليـة التي جرت عام ٢٠٠٦:٢٢/١٢/٢٠٠٦).

وتم تكليف الشيخ ناصر الحمد الأحمد الصباح رئيساً لمجلس الوزراء،وتشكيل أعضاء المجلس،وأصدر الأمير المرسوم رقم (٧) لسنة ٢٠٠٦ في ٩ شباط بتشكيل الوزارة،وهي تعتبر الوزارة رقم (٢٢) في تاريخ الكويت،وضمت ١٥ وزيراً مع ٣ نواب للرئيس،فضلاً عن ذلك صدر في١١شباط المرسوم رقم (٨) لسنة ٢٠٠٦،وقضى بتعيين الشيخ ناصر (نجل الأمير) وزيراً لشؤون الديوان الأميري (تقرير عن أهم الاحداث المحلية التي جرت عام ٢٠٠ ٢٠٠٦/١٢/٦:٢٢).

وفي الإتجاه التشريعي،تمت مناقشة مشروع قانون إعادة تحديد الدوائر الإنتخابية في ١٥ أيار لبيان عضوية مجلس الأمة.ولكنها لم تتوصل الى حلول نهائية،وفي ١٦ أيار وافق المجلس على إحالة مشروع القانون إلى المحكمة الدستورية بموافقة (٣٣عضواً) من أصل(٣٤عضواً)،وحضر رئيس الوزراء الشيخ ناصر الى مجلس الأمة.ولكن لم يتم التوصل إلى حلول،وعلى هذا الأساس تقدم عدد من النواب:وهم،أحمد السعدون،وأحمد المليفي،وفيصل المسلم بشكل رسمي في ١٧ أيار بطلب إستجواب رئيس مجلس الوزراء،وبعدها بأربعة أيام أصدر أمير البلاد مرسوماً بحل مجلس الأمة في ٢١ أيار نتيجة ماأشار إليه من حصول أضرار بالمصالح العليا للدولة.وفي اليوم نفسه تم تحديد موعد إنتخاب مجلس جديد في٢٩ حزيران،وتقدم(٢٤٩) مرشحاً للحصول على (٥٠) مقعداً برلمانياً في المجلس من خلال (٢٥) دائرةً إنتخابيةً،ولأول مرة شاركت المرأة الكويتية مرشحة،وعضوة،تقدمت (٢٧) امرأةً بالفعل.ولكنهن جميعاً لم يفزن بأي مقعد في هذا المجلس.(Herb, ٢١١١١.)

وكان قانون الصوت الواحد محل خلاف بين الحكومة،والمعارضة،والإصلاحيين.ففي إنتخابات مجلس الأمة في أيار٢٠٠٦،حاول التيار الإصلاحي في المعارضة البرلمانية خفض عدد الدوائر الانتخابية من (٢٥) إلى ٥ دوائر).في حين أوصت الحكومة إلى خفضها إلى(١٠ دوائر)،وأدى ذلك إلى خلاف مع الأمير الشيخ صباح وحل مجلس الأمة،وفي تموز ٢٠٠٦وقد مرّر قانون الإنتخابات الجديد بسهولة في المجلس،وحظي بموافقة الأمير،وتم تخفيض الدوائر من(٢٥) إلى(٥ دوائر)،والإبقاء على(٥٠ مقعداً)العدد كلي للمقاعد في المجلس،وإعتماد نظام الأصوات الأربعة لكل شخص.وأدى هذا النظام في التصويت إلى أن يكون في مصلحة التحالف الإسلامي-القبلي في المعارضة الجديدة،نتيجة الزخم الذي يحصل عليه المرشح القبلي من تأييد القبيلة له نتيجة التزكية التي يحصل عليها،بل أن القبائل إستفادة من ذلك النظام في إقامة إنتخابات فرعية تمهيدية لكي تختار مسبّقاً مرشحيها،والتنسيق مع القبائل الأخرى من أجل التكامل بين الدوائر،واللوائح الإنتخابية كما سبق أن أشرنا إلى ذلك (العتيقي: ٢٠١٣/٩/١٢).

وبرزت في هذه المرحلة من العمل البرلماني،والحياة الديمقراطية في الكويت،ظاهرة التغيير في الفئات،والقوى الإجتماعية،والسياسية،مع المواجهة المستمرة بين الحكومة من جهة،ومجلس الأمة والمعارضة من جهة أخرى،وظهور تحالفات

بين السلطة،والقوى الإجتماعية،وبروز القبائل للواجهة بقوة عبّرت عن مطالب سياسية، فضلاً عن قيادات إجتماعية،وسياسية تحولت نتيجة قربها من (القبائل) في أن تكون أقرب للمعارضة،وبعض منها قيادات جديدة في صفوف المعارضة بعيداً عما عُرف فيما سبق من الدعم القبلي للسلطة.(لمستجدات السياسية في دولة الكويت٢٠١٦:٢٠٠٣). Khalaf:٢٠٠٨,pp.٤٠-٤٧)).وكانت التغيرات الاجتماعية لها أثرها في الحراك السياسي في الكويت،بسبب كون حضور المعارضة الكويتية حالة قديمة،إذ شهد مجلس الأمة تقديم (٣٥) استجواباً ضد الحكومة منذ عام ١٩٦٢.ولكنها تحولت إلى حراك شعبي مع حالة عدم التفاهم بين الحكومة،ومجلس الأمة في المشهد السياسي،والديمقراطي في ظل توجيه إنتقادات إلى الحكومات المتعاقبة بأنها تتبنى المحاصصة القبلية،والطائفية،والأُسرية بدون اللجوء إلى حكومة التكنوقراط المهنية،وغياب لظاهرة الأَحزاب السياسية.وشهدت الكويت منذ عام ٢٠٠٦ حالة عدم الاستقرار السياسي،وحَل مجلس الأمة أكثر من مرة بسبب المواجهة بين السلطة،ومجلس الأمة،والمعارضة(القبلية والإسلامية)،وبروز ظاهرة جديدة هي إستجواب رئيس مجلس الوزراء.وجاءت انتخابات حزيران ٢٠٠٦ على أساس الأختلاف بين قوتين في مجلس الأمة،وهي (غالبية) تريد تغيير حجم الدوائر الانتخابية إلى حجم أكبر،تعتقد إنه يخلص المجتمع من مشكلات الدوائر الصغيرة التي يمكن للتدخلات المالية،والإجتماعية ان تؤثر على نتائج الانتخابات.و(أقلية) تعتقد إن الحال يجب أن يبقى على ماهو عليه(الرميحي، ٢٠١٠،ص٧٨) Al-Naser:٢٠٠١,٦٦-٦-١٤)).

وجرت الإنتخابات البرلمانية في ٢٧ أيار ٢٠٠٨،والتي أسفرت عن نجاح الإسلاميين السلفيين،وهزيمة الحركة الدستورية الإسلامية (حدس) التي تعتبر حركة معتدلة،وتمثل جماعة الأخوان المسلمين مع تراجع مكانة التيار الإسلامي نتيجة التصويت على أساس الإنتماء القبلي،والطائفي،وإستمرار حالة التوتر بين القوى السلفية الإسلامية بشكل خاص،والحكومة في داخل مجلس الأمة.الا أن الإنتخابات كانت تشكل تحولاً إيجابياً من خلال اقتراع المرأة.والجدير بالإشارة إلى أن الموقف الأمريكي منذ تحرير الكويت عام١٩٩١،قد ربط أي أمن،وأستقرار للكويت بإعادة إحياء الحياة البرلمانية،والإنتخابات،واستمرار دعم الاصلاح السياسي في البلاد العربية.إلا أن الأزمات الاقليمية أدت بواشنطن إلى التوجه نحو دعم الدول المستقرة (مثل الكويت)،والتي كانت تواجه أزمة سياسية بحاجة إلى الدعم الدولي.

The rise of pragmatic Islamism) in Kuwait›s post-Arab spring opposition movement: August ٢٠١٥) (بروان: ١١حزيران/يونيو (٢٠٠٩ ينظر عن مجلس الأمة للمدة بين((٣٢٠٠-٢٠١٣ الجدول رقم(١) أدناه.

الجدول رقم (١)

واقع مجلس الأمة بين٢٠٠٣-٢٠١٣))

التاريخ	انتهاء الدورة
٢٠٠٣	تم انتهاء الدورة
٢٠٠٦	تم حل المجلس
٢٠٠٨	تم حل المجلس
٢٠٠٩	تم حل المجلس
٢٠١١	تم حل المجلس
٢٠١٢	تم حل المجلس
٢٠١٣	انتخابات المجلس الاخير

وأصدر في عام ٢٠٠٩،الأمير الشيخ صباح مرسوماً بحل مجلس الأمة بعد ثلاثة أشهر من إعادته بقرار من المحكمة الدستورية،بعد أيام من دعوة الأمير إلى حل برلمان عام ٢٠٠٩،لتعذر إمكانية عقد جلسات مجلس الأمة بسبب عدم إكتمال النصاب،وكانت أعلى محكمة في الكويت قد حَلّت مجلس الأمة الذي كانت تهيمن عليه المعارضة،ويأتي حل المجلس بعد أيام من رفض المحكمة الدستورية محاولة من الحكومة لتغيير حدود الدوائر الانتخابية في الكويت وأنتخب في شباط ٢٠٠٩،وإعادة المحكمة الحكم في حزيران من العام نفسه. ولكن المجلس لم يجتمع بسبب مقاطعة المعارضة،وهذا مهّد الطريق لثاني إنتخابات برلمانية خلال عام ٢٠٠٩ (بروان:١١حزيران /يونيو ٢٠٠٩).Alawadi: ٢٠١٦)).ولم يكن ينظر في المشهد الديمقراطي قبل عام ٢٠٠٩،إلى التيار الإسلامي على إنه قوة معارضة حقيقية للحكومة.ولكن الحال تغير في موقف جماعة الأخوان المسلمين،و(الحركة الدستورية الإسلامية/حدس) في مواجهة رئيس الوزراء الشيخ ناصر(يعرف بأنه ليبرالي الاتجاه وله خبرة دبلوماسية)،وإتهامه بالفساد منذ توليه منصب رئيس الوزراء أول مرة في شباط٢٠٠٦،والذي إستقال عدة مرات،وتم حل مجلس الأمة في ٢١أيار٢٠٠٦،وحل المجلس أيضا في ١٩آذار٢٠٠٨،وحل المجلس في ١٨آذار٢٠٠٩،بسبب المواجهة بين الحكومة،والمعارضة في مجلس الأمة،وكثرة الاستجوابات المقدمة ضد رئيس الوزراءنوالتي تحرج السلطة والحكومة معا.ولكن في كل مرة يتم إعادة تكليفه من جديد،ويظهر بوضوح انه عندما كان مجلس الأمة يقدم طلباً لاستجواب رئيس الوزراء،يقوم أمير البلاد إلى حل المجلس ثلاثة مرات،واستقالة الحكومة سبعة مرات بهدف إفشال استجواب مجلس الأمة.وقد وقفت(الحركة الإسلامية الدستورية/ حدس)مع كتلة العمل الشعبي في المعارضة ضد رئيس الوزراء في كانون الأول٢٠١٠،وتحولت إلى مواجهة واحتجاجات،ثم استقال رئيس الوزراء في٢٩ تشرين الثاني٢٠١١،ووافق أخيرا أمير البلاد على قبولها لإنهاء هذه المواجهة،وليحل بديلاً عنه الشيخ جابر المبارك الحمد الصباح(كريم: ٢٠١١/١١/١٥).

ثالثاً:الكويت و»الربيع العربي»

تأثرت عدد من دول مجلس التعاون الخليجي «بالربيع العربي»،والحركات الاحتجاجية ومنها الكويت،والتخوف من المشاركة الشعبية في هذه الإحتجاجات،ومن ثم انقسام

المجتمع على أساس مذهبي،أو قومي،أو فئوي(الزيدي:٢٠١٦،ص٢٦-٣٤).لقد كانت التظاهرات،والاحتجاجات الشعبية ضد رئيس الوزراء الكويتي منذ عام٢٠٠٩ قد منحها "الربيع العربي" دفعاً داعماً،وصفتها السلطة بأنها حركة احتجاجية(قبلية) على(سكان الحضر) في حين ظهرت الحركة الشبابية تدعو في مجمل طروحاتها إلى تسريع التغيير السياسي،والتحول إلى نظام ملكي دستوري،وتنازل الأسرة الحاكمة عن سلطتها السياسية،وأطلق عليها تسمية(الحركة البرتقالية) بسبب الأعلام والفانيلات البرتقالية اللون التي لبسها ورفعها المحتجون الكويتيون في عاميّ٢٠١١-٢٠١٢،وكانت أبرز طروحاتهم التي قدّموها هي(ماثيسن، ٢٠١٤،ص١٣٢-١٣٤).

-منح المرأة حق التصويت.

-خفض عدد الدوائر الانتخابية من٢٥ إلى٥ دوائر.

-الحد من التلاعب في الانتخابات البرلمانية.

وبالرغم من تعيين رئيس وزراء جديد بعد الأزمة،هو الشيخ جابر المبارك الصباح،وكانت الخطوة هذه بأرقة أمل للتفاوض مع المعارضة بقيادة مسلم البراك،والحراك الشبابي التي عرضت مطالب لعل من أبرزها،فكرة الحكومة البرلمانية،والحصول على نصف مقاعد مجلس الوزراء.ولكن لم يتحقق التفاهم والتوافق بين الحكومة والمعارضة بالرغم من هدوء الأوضاع في البلاد،وتجنبت الكويت شبح الفوضى باسم "الربيع العربي Khalaf :٢٠٠٨,pp,٤٠-٧٠).

إن حالة الكويت في مواجهة "الربيع العربي"،والحركة البرتقالية أختلفت عن حالات مماثلة من الاحتجاجات والتظاهرات التي حصلت في(البحرين،السعودية،وسلطنة عُمان) في تلك المرحلة في لغة الصراع الطائفي التي كانت في الكويت الأقل شدةً وخطورةً،بالرغم من مواجهة السلطة لقوى المعارضة السياسية في الداخل،وحتى مع "البدون"،والصراع في جولات الانتخابات البرلمانية.بالرغم من ذلك تبقى التجربة الديمقراطية في الكويت الأنموذج على الصعيد الخليجي.

وقرّرت الحركة الإحتجاجية الشبابية في تشرين الأول ٢٠٠٩ التجمع والسير نحو هدف أساس هو اسقاط حكومة رئيس الوزراء تحت شعار "أرحل"،ومن جانب آخر وصلت المواجهة بين الحكومة،ومجلس الأمة وما يعرف "ديوان الحريش" في ٨ كانون الأول٢٠١٠،إلى حدوث إشتباكات بين قوى الأمن مع نواب،ومواطنين في ندوة سياسية في منزل النائب جمعان الحريش من(الحركة الدستورية الإسلامية)،وتحولت إلى إحتجاجات مطالبة بإسقاط الحكومة،ودعم تقديم إستجواب رئيس مجلس الوزراء،وتقديم كتاب طلب عدم التعاون مع الحكومة.ولكن الأخيرة تجاوزت الإستجواب بأغلبية(٢٦) نائباً،مقابل (٢٢) نائباً لصالح عدم التعاون (لمستجدات السياسية في دولة الكويت٢٠١٦:٢٠٠٣) (alzaidi,٢٠١٥,pp.٥٥٣-٥٦٥)

وشهدت الكويت مطلع عام ٢٠١١،أزمة سياسية بين الحكومة،ومجلس الأمة تحولت بفعل "الربيع العربي" إلى الشارع،قادها نواب المعارضة في مسيرات إحتجاجية ضمت أكثر

من(١٥) ألف شخص للمطالبة بتنحية رئيس الوزراء الشيخ ناصر،الذي شَكّل ست حكومات للأعوام بين(٢٠٠٦-٢٠١١)،وظهرت في هذه المرحلة قضية (الايداعات المليونية)،التي أشارت الى تضخم حسابات نواب عُرفوا بمواقفهم في دعم الحكومة،مما زاد من الضغوط على الحكومة لصالح المعارضة،والتي أتهمت الحكومة بالرشوة لبعض النواب بهدف كسب مواقفهم الى جانبها،وقَدَّم وزير الخارجية الشيخ محمد الصباح سفير الكويت في الولايات المتحدة الأمريكية استقالته احتجاجاً على تحويل الكثير من الأموال من وزارته دون معرفتهِ. وقدّمت المعارضة استجواباً لرئيس الوزراء بشأن هذه الايداعات،وتم احالة الاستجواب الى المحكمة الدستورية،بدأت المعارضة في كتلة "إلا الدستور" بشكل خاص في طرح مطالب هي حماية الدستور والحريات الأساسية والوحدة الوطنية،ووقف ممارسة الضغوط على الاعلام،مع دعوات للإقالة الصريحة من النواب لرئيس الوزراء على أساس أن محاولات نواب المعارضة لتمرير اقتراحات لن يقبل بها رئيس الوزراء،والتي سوف تجبره على الاستقالة،وتصاعدت في حملات المعارضة من الناشطين،والسياسيين المعارضين، والشباب عبر وسائل التواصل الاجتماعي،ولاسيما باستخدام التويتر لحث المواطنين على التظاهرات الحاشدة أمام مجلس الأمة،وهدفها الأساس إيقاف عمل الحكومة ورئيس الوزراء (ديفيدسون:٢٠١٤،ص٣٧٢-٣٧٣).وعملت الحكومة على مواجهة هذا التصعيد بزيادة الانفاق العام على المواطنين،وقدّر حجم الانفاق(٤ مليار دولار) لمنع المواطنين من النزول للشارع والاحتجاج مع متابعة الحكومة للناشطين من خلال دعاوي قانونية للملاحقة. وأستمرت التظاهرات وتوجهت إلى مقر رئاسة الوزراء،واعترضتهم قوات الشرطة فتحولوا إلى مجلس الأمة،وأقتحموا المبنى لأول مرة في تاريخ الكويت،وتم حل المجلس والدعوة إلى انتخابات جديدة.وقد تشكلت مجموعة شبابية جديدة أطلق عليها تسمية(السور الخامس) إشارة الى الأسوار الأربعة للكويت،التي حمتها قديماً من الغزوات الخارجية،ودعت الى مناهضة رئيس الوزراء والمطالبة بادخال الاصلاحات السياسية،وكان هذا ايذاناً بالتحرك وتحول الشباب الى قوة ناعمة في المشهد السياسي الكويتي،وهم يشكلون الأكثرية من شبيبة جماعة الاخوان المسلمين،مع شباب القبائل الكبيرة.وفي حزيران ٢٠١١ أُلقي القبض على أشخاص باستخدام توتير أتهموا بـ"الاضرار بمصالح الدولة"،و"إهانة الاسرة الحاكمة(أحمد وآخرون: ٢٠١٢،ص٣٧٣-٣٧٤)،وأسس في العام نفسه عدد من الناشطين الشباب مجموعة سياسية عرفت بأسم(الحركة الديمقراطية المدنية)،التي طالبت بإقامة نظام ملكي دستوري،وتبنت قوى المعارضة،مثل جماعة الأخوان المسلمين،والسياسيين المستقلين مطالب هؤلاء الشباب،وكانت من أبرزها مايأتي:

تعيين رئيس وزراء منتخب.

تقنين الأحزاب السياسية.

اقامة نظام ملكي دستوري بشكل كامل. (ماثيسن: ٢٠١٤،ص١٣٤-١٣٥).

وجرت الانتخابات البرلمانية لاختيار مجلس الأمة الرابع عشر في عمر التجربة البرلمانية

الكويتية،وذلك في ٢ شباط٢٠١١،وكان عدد النواب الجدد فيه(٢٦)نائباً يُنتخبوا لأول مرة،نائبين من(الحضر)،و((٢٣نائباً من (القبائل)،وسيطرت قوى المعارضة،ولاسيما الإسلامية على المجلس الجديد،واستفادت من اجواء "الربيع العربي"،وأعتبر أكبر انتصار في تاريخ مجلس الأمة لصالح الإسلاميين،نتيجة الفوز المطلق بمقاعد هذا المجلس مع عوامل داخلية،كالرغبة الشعبية في التغيير البرلماني،وتكتل القوى الإسلامية المنظم لخوض الانتخابات،إذ حصدوا(٢٧ مقعدا) مع ظاهرة جديدة في هذه الانتخابات،تمثلت بصعود الشباب ضمن تحالفات ديمقراطية، وإسلامية،وقبلية،وخسارةالتيار الليبرالي،وغياب المرأة عن هذا المجلس،بعد ان كان لها في مجلس عام ٢٠٠٥(٤ مقاعد). وبالرغم من هذه الملاحظات،حقّق الكويتيون الاستمرار في طريق الديمقراطية،والحياة البرلمانية،وصيانة السلم الاهلي في ظل هبوب رياح "الربيع العربي" في عدد من العواصم العربية(عبد الجليل مرهون، "ديمقراطية الكويت الهادئة":٢٠١٢/٢/١٨). وفي افتتاح هذه المجلس،دعا الأمير الشيخ صباح الحكومة الجديدة،ومجلس الأمة الى التركيز على رعاية الشباب،وتوفير فرص العمل لهم،والمشاركة الفاعلة لهم في المجتمع،وأطلق الديوان الاميري(المشروع الوطني للشباب)تحت شعار"الكويت تسمع"،وتشكيل(مجلس الشباب الدائم)(نصر الدين وآخرون،٢٠١٥،ص٣٥٧-٣٥٨). وأكّد أمير البلاد انه سيستجيب للمصلحة الوطنية،وامتصاص الخطر الذي آلت اليه الأوضاع،وتمت الدعوة الى اجراء انتخابات برلمانية جديدة في شباط ٢٠١٢ على اساس مجيء حكومة،ورئيس وزراء جديد منتخب من بين مطالب قوى المعارضة(. ديفيدسون:٢٠١٤،ص٣٦٧-٣٧٧). وتفاقمت أزمة الاحتجاجات لاسيما مع دخول اعداد من المواطنين الى مجلس الأمة في١٦ تشرين الأول٢٠١١،وطالبت الاعتصامات بحل مجلس الأمة وتغيير رئيس الوزراء,واستاء الأمير الشيخ صباح،واطلق عليه(الاربعاء الأسود)،ووجهت النيابة العامة التهم الى سبعين شخصاً منهم نواب سابقين،ونواب حاليين في مجلس الأمة قادوا المظاهرات ضد الحكومة.ونتيجة هذه الضغوط صدر في٢٨ تشرين الثاني٢٠١١ امراً أميرياً بقبول استقالة رئيس الوزراء،وتم حل مجلس الأمة في٦ كانون الأول٢٠١١،والاعلان عن انتخابات برلمانية جديدة في٢ شباط ٢٠١٢،وهي أول مرة يتم فيها عزل رئيس وزراء تحت مطالب شعبية في تاريخ الكويت(لمستجدات السياسية في دولة الكويت٢٠١٦:٢٠٠٣). وفي مواجهة هذا الوضع المتأزم تم إتخاذ تدابير مالية،واقتصادية،فأصدر الأمير الشيخ صباح في شباط ٢٠١٢ قراراً بصرف منحة بمناسبة الذكرى الخمسين لإستقلال دولة الكويت،والذكرى العشرين لتحريرها،والذكرى الخامسة لتولي الأمير مقاليد الحكم،فضلاً عن صرف مواد غذائية مجانية حسب البطاقة التموينية(ديفيدسون، ٢٠١٤،ص- ٣٧٢-٣٧٧),(الزيدي،٢٠١٩،ص١٥٩). وأدت الاحتجاجات الشعبية بشكل أو بآخر في زيادة حجم الانفاق العام من قبل الدولة،وأرتفاع معدل النمو العام في الاقتصاد الكويتي.علما أنه لم تكن هناك دعوات واسعة لتغيير النظام

فـي ظل وجود مجلس الأمـة الذي يعتبر الحالة الوحيـدة فـي دول مجلـس التعـاون الخليجـي (Kausch:٢٠١٦)ينظـر طبيعـة التنظيمـات السياسية في الكويت الجدول رقم(٢)أدناه

الجدول رقم(٢)

التنظيمـات والقـوى السياسـية فـي العمل الديمقراطي بالكويت

التجمع الإسلامي السلفي	المنبر الديمقراطي
التحالف الإسلامي الوطني	التحالف الوطني الديمقراطي
ائتلاف التجمعات الوطنية	كتلة العمل الوطني
الحركةالدستورية الإسلامية/حدس	الحركة الدستورية الشعبية
كتلة العمل الشعبي	تجمع العدالة والسلام
تجمع الميثاق الوطني	تجمع الرسالة الإنسانية الوطني
حركة التوافق الوطني الإسلامية	الكتلة الإسلامية(مجلس الأمة)

وشارك عشرات الآلآف في مهرجان في(ساحة إرادة) أي (الإرادة الشعبية) مقابل مجلس الأمة في خيام وتجمعات،وألقى النائب مسلم البراك في خطاب ملتهب تحـدى السلطة والأمير علناً.في حين ألقـى الأمير الشيخ صباح خطاباً هاماً قال فيه:"لن نقبل بفوضى الشارع وشغب الغوغاءأن تشل حركة الحياة،والعمل في البلاد،ولن نسمح لبذور الفتنة بأن تنمو في أرضنا الطيبة.لن نقبل ثقافـة العنف،والفوضـى أن تنتشر بين صفوف شـعبنا المسالم.لـن نقبـل بتضليـل المخلصين بالأوهـام والافتراءات،ولـن نقبـل باختطـاف ارادة الأمـة بالأصـوات الجوفـاء والبطولات الزائفة"(ماثيسـن، ٢٠١٤،ص١٣٨-١٣٩). وأزدادت الاحتجاجات الشعبية وشكّلت مصدر قلق للحكومة،وأجتمعت الجمعيات والناشـطين خـارج مجلـس الأمة،وهتفـوا فـي شـعارات طالبـت باسـتقالة رئيـس الوزراء،والحكومـة وأزدادت شـمولاً فـي أيلول،ثم فـي منتصف تشريـن الثاني،اقتحمـوا مجلس الأمـة ومنزل رئيـس الوزراء،ووصلت الأمـور إلى مفترق الطرق في الكويت،وأعتقل عشرات المشاركين منهم،ثم استقال رئيس الوزراء،وأطلق على هذه الاحتجاجات تسمية"الربيـع الكويتي"،وبعدها قرّر الأمير حـل مجلس الأمة،والدعوة لإجراء أنتخابات جديدة فـي كانون الأول٢٠١٢،وعدم القبـول باسـتمرار الاحتجاجات،وأصـدار الأمير قانـون لإعـادة قانون الصـوت الواحد للمواطن،وتطلـب الأمـر الحسـم بسرعـة قبل تفاقـم الأوضاع،وانعكـاس علـى اسـتقرار البلاد(الجمل:٢٠١٢).ولكن نظّمت المعارضة تظاهـرات كبيـرة وصلـت الـى حوالي١٠٠ الف شـخص،والتي قرّرت مقاطعة الانتخابات وألقى الخطاب الشهيـر المعارض (الشعبوي) مسلم البـرّاك في١٥ تشريـن الاول٢٠١٢ في سـاحة الارادة امام مجلس الامة،اسـتنكر عدم شـفافية الحكومة،وانتقد النظام القضائي،ورفع شعار"لن نسمح لك" ضمن مطالب المتظاهرين في اشار الى اعلى السلطة الحاكمة في مسيرات رفعت شـعار "كرامة وطن"،والتي نظّمت في خريف٢٠١٢(ططر: ٢٠١٧،ص٢٢٣).

يبدو انه بالرغم من التجربة الديمقراطية،والحياة

البرلمانية الناهضة في الكويت مقارنة بشقيقاتها في الدول الخليجيـة.الا ان المشكلة المستحكمة هـي ان الدسـتور الكويتـي علـى الرغـم من ارثـه التاريخـي فـي المنطقة،فانه لايقـدم أية ضمانـات لفكرة تأسـيس الأحزاب السياسـية، وتنظيمها،وبالتالي تطـور العملية الديمقراطية في البلاد.

رابعاً:الأزمة والمعالجات السياسية

إتخـذت السلطـة الكويتيـة إجـراءات سياسـية،وبرلمانية تميـزت بشكـل خاص في عـام ٢٠١٢ بإجراء عمليتين انتخابيتين:الأولى في شـباط، والثانية في كانـون الأول من العام نفسه،وعـزّز نظام الأصـوات الأربعة في هذه الانتخابات من حظوظ القبائل،والإسلاميين.وتم في شباط ٢٠١٢،اجراء انتخابات مجلس الأمة الخامس عشر،وأسـفرت نتائجها عن سيطرت أغلبيـة من المعارضة على مقاعده بواقع (٣٥) نائبـاً مـن مجموع(٥٠)نائباً،وهي(المعارضة الإسـلامية والقبلية).وحققت القوى الإسـلامية فـوزاً كبيـراً فـي هـذه الانتخابات،وحصـل الأخـوان المسلميـن علـى(٥ مقاعد)،والتـي تعتبـر من أقوى فروع الجماعة في دول الخليج العربي(ماثيسـن: ٢٠١٤،ص(١٢٦-١٢٧. وفـي٢٠ حزيران٢٠١٢،قـرّرت المحكمـة الدستورية أصدار حكم بأبطال عملية الانتخابات التي جرت في الدوائر الخمسة في البلاد،وعدم صحـة عضوية من أعلـن فوزهم،وبطلان حل مجلس الأمة السابق،ولـم يعقد المجلس جلساته نهائياً،وترتـب على هذا الحكم عـودة المجلس القديم،ممـا أدى الـى عاصفـة سياسـية فـي الكويت،ثم أصدر أمير البلاد بحكم اختصاصاته الدسـتورية (مرسـوم الضرورة)،وهـو قانون تعديل قانون انتخابات مجلس الأمة بالعدول عن قاعدة لكل ناخـب أربعة اصوات ويوزعها كما يشاء،والعـودة الى قاعدة صـوت واحد للناخب الواحـد،أي لكل نائـب صوت واحد،ومرشـح واحـد من بين(٧٠-١٠٠مرشـحاً) فـي الدائرة الواحـدة،وكل دائـرة مـن الدوائـر الخمـس تختار(١٠مرشـحين) ليصبح عدد المقاعد(٥٠ مقعداً).وقرّر أمير البـلاد حل مجلس الأمة في تشرين الأول٢٠١٢،ودعا الى اجراء انتخابات جديدة في ١كانون الأول٢٠١٢،وسادت حالة من عدم القبول في اطـار احتجاجات،واعتصامات في ضـوء الاربـاك بحـل مجلس الأمـة أكثر مـن مرة.(الجمل:٢٠١٢).وسـيطرة الائتلاف الإسـلامي-القبلي الـذي تمثلـه المعارضة في الانتخابـات الأولى في مجلـس الأمة،وهزيمة المـرأة التي لم تحصل علـى أي مقعد (ماثيسن :- ٢٠١٤،ص(١٣٢-١٣٤.

وعقـدت الإنتخابـات الثانيـة فـي كانـون الأول٢٠١٢،وفـاز فيهـا الفريـق المقرّب الى الحكومة،وقاطعـت المعارضـة المؤلفـة مـن الاسلاميين والتجّار والليبراليين والقوميين،ومن ابرزهم أيضاً ثلاث قبائل هي المطير والعوازم والعجمان،وقامـوا بتظاهـرات ومناقشـات في الديوانيات،ومواقع التواصل الاجتماعي،ومنها تظاهـرات عقب انتهاء الانتخابات في مهرجان شعبي كبير في٨ كانون الأول٢٠١٢، ونظمت الحركة الشبابية اعتصاماً في(ساحة الإرادة) في ١٥ كانـون الأول للاحتجاج على مجلس الأمة الجديد،ثم انتقلوا إلى(ساحة البنوك)،وأستمرت المواجهـة مـع السلطات،ومحاولـة (كتلـة الأغلبية)اسقاط مجلس الأمة والحكومة،إلى أن خفّـت حدة هـذه الاحتجاجات فـي ربيع٢٠١٣ فـي ظـل المعالجـات الحكوميـة الحكيمـة

السياسية،والاقتصادية،فضلاً عن تغير المزاج العام في المنطقة مع تفاقم ظاهرة الارهاب وتداعيات الحركات الاحتجاجية في عدد من الدول العربية مثل(سوريا،ليبيا،مصر،واليمن)، والوضع غير المستقر في الجوار بالعراق.ثم شكّلت في آذار٢٠١٣(كتلة العمل الشعبي) من الشباب مع أعضاء مجلس الأمة السابقين،وحدّدت أهدافها فيما يأتي:

١- تشكيل حكومة منتخبة.

٢ - العودة إلى النظام الانتخابي القديم.

٣- الاعتراف بقانونية الأحزاب السياسية.

وأصدر القضاء الكويتي حكما على(٦٢) شخصاً منهم المعارض مسلم البراك بتوجيه تهم لهم بانتقاد الذات الأميرية،والتشهير بعظمة الأمير،والتحريض على التظاهرات غير المرخّصة،وانتقاد السلطة القضائية.وحكم على مسلم البراك في١٥ نيسان٢٠١٣ بالسجن خمس سنوات.ولكن الأمير الشيخ صباح في تموز٢٠١٣ أصدر مرسوماً أميريا بتبرئة المحكومين بخصوص الانتقادات التي وجهت إليه(ماثيسن،٢٠١٤،ص١٣٩-١٤٠).

ولكن أقرت المحكمة الدستورية نظام الصوت الواحد في١٦حزيران٢٠١٣ الذي كان قد أعلنه أمير البلاد،وأكدت أن المجلس القائم غير شرعي،ودعت إلى إجراء انتخابات جديدة،وقرّرت بعض قوى المعارضة السابقة من الليبراليين،والقوى القبلية المشاركة فيها. في حين قررت قوى أخرى مقاطعتها،وجرت الانتخابات في ٢٧ تموز٢٠١٣ بنسبة إقبال بلغت ٥٢,٥٪ ،وهو مجلس الأمة الخامس عشر في تاريخ التجربة الديمقراطية في الكويت وسط أزمة سياسية في قضايا تخص كيفية إدارة الدولة،وإعادة النظر في نظام الدوائر الانتخابية.ولكن الحكومة نجحت في تشتيت قوى المعارضة،وتبعثرها قبل المشاركة في هذه الانتخابات بين الإسلاميين،والقوى القبلية مما قلّل من فرص حصولها على عدد كبير من المقاعد في المجلس من خلال اعتماد نظام الصوت الواحد،وتمكين المستقلين،والمحافظين الأقرب إلى الحكومة أن يكونوا قوةً مؤثرةً في داخل المجلس،وبالتالي استقرار العلاقة بين الحكومة ومجلس الأمة (العتيقي:٢٠١٣/٩/١٢).وكانت قوى المعارضة في الكويت عام تضم في عام٢٠١٣(الحركة الدستورية) ذراع جماعة الأخوان المسلمين في الكويت القوة الرئيسية في المعارضة،إلى جانب"الحركة السلفية". ولم يكن (التجمع الإسلامي السلفي) موافقاً على عصيان ولي الحاكم المسلم ليكون خارج قوى المعارضة،وإلى جانبه كانت معارضة من الشباب،والليبراليين، والمستقلين الذين التحقوا بالحركات الاحتجاجية،ومنها حركة الشباب(حدم) (الغبرا: ٢٠١٦،ص٧٦٢).

وقد جرت انتخابات مجلس الأمة في٢٧ تموز٢٠١٣ بمقاطعة قليلة من الناخبين، وأختير مرزوق الغانم رئيساً لمجلس الأمة الجديد،وهو شخصية من النخبة التجارية في الكويت.ولكن يؤخذ على المجلس في مجال التشريعات بأنه لم يكن فاعلاً بالرغم من الأدوار التي قام بها على الصعيد المحلي،والخارجي،وبقيت الحاجة لمشاركة المعارضة لكون أغلب القوى الفاعلة فيها ظلت خارج مجلس الأمة مما يعني إستمرار التوتر،والاحتجاجات الشعبية في البلاد. وشهد هذا المجلس نقاشاً محتدماً بشأن(الوثيقة الاقتصادية)، وتشريعات،وقرارات حكومية

تخص تقليص الدعم الاقتصادي،وخفض الصرف الحكومي مع أنخفاض أسعار النفط العالمية(الغبرا: ٢٠١٦،ص٧٦٢).وفرض حل مجلس الأمة عام٢٠١٣ على المعارضة الكويتية الاسراع في إتخاذ قرار المشاركة،وزاد الوضع تأزماً خروج حملة من الشباب الكويتي تحت مُسمى "طالبينكم" لحث المعارضة على العودة إلى الانتخابات،فقررت المعارضة ضمن(كتلة الاغلبية) المشاركة في الانتخابات (الغبرا:٢٠١٦ ص٩٩-١٠٠).

وحدثت أزمات سياسية عدة في عام٢٠١٤ منها استقالة خمسة أعضاء من مجلس الأمة في آيار إحتجاجاً على موافقة المجلس بالأغلبية على شطب طلب استجواب رئيس الوزراء الشيخ جابر تقدموا به،وظهور خلاف في النخبة السياسية بين الشيخ أحمد الفهد الصباح وجاسم الخرافي(رئيس مجلس الأمة السابق) وتبادل الاتهامات العلنية وتدخل القضاء بينهما.ونشوء جبهة معارضة من قوى سياسية وشخصيات اجتماعية في نيسان٢٠١٤،أعلنوا(وثيقة الاصلاح الكويتية)،أنتقدت التجربة الديمقراطية في الكويت،والخدمات،والتعليم العالي،والدعوة الى الانتقال إلى حكومة برلمانية،وتعديل الدستور،والسماح بقيام الأحزاب السياسية وفق قانون عصري،فضلاً عن قيام الحكومة بإلغاء ترخيص(صحيفة عالم اليوم)و(قناة اليوم)الفضائية المقربتين من قوى المعارضة التي تمثل جماعة الأخوان المسلمين بعد سحب الجنسية الكويتية عن صاحبها بتهمة التحريض على الفوضى،والخروج عن النظام.وعلى صعيد حركة الاحتجاجات الشعبية قامت الكتلة البرلمانية في مجلس الأمة (كتلة العمل الشعبي)بقيادة عبدالعزيز السعدون،ومسلم البراك بالاعلان عن تنظيم سياسي جديد أسمه(حَشد)،كان لها مؤيدين وهدفها إعادة احياء الحركة الإصلاحية، وأطلقت عليه(تحالف المعارضة)،تأسست في ربيع عام٢٠١٤ من مجموعة من المعارضة الشبابية مثل (حشد)،و(حدم) والأخوان المسلمين،والهدف منها إجراء تعديلات وتغييرات دستورية،والانتقال إلى نظام برلماني،والاشارة إلى اصلاحات أمير البلاد مع تطوير استقلالية القضاء.أما جماعة (حدم) فهي مجموعة شبابية لها أثرها في الحراك السياسي في الكويت تحالفوا مع الأخوان المسلمين في إطار الإصلاح،في ظل ما وصفوه بارتفاع وتيرة الخطاب الديني بعيدا عن الخطاب الاصلاحي الحقيقي(الغبرا:٢٠١٦،ص٧٦٣).

وفي دورة مجلس الأمة في ١٦ كانون الأول ٢٠١٤،وَجّه الأمير الشيخ صباح رسالة إلى الشباب الكويتي طالبهم أن يكونوا أشد وعياً،ونضجاً،ن وبصيرة في قناعاتهم ومواقفهم،وان هناك آراء واجتهادات عن حق التعبير،والاختلاف في ظل النظام الديمقراطي دون مخالفة القانون،وحَذّر الشباب من الحماسة الزائدة (أحمد وآخرون: ٢٠١٢،ص٣٥٨- ٣٥٩).وفي كانون الأول٢٠١٥ تم إقرار مجلس الأمة قانون جمع الاسلحة غير المرخصة لتأمين الجبهة الداخلية،والتحسب لأي تداعيات بسبب الأحداث في بالعراق،وسوريا،وتمدد تنظيم داعش فيهما،وقرّرت وزارة الشؤون الاجتماعية اغلاق مقار جمعيات بسبب خروجها عن أهداف تأسيسها،هما فرعان لجمعية الإصلاح الاجتماعي (واجهة الأخوان المسلمين)بالبلاد(اللاركيا:٢٠١٦،ص (٩٣-

٩٤)وأثبتت تجارب السنوات الأخيرة بعد "الربيع العربي" أن الكويت واجهت في واقع الحال معارضة شديدة،وامتلاك المواطنين من الشباب،والمعارضة المزيد من الثقة للمطالبة بإجراءات ديمقراطية،ودستورية،وسياسية، واثبت هؤلاء المحتجون أنهم نجحوا في إحراج السلطة،بل استطاعوا أن يضغطوا لتغيير رئيس الحكومة بشخص آخر،ليحل محله وهي سابقة لم تحصل في هذه البلاد من قبل (ديفيدسون:٢٠١٤،ص٤٠٣).

الخاتمة:

لقد شهدت الكويت في عهد الأمير الشيخ صباح عديداً من الأحداث والأزمات،لعل من أبرزها «الربيع العربي»،وأزمات داخلية،وخارجية،فضلا عن تداعيات»الربيع الكويتي»على البلاد بعد عام ٢٠١١،التي تم تجاوزها من قبل القيادة الكويتية بحكمة،وصبر،والتعامل بحكمة مع مختلف القوى الاجتماعية،والسياسية بهدف عبور الازمة،والحافظ على أمن وأستقرار الكويت،والاستمرار بخطط التنمية،والبناء، والعمران،والرفاه الاجتماعي،والاقتصادي،وتجاوز أزمة هبوط أسعار النفط العالمي،وتجنيب الكويت اية مشكلات خارجية تنعكس على داخل البلاد في حاضره ومستقبله،اذ نجحت قيادة الأمير الشيخ صباح في تحقيقها لتكون الكويت واحة الأمان،والاستقرار،والتنمية والمكانة الدولية.

إن اعتماد دول مجلس التعاون الخليجي على العامل الخارجي،ربما سيؤثر بمرور الزمن على تفكك دول المجلس،وعدم قدرتها على مواجهة التحديات الداخليةنوالإقليمية نظراً لاهتمامها بأمنها الوطني أكثر من الأمن التعاوني،أو الجماعي بين دول المجلس.وان تركيبتها لم تصل إلى مرحلة الاتحاد أو الوحدة في ظل عدم الاتفاق بين الدول نفسها على هذه الصيغة،مما يجعل موقفها ليس بالضرورة موحداً تجاه قضايا عدة ومنها قضية الديمقراطية والتعددية السياسية والمشاركة البرلمانية (Nuruzzman:٢٠١٥,pp.٥٣٥-٥٥) .

ويرى ميكائيل هادسون، ان التحول الديمقراطي في الكويت وبعض دول الخليج العربي جاء بعد مخاض طويل وشاق للانتقال من القبيلة الى الدولة،ومن شيوخ القبائل،الى الشباب المتعلمين في ظل بناء سياسي،واقتصادي جديد،وهي عملية لازالت مستمرة في التحديث السياسي في المجتمع من القبيلة الى الحداثة(Hudson:١٩٩١, pp.٢٤٢-٢٤٦).

ويجب عدم تجاهل الضغوط الاقليمية،والخليجية ولاسيما امام السلطة في الكويت لمواجهة الانفتاح السياسي والديمقراطي.الا ان الحركات الاحتجاجية الشعبية اثمرت في تحقيق قدر من مطالب المعارضة،وتحجيم قرارات السلطة،وتغيير في بنية القوى الاجتماعية،وبروز الشباب قوة جديدة ستبرز على المدى القادم في المشهد الاجتماعي،والسياسي في الكويت.

ربما عدم التوافق بين أغلب الحكومات الكويتية المتعاقبة ومجلس الامة كان قائماً في تاريخ الكويت المعاصر.الا ان التجربة البرلمانية ظلت المتنفس السياسي،والاجتماعي الذي يمنح مزيداً من الاستقرار الداخلي في ظل النمو الاقتصادي،والمالي الذي شهدته البلاد

منـذ السبعينيـات مـن القـرن العشرين،ومـع الـدور الرقابـي لمجلـس الامـة علـى عمـل الحكومـة والـوزارات فقـد ظلت حالـة التوتر بيـن الطرفين لعقود عدة ولازالـت حتى اليوم. (Holliday:٢٠٠٠,pp.٤٣-٤٥).

وبالرغم من حالة التعثر في التجربة الديمقراطية الكويتية.ولكنها تبقى هي الأفضل بين التجارب السياسـية والدسـتورية،والديمقراطية في دول مجلـس التعاون الخليجـي تلك الـدول الريعية التـي يقـدم فيهـا الريـع النفطـي الاسـتقرار الاقتصادي،والاجتماعي،والـى حدمـا السياسي،ويرسخ الاستقرار الداخلي.وربمايؤخذ علـى التجربة الكويتية غيـاب طويل للأحزاب السياسـية رغم وجـود الجمعيـات والتنظيمات والكتـل السياسـية (Herb:٢١١١)،ويصـف ميكائيل هادسـون،الكويت بانهـا محطة الحياة الديمقراطية في الخليج العربي وبالرغم من انها اوقفتها اكثر مـن مرة.ولكنها بقوله"ديمقراطية قبلية"،تسعى الاسـرة الحاكمة عبرها للاحتفاظ بالمكانـة مـن خـلال حـق الانتخاب،وتحولت الـى نسيـج جديـد مـن "الديمقراطيـة الصحراوية"،والبرلمـان هـو مجلس شـورى القبيلة".(Hudson:١٩٩٥,pp.٨٣-٨٤).

وان السلطـة فـي الكويت ظلت طـوال القرون السابقة،وحتـى اليـوم تتبـع سياسـة الحلـول الوسـط،وعدم الوصول الى خيارات المواجهة واللاعودة في الازمات السياسية الداخلية،وهذا اعطـى دعمـا معنويـا لديمومـة التجربـة البرلمانية،وبالرغـم من التعثر التي حصلت في بعض الاحيان.(محروس:٢٠١٥/٥/١٢).

المصادر والمراجع

ج.ج.لوريمر،الكويـت في دليـل الخليج،السفر التاريخي،ج١،ط١،جمـع وتنسيـق خالـد سـعود الزيد،شـركة الربيعـان للنشـر والتوزيع،الكويت،١٩٨١.

أحمد يوسف أحمد وآخرون،حال الأمة العربية ٢٠١١-٢٠١٢،معضلات التغيير وآفاقه،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ٢٠١٢.

ازمـة الكويت انحلـت: الشيخ سـعد تنحى عن الإمارة وتزكية الشيخ «،٢٠٠٦/١/٢٥

١٢٥٥٧٣\www. alriyadh . com

"حكّام آل الصباح في الكويت"،مركز البحوث والدراسـات الكويتيـة٢٠١٤، www.crsk. edu.kw،الاء محمد عبيد،السياسـة الخارجية الكويتيـة حيـال الازمـات في مجلـس التعاون الخليجي(الازمـة القطريـة انموذجا)،بحـث ترقية مقدم الـى معهد الخدمة الخارجية،وزارة الخارجية،بغداد،٢٠١٩.

عبدالعزيـز الرشـيد،تاريخ الكويت،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،١٩٧٨.

حسـن علـي الابراهيم،الكويـت دراسـة سيا سية ، ط ٣، (ا لكو يت : مؤ سـسة د ا ر العلوم،١٩٨٠)

توبي ماثيسـن، الخليج الطائفي والربيع العربي الذي لـم يحدث،ترجمة أميـن الأيوبي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت، ٢٠١٤.

شفيق ناظم الغبرا،»مستقبل مطالب الإصلاح في الكويت»،أحمد يوسـف أحمد وآخرون،مستقبل التغيير فـي الوطن العربي،بحـوث ومناقشات

الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية مع المعهد السويدي بالاسكندرية،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،٢٠١٦.

فيحان محمد العتيبي،"مبارك الصباح والدولة العثمانية:تابعا لها ام ثائرا عليها(١٨٩٦-١٩١٥)،المجلة العربية للعلوم الانسانية،العدد ١٤١،السنة٣٦،جامعة الكويت،شتاء٢٠١٨.

مريم جويس،الكويت،١٩٤٥-١٩٩٦،ترجمة مفيد عبدوني،دار امواج للنشر والتوزيع،بيروت،٢٠١١

تقرير عن أهم الاحداث المحلية التي جرت عام ٢٠٠٦"، وكالة الانباء الكويتية(كونا)، ٢٠٠٦/١٢/٢٢، .www. ktuf. Net. Kw

السادس من ٢٠٠٦ والمعارضة تطلب بمرسوم الدعوة للانتخابات"، جريدة الايام،

,.www. Alayam. Com\ alayam Hesham Alawadi,»Kuwait: New Faces, Same Potential for Trouble»,Carnegieendowment.org-.٢٣١٨٩=Sada-Fa

سليمان العتيقي،"قانون الصوت الواحد"،١ Carnegieedwment.org-؛٢٠١٣/٩/٢ lang=ar&٥٢٩٤=٢fa-Sada

"المستجدات السياسية في دولة الكويت ٢٠٠٣"،مركز الخليج لسياسات التنمية.

.www.gulfpolicies. Com

لؤي اللاركيا،"المستجدات السياسية في دولة الكويت"، آن الكندي وآخرون ،الخليج والإصلاح الاقتصادي في زمن الأزمة النفطية، الخليج بين الثابت والمتحول (٥)، تنسيق وتحرير عمر هشام الشهابي وآخرون،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ومركز الخليج لسياسات التنمية،٢٠١٧).

محمد الرميحي،اولويات العرب..قراءة في المعكوس،خمسون مقالا يبحث عن الحقيقة،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،٢٠١٠.

العربي.مفيد الزيدي،»الحروب الاهلية العربية ومستقبل الدولة الوطنية»،مجلة دراسات شرق اوسطية،س٢٠،ع٧٦،عمّان،٢٠١٦،

ناثان بروان،» الانتخابات البرلمانية في الكويت عام ٢٠٠٨: هل تمثل تراجعاً للقيادات الإسلامية الديمقراطية «، مركز كارنيغي للشرق الاوسط، ١١ حزيران /يونيو/٢٠٠٩.

مني كريم،»رئيس وزراء كويتي جديد والفضل يعود للإخوان المسلمين»،Carnegieendwment.org-.٢٠١١/١٢/١٥

مي محروس،"حكام الكويت والمعارضة:كيف يمكنهم الخروج من المعادلة الصفرية ونصف الديمقراطية"،www.alkhhaleejaafairs. org.main.content١٥/٥/٢٠١٥

كريستوفر م.ديفيدسون،مابعد الشيوخ الانهيار المقبل للممالك الخليجية،الطبعة الاولى،،بيروت،مركز اوال للدراسات والتوثيق،٢٠١٤،ص٣٧٢-٣٧٧.

مفيد الزيدي،الخليج العربي دراسات في التحولات الداخلية والعلاقات الخارجية،الطبعة الاولى،بيروت،ابن النديم للنشر والتوزيع

ودار الروافد الثقافية-ناشرون،الجزائر-بيروت،٢٠١٩.

عبد الجليل مرهون، "ديمقراطية الكويت الهادئة"،٢٠١٢/٢/١٨. www.aljazeera.Net\ know\ edge.

ابراهيم نصر الدين وآخرون،حال الامة العربية ٢٠١٤-٢٠١٥: الاعصار من تغيير النظم الى تفكيك الاول، وقضية جمال عبد الناصر، ط١،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،٢٠١٥.

كرستوفر م.ديفيدسون،ما بعد الشيوخ،الانهيار المقبل للممالك الخليجية،مركز أوال للدرسات والتوثيق،بيروت،٢٠١٤.

يحيى الجمل، "غليان في الكويت"،صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠١٢/١٠/٢٥.

Sulaymn Khalaf,»The Nationalization of Culture:Kuwaits Invention of a Pearl-Divan Heritage», In: Popular Culture and Political Identity in the Arab Gulf State,(ed),Alanoud Alsharekh&Robert Springborg,SAOI,(London,2008),

Kristin Kausch,»The Promise of Middle Eastern Swing State», May12, 2016,http// carnegieeurope,eu/2016/05/12/promise-of-middle-eastern-swing-

mufeed alzaidi,»political reform attempts in Saudi Arabia», contemporary Arab affairs,vol.4,numbur4,October-december2015,pp.553-

Dived Along, The Persian Gulf: An International to Its People, Political and Economic,Westview Special Studies on the Middle East,2ed,(Boulder,Co;Westiview Press,1978),pp.23-24,

Gilda Berger, Kuwait and the Rim of Arabia:Kuwait,Bahrain,Qatar,Oman,United Arab Emirates,Yeman,People Domestic Republic of Yeman,A First Book,(New York:Watts,1978),pp.10-12.,

Michal C.Hudson,"Obstacles to Democratization in the Middle East",Contention,vol.5,no.2,(winter,1995).

J.E.Peterson,"The Nature of Succession in the Gulf", Middle East Journal,vol.55,no.4,(Autumn,2001).

Jill Crystal, Oil and Political in the Gulf: Rulers and Merchant in Kuwait and Qatar,(Cambridge:UK,New York Press,1990).

Longva Nga,"Kuwait Woman

Kuwait Protected Spaces and Womans Rights»,middle East Journal,vol.47,no,(spring 1993
Halliday,Fred.»Letter from Kuwait»,middle East Report,no.215(summer2001)
Yetiv Steve,Kuwaits Democratic" Experiment in Its Boarder International Context, middle East Journal.vol.56,no.2(Spring2002), pp.259-160.
Ghabra Shafeeq,»Democratization in a middle East State: Kuwait,1993»,middle East Police,vol.3,no.1,(march1994).
Owen Roger,State,Power and Politicas in the Making of the Modern Middle East,London,Mew York,Routledge.
Tetreault Mary Ann ,»Kuwait›s Unhappy Anniversary,»middle East Policy,vol.7,no.3,(June2000).
Ghabra Taghreed Alqudsi,»Woman in Kuwait»,in:Suha Sabbagh,ed,Arab Woman: Between Defance and Restraint and Bestraint,New York:Olive Branch Press,1996.
«The rise of pragmatic Islamism in Kuwait›s post-Arab spring opposition movement»,
at a Crossroads Privileged Development and the Covstraints of Ethnic Stratifications",Journal of middle East Studies,vol.25,1993
Michal Herb," Parliaments in the Gulf Monarchies: A Long Way from Democracy", Carnegiendowmnent-Sada=21111.
Mohammed Nuruzzman, "Gulf Cooperation Council (GCC), Qatar and dispute mediation: ,‹a critical Investigation" Contemporary Arab Affairs, volume8,Number4,October-December2015,pp.535-552.
,AL-Naser,Fahed,›The Diwaniah:A Tradition Kuwai Social Institution in a Political Rol»,Digest of Middle East Studies(DOMES)vol.4,no.2,(؛winter2001),pp.6-14.
Hesham Alawadi,»Kuwait New Faces, Same Political for Trouble», Carnegeendowmen-Lorg-Sada-fa=23189
Salih Kamal Osman,»Kuwait Political Consequences of Modernization,1750-1986»,Middle East Sudies,vol.27,no.1,(Janua ry1991)
Ann Mary,»Civil Society in

stance towards the events, and quickly worked to contain the popular protests that the Omani street witnessed in 2011.

The rest of the Cooperation Council countries (Saudi Arabia, Kuwait, United Arab Emirates, and Bahrain) opposed the events of the "Arab Spring" and took negative attitudes towards it, because they realized the amount of threat they might face with the arrival of the Islamist forces to rule in the region.

Keywords: Kuwait, the Arab Spring, Kuwaiti protests.

* Center for Strategic and International Studies, University of Baghdad, Iraq.

Kuwait Programme, BROOKINGS INSTITUTION, (August 2015).

Kuwait and the "Arab Spring": The Crisis and Treatments

*Mufeed Al-Zaidy

ABSTRACT

The countries of the Gulf Cooperation Council were surprised by the popular protests that swept the region in 2011, which brought about important transformations in the political environment of the region, and prompted regional and international parties to reformulate their political orientations in dealing with the emerging situations "While Qatar supported all these protests, and supported them politically, medially, and financially, which enjoyed strong relations with the new regimes that took power in (Tunisia, Libya, Egypt, and Syria), From the beginning, it took a strongly supportive stance in the Syrian and Libyan crises, the popular movements in them, and the military operations that sought to topple their regimes. The Sultanate of Oman took a neutral

البرنامج النووي الباكستاني

أ.د. ستار جبار علاي (*)

الباحثة هبة صباح جابر (**)

واجهت باكستان منذ قيامها في عام ١٩٤٧ كثيراً من الازمات الخطيرة والمتتالية,وتعود حالة انعدام الاستقرار الدائمة هذه الى اسباب داخلية وخارجية.واذا كانت التحديات الداخلية كثيرة,فان العوامل الخارجية تسببت في كثير من هذه الازمات واستمرارها.وتشترك باكستان بأطول حدود لها من جهة الشرق مع الهند,وفي نزاع معها على اقليم كشمير,ولباكستان حدود غربية وعرة وممتلئة بالثغرات بطول ٢٥٠٠كم مع افغانستان دائمة الاضطراب.(١)

ومثل ظهور باكستان بداية لمرحلة جديدة في حياة شبه القارة الهندية,إذ اصبح هناك دولتين جديدتين ليبدأ الصراع بينهما,لتفقد باكستان في هذا الصراع المستمر الكثير عندما خاضت ثلاث حروب مع الهند في الاعوام ١٩٤٨,و١٩٦٥,و١٩٧١,وفي الحرب الاخيرة هزمت باكستان عسكريا وفقدت شطرها الشرقي(بنغلاديش) الذي اصبح دولة مستقلة بدعم سياسي وعسكري هندي.(٢)وبرزت قضايا الامن القومي لتكون معياراً لقدرة باكستان في الدفاع عن مصالحها,ففي نيسان(ابريل)١٩٩٨,اجرت باكستان بنجاح تجربة الصاروخ غوري,وقد لعب رئيس اركان الجيش دوراً مهماً في قرار الحكومة القيام بالتجارب النووية يومي ٢٨ و٣٠ ايار(مايو)١٩٩٨.وكان القرار نموذجاً واضحاً لتأثير المؤسسة العسكرية.(٣)

وقد عدّت التجارب النووية مؤشراً على تخلي باكستان عن سياسة الغموض النووي التي انتهجتها في الثمانينيات من القرن العشرين، والتي انكرت بموجبها باكستان ولم تعلن صراحة امتلاكها للاسلحة النووية. وكان الدافع وراء التصرف الباكستاني يتمثل بالدرجة الاولى من تجارب مشابهة اجرتها الهند في ١١ و١٣ من الشهر نفسه، وأتخذ القرار بشأن ذلك التصرف من قبل اجهزة الدولة المسؤولة عن صنع قرار التسلح النووي في باكستان، والتي تتألف من المؤسسة العسكرية والبيروقراطية المدنية، بمن فيها من العلماء النوويين. وقد طالبت باكستان عقب اجراء التجارب بمنحها وضع الدولة النووية، فقد اعلن رئيس الوزراء نواز شريف ذلك بقوله: "سواء اعترف بأننا قوة نووية او لا، فنحن قوة نووية".(٤) وكان القرار الباكستاني باجراء التجارب نقطة تحول رئيسة

(*)(**) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد

فـي برنامجها النووي، وبـرزت ثلاثة خيارات امام صانعي السياسـات الباكستانيين وهي: [٥]

١. تبنـي سياسـة علنية للتسلح النـووي، تشمل تطوير وتجميع ونشر هذه الاسلحة ونظم اطلاقها.

٢. الابقـاء علـى الوضـع القائم الجديـد، وهو الاحتفـاظ علنـاً بقـدرات التسلح النـووي دون التوجه الى نشر الاسلحة النووية ونظم اطلاقها.

٣. التراجـع عـن برنامـج التسلـح النـووي وقبـول الاتفاقيـات الدوليـة التـي تنـص على منـع انتشـار الاسـلحة النـووي.إذ بـرز ذلك فـي تحـرك رئيس الـوزراء نواز شـريف في ايلول(سـبتمبر)١٩٩٩,وتأكيده بأنـه يـدرس مسألـة التوقيـع علـى اتفاقيـة الحظـر الشامل للتجـارب النووية,وكـان تحـرك رئيـس الـوزراء موضع رفـض المؤسـسة العسكرية وقادتهـا ولاسـيما مع اسـتمرار التهديد الهندي ورفـض الهنـد التوقيـع علـى الاتفاقيـة.[٦]

وكـان قبـول ايـاً مـن هـذه الخيـارات او رفضهـا، يتحـدد بعـدد مـن المتغيـرات ذات العلاقـة بالاوضاع المحلية والاقليمية والدولية. لتظـل العوامـل الاقليميـة، ولاسـيما علاقات باكستـان مـع الهنـد، تـؤدي دوراً رئيسـاً في تحديد المسار النووي لإسلام آباد. وقد ساعدت ايضاً المستجـدات الدولية والعوامـل الاقليمية وغيـر الاقليميـة المؤثـرة على صوغ سياسـة باكستـان النووية، وسـوف تستمر فـي التأثير فيها، ويشمـل ذلك تحالفات باكستان الرسـمية وغير الرسـمية مع الولايات المتحدة الامريكية وانحـلال هـذه التحالفـات، وروابـط باكستان العسكريـة مع الصيـن وتأثير اجـواء الحرب البـادرة ومـا بعـد الحـرب الباردة فـي منطقة جنـوب آسـيا.وهنا تبرز اهميـة برنامج التسلح النووي في باكستـان ودور المتغيرات المحلية والاقليمية والدولية في تحديد الخيارات النووية التـي تتبناها. ومستقبل برنامـج التسلح النووي الباكستانـي وتداعياتـه المختلفة.وكالتالـي:

المطلب الاول, بداية البرنامج النووي الباكستاني

بدأ البرنامج النووي الباكستاني منذ عام ١٩٥٦ بتأسيس مجلس الطاقة الذرية الباكستانية بهدف تمكيـن البلاد من الاسـتفادة من الاسـتخدامات السلمية للطاقـة الذرية,وتنفيـذ محطات الطاقة النووية والبحث العلمي وتعزيز الاسـتخدامات السلميـة للتقنيـة النووية فـي الزراعة والطب والصناعة,وتحـول المجلـس الى هيئـة الطاقة الذريـة الباكستانيـة فـي عـام ١٩٦٥,[٧]وكان البرنامـج بأكملـه رد فعـل علـى التطـورات الجاريـة علـى الجانـب الهندي,[٨]وفـي عـام ١٩٥٨ تولـى الجيـش السلطـة بالتحالـف مع البيروقراطية المدنية وبـرز دوره كحامٍ للامن القومي وبـدأ بجني ثمار السياسـة,وكان هناك قبـول عام بين اغلب قطاعات الشعب للسياسـة الامنية التي استندت الى ركيزتين هما مواجهة التهديـد الهنـدي والاعتماد علـى الجيش كأداة لمواجهتها[٩]وعيـن ذو الفقـار علي بوتو رئيساً لما سمي بلجنة الطاقة الذرية في باكستان،ويؤكد بوتو (لقد ارتبطت بشكل نشيط بالبرنامج النووي لباكستان منذ تشرين الاول(اكتوبر)١٩٥٨ الى تموز(يوليو)١٩٧٧ وهي فترة امتدت لمدة ١٩ سنة وقد كنت معنيا بشكل مباشر بهذا الموضوع بصفتي وزيراً للخارجية ووزيراً للوقود والطاقة والموارد الطبيعية,ووزيراً مسؤولاً عن الطاقة الذرية,وعندمـا توليـت مسؤولية هيئـة الطاقة الذرية الباكستانيـة لم تكن الهيئة اكثر من لافتة

معلقــة على باب دائرة.لقد كانت اســماً فقط وقد كرست كل امكانياتي بنشاط وتصميم لا يلين من اجل مهمة الحصول على القدرة النووية لبلادي.

وقد أرســلت المئات من الشباب الى اوروبا وامريكا الشمالية للتــدرب على العلوم النووية. وكلفت أدورد ستون ببناء معهد باكستان للعلوم النوويــة والتكنولوجيــة (بنيتــش) ووضعــت الحجــر الاســاس له.وقمــت بالمفاوضــة لعقد اتفاقيــة خاصــة بتجهيز مفاعــل البحوث بطاقة ٥ ميجــاواط الموجود فــي بنيتش.ووقفت بوجه معارضة وزير المالية شعيب ونائب رئيس هيئة التخطيــط ســعيد حسن فقد اجريــت مفاوضات ناجحــة للحصول على محطــة كراتشي للطاقة النوويــة ذات قــدرة ١٣٧ ميجــاواط مــن كندا وتوليــت مراســيم افتتاحها.وفــي منتصف عام ١٩٧٦ وافقت على اقامة محطة للطاقة النووية فــي غاشــما.وبالطبع فقــد فاوضــت وابرمــت اتفاقية وحــدة المعالجة النووية مــع فرنسا عام ١٩٧٦.).[١٠] وبفضــل السيــد بوتــو وقليل من مساعديــه، أمكــن انشاء لجنــة الطاقــة الذرية الباكستانية وتم وضع هيكلها التنظيمي واهدافها القوميــة كمــا تم البدء فــي تنفيذ تلــك الاهداف يترافــق هذا مع صــدور قرار بوتــو التاريخي ببناء معهد باكستان للعلوم النووية والتكنولوجية "بنيتــش" فــي احــدى ضواحــي اســلام آبــاد العاصمة في عام ١٩٦١.وكان هناك محاولات لتطوير المواد الانشطارية حيث دخلت باكستان في اتفاقيــة مــع شــركة بلجيكية(بلكونيوكلير) لإقامــة وحــدة إعــادة معالجة(خليــة ســاخنة) فــي بينتش قبــل اقامــة محطة كراتشــي بوقت طويــل وحتــى قبــل اقامــة الهند لوحــدة اعادة المعالجــة في ترومبــاي عــام ١٩٦٥,واقامت وحدة تجريبية فــي روالبندي,فضلاً عن الخبرة التــي اكتسبها العلمــاء الباكستانيــون في اعادة معالجــة البلوتونيوم,وامكانيــة تطوير معرفتها وخبرتهــا الى حــد كبير في اقامــة نموذج على مستــوى تجــاري بامكانياتهــا الخاصــة.[١١]

وتعاونت باكستان مع كندا وفرنسا والولايات المتحــدة وبلجيكــا والمانيــا والصين,واقيم اول مركز بحثي امريكي عام ١٩٦٥ شمل مفاعلين نوويــن بقــدرة ١٦,٥ ميجاواط,وبحلول كانون الثاني(يناير)١٩٦٥ اعلن بوتو بأنه إذا طورت الهند قنبلــة ذرية فعلى باكستــان ايضا ان تقوم بذلك بسبب عدم وجود بديل تقليدي,وواجه قادة باكستــان تحديــات داخلية جديــدة واكثر جدية بعد الحرب مع الهند عــام ١٩٦٥,وبالرغم من الرغبــة في تطوير الخيار النووي,كانت اولوية العسكــر الرئيسة هي اســتعادة الروابط الامنية مع الولايات المتحدة الامريكية,والحصول على الاســلحة الامريكية,والتــي قطعــت بعد حرب ١٩٦٥,وقــاد عقــد السبعينيــات الــى تغيير في السياســة النووية وواجه صناع القرار تحديات جديدة مترابطة داخلياً وخارجياً. [١٢] فقد عززت حــرب عام ١٩٧١ مع الهند العــداء الباكستاني لها والشعور بعدم الامن والاستقرار، واعتقدت القيــادة الباكستانيــة بتقصير الولايــات المتحدة عــن المسارعة لنجدة باكستان، بينما تلقت الهند دعماً معنوياً وعسكرياً مــن حلفائها السوفييت.

لقــد بررت الهند امتلاكها للاســلحة النووية بــردع الآخريــن عــن اســتخدام هذه الاســلحة ضدهــا، وفي حــال اقدامهــم على اســتخدامها ضدهــا أي في حالــة انهيار الــردع فانها تؤكد على قدرتهــا على الرد علــى الضربة الاولى. وبالطبع فان ذلك يتطلب عدداً كافياً من الاسلحة النوويــة ونظاماً قوياً للقيــادة والسيطرة ونظاماً

فعالاً للرقابة الانـذار المبكر وتخطيطاً وتدريباً شـاملاً يتفق مع الاسـتراتيجية المعلنة والقدرة على توظيف القـوات والاسـلحة النووية، كما ان فعاليـة القـدرات العسكريـة التقليدية لا تقل اهميـة عن فعاليـة القـدرات النوويـة[١٣] كان بوتـو متحمساً لحصـول باكستان علـى القنبلة النوويـة,إذ حـاول بوتـو اسـتغلال الاختبـار النـووي الهنـدي عـام ١٩٧٤ لتعزيـز القـوة العسكريـة لباكستان,وتأكيـد ان الخيار الوحيد هـو تحـول باكستـان الـى دولـة نوويـة.[١٤]

ولهذا اقامـت باكستان بعيد التفجير النووي الهنـدي العـام ١٩٧٤برنامجاً للتسلـح النووي مستقـلاً عن لجنة الطاقـة الذريـة الباكستانية، لكـن هذه اللجنـة وبرنامج التسلـح النووي بقيا متلازميـن، والحقيقة ان العلماء المدربين فـي لجنة الطاقـة الذرية هم الذيـن تكون منهم طاقم مؤسـسة التسلح النووي، وقامت هيئة من كبار الموظفيـن الاداريين بتنسيـق انشطتهم. وقد ترأس البرنامج الجديد مهندس علم المعادن عبـد القدير خـان. وعـلاوة على ذلـك اقامت البيروقراطية المدنية والاستخبارات العسكرية شبكات سرية للحصول على التقنيات والمعدات اللازمـة لألات الطـرد المركـزي الفائـق السرعة مـن مصادر في اوروبـا الغربية. [١٥]

وفي ٢٨ تشرين الاول(اكتوبر)١٩٧٤ قدمت باكستان مشروع قرار الى الجمعية العامة للامم المتحدة يؤيد من ناحية مبدأ المنطقة الخالية من الاسـلحة النوويـة في جنوب آسـيا,ويطلب من السكرتيـر العام الدعوة الى مؤتمر لدول جنوب آسـيا لهذا الغرض,لكن العرض افتقد للاجماع الاقليمـي عند تقديمه,ولعـل دافعه الحقيقي كان تفجير الهند النووي في ايار(مايو)١٩٧٤,إذ كان الحدث مؤشراً لانضمام الهند الى النادي النووي ممـا يعني تهديداً لأمن باكستان,ومحاولة وضع حظر شامل على أية نشاطات نووية اخرى للهند من خـلال الهيئة الدوليـة والسكرتير العام.وقد اسـتخدمت باكستان المحافل الدولية مثل حلف السنتـو والمؤتمر الاسـلامي لإثـارة موضوع أخطـار التفجيـر النـووي الهنـدي وبعـد ذلك استخدمت محفل الامم المتحدة لمواجهة الهند.[١٦]

وحصلـت باكستـان علـى البنية الاساسـية والامكانيـات اللازمـة للقـدرة النوويـة,إذ ليـس شـرطاً ان يكون البلـد غنياً فقـط ليمتلك قـدرة نووية,فالبنيـة البشريـة مـن المتطلبات الاساسـية,وقد امتلكت باكستان القدرة بالعقول التي دربت في الدول الاجنبية,فضلا عن وحدة الطاقة النووية في كراتشي,وكانت باكستان على عتبـة الحصول على قدرة نوويـة كاملة عندما حدث انقلاب ٥ تموز(يوليو)١٩٧٧[١٧] وبالرغم من توجهات البرنامج العسكرية الا ان السلطات الباكستانيـة أصـرت على طبيعتـه السلمية في محاولتهم الحصول على التكنولوجيا والمعدات الضرورية من المصادر الخارجية,ومنها مفاعل إعادة المعالجـة النـووي الفرنسي,وفي الوقت نفسه حاولت باكستـان تبرير برنامجها النووي بمواجهة الهند واقترحت إقامة منطقة خالية من الاسلحة النووية في جنوب آسيا,والتي رفضتها الهند,كمـا عـرض المسؤولـون نـزع السلاح الاقليمـي ولكنه رفض من قبـل الهند,مما عزز الادراك العـام الباكستاني بالتهديـد الهندي,ولم يقدموا سوى القليل من التأكيد للولايات المتحدة عـن النوايـا النوويـة السلميـة الباكستانية.[١٨]

كان عام ١٩٧١ بداية لتشغيل محطة كراتشي النوويـة لتزويد خمسـة ملاييـن باكستاني من

سـكان المدينة بالطاقـة الكهربائية,وقد حصلت عليها بعقد مع شركة جنرال الكتريك الكندية عام ١٩٦٥,[١٩] وبقـدرة ١٣٧ميجـاواط ,ثم محطة توليـد كهربـاء نوويـة بتكنولوجيـا فرنسية,ثم مفاعل فرنسي قـادر على انتاج اليورانيوم عام ١٩٧٥,ثـم مفاعل كاهوتا بقدرة ١٢٠ ميجاواط عـام ١٩٧٦ ويكفي لانتـاج قنبلة نووية عيارية ٢٠ كيلوطـن كل عام,ثـم مفاعل ابحاث صيني بقـدرة ٥٠ ميجاواط,فضـلا عـن كميـات من الوقود النووي لهـا القدرة على انتاج ١٠ قنابل عياريـة بقوة ٢٠ كيلوطن,واسـتفادت باكستان مـن السعوديـة وليبيـا فـي تمويـل مشروعها النووي. واسـتعمل الرئيس بوتـو تعبير القنبلة النووية الاسـلامية في بدايـة البرنامج النووي العسكري,وكـان التعبيـر لاغـراض سياسـية واقتصادية.[٢٠]ويؤكـد البروفسـور عبد السلام عالم الـذرة الباكستاني الحائز على جائزة نوبل والذي كان مستشاراً علمياً للحكومة الباكستانية ان قـرار باكستـان بالحصـول علـى القنبلـة النووية اتخذ في كانون الثاني(يناير)١٩٧٢ في اجتمـاع عقد في جلستين وحضـره خالد حسن سكرتير رئيس الوزراء الصحفي والبروفسور عبـد السـلام ,والدكتور عصمانـي رئيس هيئة الطاقـة الذريـة الباكستانية,وس.أ.بهـات وهو دبلوماسي,ووسـيطاً للحصـول علـى المـواد النوويـة فـي اوروبا.وبـدأت باكستـان طرقـاً متشعبـة للحصـول علـى المـواد الانشطارية الضروريـة للقنبلـة- أمـا البلوتونيـوم ٢٣٩ أو اليورانيـوم ٢٣٥ أو كلاهما,ولـم يصبـح طريـق اليورانيـوم ممكنـا بشكـل واضـح الا في منتصـف ١٩٧٤ عندما قامـت المخابرات الباكستانيـة بالاتصـال بالدكتـور عبـد القدير خـان في هولنـدا ولـم يستبعـد تمامـاً احتمال ثالـث للحصول علـى اليورانيوم المخصب من الخـارج بطريقة ما.[٢١]وبذلك وضع السيد بوتو الخطـوط العريضة لمشـروع باكستان النووي المتقـدم وعـرف بمشـروع ٦٠٧,وحصلـت باكستـان علـى ٩٥٪ مـن التصاميـم الخاصة بالمصنع فضلاً عن اسـتمرار بعض الشركات الغربيـة بالعمل فـي الموقع,وعيـن احد علماء الـذرة الباكستانيين رئيساً لمفاعـل كاهوتا.[٢٢]

ويعـد العالـم النـووي عبد القديـر خان[٢٣] صاحـب الفضـل الاكبر فـي تطـور البرنامج النووي الباكستاني,إذ درس الفيزياء النووية في هولندا,وعمل في شـركة هولنديـة كانت تتولى تطوير الدراسات والتصميمات النووية لمصلحة الـدول الاوروبية.ومـن خلال التـدرج العلمي والوظيفـي في تلك الشركة,اصبح خان مسؤولاً عـن برنامج متقدم لتطوير تقنيات حديثة للطرد المركزي,التـي تعد عمليـة جوهرية لتخصيب اليورانيـوم الـلازم لانتـاج السـلاح النـووي. وقـد نقل سـراً التصميمات الكاملـة للمفاعلات الاكثـر حداثة الـى بلاده,وانطلق منها البرنامج النـووي الباكستاني,واسـتفاد خان من عمله في هولنـدا فـي الحصول علـى قائمـة بالشركات المتخصصـة فـي المجـالات النووية,وحصل ايضاً على المواصفات التجارية للقطع اللازمة لانتـاج السـلاح النووي.وسـاهم مساعـد خان ويدعـى اكـرم الحـق خان فـي تنفيـذ برنامج واسـع النطاق لاستيراد ما عجزت باكستان من الـدول الصديقة,ومنذ عام ١٩٧٧ أسـس اكرم الحـق شـركات وهمية عديدة فـي المانيا تعمل كواجهة لشـراء المعدات النووية,وفي اثناء هذا الاسلوب,قام اكرم الحق بتجميع القطع اللازمة للمفاعل النـووي المطلوب قطعـة بعد اخرى. الى جانب اعتمـاد البرنامج على تهريب بعض

الاجهزة المتطورة من الخارج,فضلا عن قدرة خان على اقناع اعداد كبيرة من الخبراء النووين الباكستانيين في الخارج بالعودة الى البلاد للمساهمة في البرنامج النووي الباكستاني.[٢٤]

جرى وصف عبد القديرخان بأنه أبوالقنبلة النووية الباكستانية،وقد تمثلت مهمته في إمداد باكستان بقدرة محلية على إنتاج اليورانيوم المخصب اللازم لصنع قنبلة ذرية .ويذكرأنه في أعقاب التجربة الهندية النووية عام ١٩٧٤ أبدت الدول،التي تشكل جهات العرض بالسوق النووية قدرا أكبر من التردد حيال بيع التقنيات الحساسة للدول المشتبه فيسعيها وراء تحقيق طموحات نووية .ومثل جزء من مهمة خان في التغلب على القيود المتزايدة المفروضة على التقنية النووية،بحيث تتمكن إسلام أباد من الحصولعلىالواردات التي يحتاج إليها برنامجها النووي .وقد منحت الحكومات الباكستانية عبد القدير خان قدراً كبيراً من الاستقلالية وحرية اتخاذ القرارات،الأمرالذي يعود بصورة جزئية إلى طبيعة عمله بالغة الحساسية والمخاوف بشأن تعرض البرنامج النووي الباكستاني لعمليات استهداف من قبل وكالات الاستخبارات الأجنبية وتزايد مستوى السرية المتبعة. ونظرا لعدم خضوعه للمساءلة من قبل أي جهة داخل البلاد،بدأ خان في إصدارالأوامر بشراء عناصرأكثر بكثيرعما يحتاجه البرنامج الباكستاني لتخصيب اليورانيوم .ومع تحول إسلام آباد إلى تصميم أكثر تطورالمعدات الطرد المركزي خلال الثمانينيات،أصبح لدى خان مخزون ضخم من العناصرومعدات الطرد المركزي الأقدم، الأمرالذي منحه وشركاؤه خارج البلاد فرصة عقد صفقات تجارية مربحة منخلال استكشاف الأسواق التصديرية.[٢٥] حاولت باكستان خلال عهد بوتو لعب دور قيادي في العالم الاسلامي,فقد سمى بوتو القنبلة النووية بأنها سيف الاسلام وهي اداة رئيسة في الاستراتيجية الباكستانية وتعزيز مكانتها كزعيمة للعالم الاسلامي,وقدر لباكستان ان تلعب هذا الدور بسبب تكوينها العسكري والتكنولوجي المتطور نسبياً ووجود نخبة بارزة في السياسة الخارجية.ونتيجة غياب القدرة العربية وغياب بديل لتطوير قدرة عربية نووية لمواجهة الترسانة النووية الاسرائيلية,قامت مصادر عربية بتمويل وتشجيع باكستان على أمل الحصول على التكنولوجيا والخدمات النووية من باكستان لاستخدامها ضد الاعداء,والحقيقة ان تحقيق تطور نووي يتطلب موارد تمويل ضخمة ونفوذاً كبيراً في المجال النووي الغربي والحصول على المواد والمعدات,وقد درت علاقة باكستان الاسلامية مكاسب كثيرة في هذا المجال.[٢٦] الا ان طموحات السيد بوتو اثارت الخلاف مع الولايات المتحدة حول قضية المفاعلات النووية,ففي عام ١٩٧٦,وبعد موافقة فرنسا على تزويد باكستان بمفاعل اعادة المعالجة,وصل وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك هنري كيسنجر لزيارة باكستان في اب(اغسطس)١٩٧٦ وطلب من السيد بوتو وقف نهجه والتخلي عن المفاعل النووي,الا انه رفض ذلك فأجابه كيسنجر(سوف نجعل منك مثالاً مروعاً).[٢٧] ولذلك يرى كثير من الباكستانين ان هناك صلة وثيقة بين معارضة الولايات المتحدة لصفقة محطة اعادة المعالجة النووية والانقلاب العسكري عام ١٩٧٧ واعدام ذو الفقار علي بوتو بعد ذلك. اذ اصبح برنامج التسلح النووي الباكستاني مرادفاً

للسيادة الوطنيــة والهيبة القوميــة، حتى عندما كان يديــره العسكريــون انفسهم الذيــن اقصوا اكثر سياســيي باكستان شــعبية.[٢٨]ويؤكد السيد بوتو ذلك بتحــرك الولايات المتحــدة ومحاولة اجــراء محادثــات معها,وبيــان تدخلهــا فــي شــؤون باكستان الداخلية وقد فتحت التحركات الامريكية الباب امــام حركة الاحتجاج الشعبية التي بدأت في باكستان في ربيع عام ١٩٧٧.[٢٩]

وبعــد انقلاب ٥ تموز(يوليــو) ١٩٧٧ بقيادة الجنــرال محمد ضيــاء الحق،أصبــح البرنامج النــووي اكثر مــن كونه رمزاً للهيبــة والسيادة الوطنيــة الباكستانية,ولاســيما عندمــا خضعت فرنسا للضغوط الامريكية والاوروبية واوقفت ســريان عقــد مفاعل إعــادة المعالجــة النووية وســحبت كل الفرنسيين من باكستان،[٣٠]وانكر الجنــرال ضياء الحــق وجود أية اســتخدامات عسكرية,وكــان حــذراً بعدم اســتبعاده احتمال القيام بتفجير,واســتمرت الجهــود النشيطة نحو تحقيق قــدرة فنيــة لاجــراء التفجير,فيما بقيت باكستان تصر في سياستها المعلنة بأن برامجها مخصصــة للاغراض السلميــة.[٣١] وتعرضت باكســتــان لقطع المعونات الاقتصادية الامريكية وخصوصاً القمــح بعد عام ١٩٧٩، وهو الامر الذي دعا باكستان لطلب معونة الدول الاسلامية والعربية.[٣٢]وبحلول ٢٣ شباط(فبراير)١٩٨١ اكــد الجنــرال ضياء الحــق ان باكســتــان لديها برنامــج متواضــع جــداً لمحاولــة تخصيــب اليورانيوم بعملية الطرد المركزي,وفي مرحلة بدائية جداً,وهذا ســوف لن يعطــي قنبلة,وهناك اشــياء عديدة اخرى ضرورية لانتاج قنبلة نحن لا نسعــى اليها,اننــا نسعى فقــط للحصول على منشآت لتخصيــب اليورانيوم لنستطيع ان نملك مفاعل المــاء الخفيف,ولم نفكر فــي اجراء أي تفجير سلمي كان أو غير سلمي ونحن لا نسعى الــى صنع ســلاح لابــد ان يفجر ســواء ألبسته رداء التفجير السلمي أو الــرداء العسكري.[٣٣] وقامــت الولايــات المتحــدة الامريكيــة بتعديل موقفها المعارض لاســتمرار البرنامج النووي الباكستانــي عقــب الثورة الاســلامية في إيران عام ١٩٧٩، ثــم الاجتياح السوفيتي لافغانستان واســتمرار وجود نظام ماركسي تابع للسوفييت فــي أفغانستان، وكذلك عقب اندلاع الحرب بين العراق وايران في أيلول(ســبتمبر) ١٩٨٠ فقد اصبحــت باكستان هــي خط الدفــاع الاول في جنوب الاتحاد السوفيتي السابق وصارت القوة الوحيــدة والقادرة في المراحل الاولى من وقف أي زحــف مــن أفغانستان الى ســواحل الخليج العربــي وبحر عمــان، والقادرة علــى احداث التوازن بين القوى المتصارعة في تلك المنطقة مــن العالم.وارتبط بذلك أيضــاً تعزيز القدرات الدفاعيــة لباكستان في مجال الاســلحة التقليدية بحيث يمكنها تعطيــل ووقف الزحف السوفيتي نحــو الخليــج وبحر عمــان، ووافقــت حكومة الولايــات المتحدة على تزويــد باكستان بـ ٤٠ طائــرة مقاتلة قاذفة حديثــة طراز أف ١٦ (E-١٦) وبدأ تسليمها اعتبارا من العام ١٩٨٣.[٣٤] وبحلــول عام ١٩٨٤ بدأ انتاج اليورانيوم عالي التخصيــب والعمل الجدي بصمت اعتماداً على الذات بدرجة كبيرة,وقدرتها على انتاج السلاح النووي في أي وقت ترغب في ذلك,[٣٥]وبحلول اذار(مارس)١٩٨٧ اكد عبد القدير خان رئيس برنامج تخصيب اليورانيوم الباكستاني ان بلاده امتلكــت قــدرات نووية,وبــدا البرنامج النووي في نظــر الباكستانيين وســيلة مطلقــة لضمان أمن باكستان ضــد نوايا الهنــد العدائية,ورمزاً للهيبة والسيادة الوطنية,واوضح الجنرال ضياء

الحـق ان بلاده مـن بين خمـس دول في العالم التـي تعرف وتمـارس هـذه التكنولوجيا,وهي التـي تنتـج يورانيـوم مخصب مـن مفاعلات اعادة المعالجة,وكرر الدكتور خان تصريحاته بـان باكستـان كسـرت احتكار الـدول الغربية في تخصيـب اليورانيـوم.[٣٦] ونجحت في عام ١٩٨٧ باجـراء تفجيـر نـووي بارد,وتطويـر القـدرات النوويـة العسكريـة ليصـل في عام ١٩٩١ لانتـاج ١٠ قنابـل نوويـة حسب بعض التقديرات.وبعد قيامهـا بالتفجيرات النووية في ٢٨ و٣٠ ايار(مايـو)١٩٩٨ أصبحت باكستان قـوة نووية,وقدر ما تملكه ما بين ١٥- ٢٠ قنبلة نوويـة ذات اعيـرة مختلفـة (٥- ٤٠ كيلوطن) [٣٧] واعلنـت باكستـان ان نجـاح التجارب هو الـذي برهن علـى قدراتهـا في مجـال التسلح النووي. واعلـن رئيس الوزراء نواز شـريف فـي خطابـه للشعـب الباكستاني "لقـد انتصفنا اليـوم مـن الهنـد وفجرنـا خمسـاً مـن قنابلنا النووية"، واضاف قائلاً: لقـد رددنا عليهم.[٣٨]

وبعـد الانقـلاب العسكري في عام ١٩٩٩. بـدأت القيـادة الباكستانية تعيد تقويـم خياراتها النووية، وكان قلقها بسبب المضاعفات الداخلية السلبيـة للتفجيـرات وقلقهـا مـن جـراء وطأة العقوبات علـى الاقتصاد، فهي تـدرك أخطار العجـز عن الوفـاء بالالتزامات في حال مضي الولايات المتحدة قدماً في حجب التمويل المتعدد الاطـراف. وبالرغـم من أن القيـادة العسكرية العليـا غيـر مستعـدة للتراجـع عـن البرنامج النووي،فهـي مدركة ايضاً أن باكستان لا تملك الوسـائل الاقتصاديـة والتقنيـة اللازمة لصنع ونشر اسـلحتها النووية على نطاق واسع، ذلك أن كلا الامرين يتطلب نفقات اضافية، كالنفقات اللازمة مثـلاً لاقامة بنية تحتيـة ملائمة للقيادة والسيطـرة والاتصالات، وهـذا ما لا يستطيع- علـى الارجـح- اقتصاد الدولـة المنهك تحمله.

لقد اسـهم الانقـلاب العسكري في عدم تنفيذ بنيـة القيادة والسيطرة التي وضعها رئيس هيئة الاركان.وفـي ٢ شـباط(فبراير)٢٠٠٠,صدق مجلس الامـن القومي على إنشـاء هيئة القيادة القومية للسيطـرة على السياسـة النووية,وهي مسؤولـة عـن وضـع سياسـة نشـر القـوات الاسـتراتيجية وتطويرها,وتجمـع الهيئـة لجنـة التحكم فـي التوظيف,ولجنـة التحكم في التطوير,ويقوم فرع الخطط الاستراتيجية بدور السكرتاريـة. ويتـرأس رئيـس الحكومة لجنة التحكـم فـي التوظيف,وتضـم وزيـر الشؤون الخارجية,ووزير الدفاع,ووزير الداخلية,ورئيس لجنـة هيئـة الاركـان المشتركة,وقـادة الاسـلحة,والمدير العام لفرع الخطط الاسترات يجية(مقراراً),والمستشاريـن الفنيين,واخريـن كلمـا اقتضى الامـر ذلك,أو طلبـه الرئيس.[٣٩]

ولـم تعلـن باكستان عن مبـادئ نووية,بل اوجدت استراتيجية بخطوط عريضة للظروف التـي قد تستخـدم فيهـا الاسـلحة النووية,دون اعلان رسمي متماسـك لسياسة ذلك الاستخدام وكيفيـة تنفيذها.إذ ركـزت هذه الاسـتراتيجية علـى الرد علـى تهديـد الهند لوجـود باكستان كدولـة وطنية,فالاسـلحة النوويـة تستهـدف اهدافاً هندية فقط,وتحديـداً مدن الشمال,ويمكن التفكيـر فـي الضربـات النوويـة فـي حـال مهاجمـة الهنـد لباكستـان وغـزو جـزء كبير من اراضيهـا,أو قيامها بتدمير جـزءٍ كبيرٍ من القـوات البريـة أو الجويـة الباكستانية,أو خنق باكستـان اقتصاديـاً عبر حصـار اقتصادي,أو عبـر تحويل مياه نهر السنـد,أو احداث تخريب

داخلـي ضخم من خـلال زعزعة الاسـتقرار السياسـي,ومنذ منتصـف عـام ١٩٩٩ وضـع نظام القيادة المركزية الباكستانية,للسيطرة على اسـتخدام التقنية النووية وتقنية الصواريخ,وقد تضمـن النظام اربعة مكونـات كبيرة هي: [٤٠]

١. إنشاء هيئة قيادة قومية.

٢. هيئة حاكمة للسيطرة على تطوير الاسـلحة النووية.

٣. قيادة القوات الاستراتيجية.

٤. أمانة أو سكرتارية لكل الهيئات الثلاث.

ولغـرض صـرف الانظـار عـن التطـور المتسارع لبرنامجها للاسـلحة النووية,عرض الزعمـاء الباكستانيـون مقترحـاً تلـو الاخـر لنـزع السـلاح النـووي اقليمياً دون اسـتجابة مـن الهند,فالرفـض الهندي عزز الدبلوماسـية الدفاعيـة الباكستانيـة واسـتخدام مضـي الهند بذلك في البعد الدولي وعززت التوافق الداخلي لصالح القـدرة النووية الباكستانية.وقد تضمنت المقترحـات الباكستانيـة التهديـد بالاعلان عن الاسـلحة النووية,واتفـاق مـع الهنـد للتفتيـش المتبـادل لمنشآتهم النوويـة والاتفاق في الوقت نفسه علـى التوقيع على معاهـدة منع الانتشار النـووي مـع الهند,وقبـول مشتـرك مـن الهند وباكستـان لضمانـات الوكالـة الدوليـة للطاقة الذرية,وحظر ثنائـي للتجارب النووية ,وإنشاء منطقة منزوعة السلاح اقليمياً وبموافقة الهند.[٤١]

المطلـب الثاني,محطات الطاقـة النووية الباكستانية

تحصـل باكستـان على وقودهـا النووي من الوقود الخام من كل من الولايات المتحدة وكندا وفرنسـا والنيجير والصيـن، فضلاً عن جنوب أفريقيا كمصدر مهـم، فضلاً لما تستخرجه من خام الفوسـفات من يورانيوم كما في الاسـلوب الاسرائيلي، هذا فضلاً عن توافر اليورانيوم في منطقة بلوشـستان الباكستانيـة، ولدى باكستان حوالي ٢٥٠ طناً من الوقود المحترق، فضلاً عن انتاجها حوالي ٢٢ طناً سـنوياً، وتفيد المصادر الغربيـة أن باكستان لديها القدرة على انتاج من ١٠-٢٠ قنبلـة نووية قـدرة كل منها من ٥-١٠ كيلوطـن أو عشـر قنابـل عيـار ٢٠ كيلوطن.

واسـتفادت باكستـان من الاسـلوب الصيني فـي تكنولوجيـا تخصيـب اليورانيـوم – ٢٣٥ وليـس فصـل البلوتونيـوم – ٢٣٩، مما يسهل تماماً عمليـات التعاون النووي والعلمي والفني والهندسـي والكيميـاوي والالكترونـي بينهما. إذ شـكل التعاون مع الصين حجـر الزاوية في تطوير القـدرات الباكستانيـة ,وارتكز التعاون علـى الندية والشراكة وتبـادل المنافع,غير هذا التعـاون لم يكن كافياً لتلبيـة جميع الاحتياجات الباكستانية,فالقـدرات النوويـة الصينيـة كانت متخلفـة الى درجـة لم تسمـح لباكستـان ببناء المفاعـلات اللازمـة لتحقيق الطـرد المركزي أو الحصـول علـى المـادة الكيميائيـة الخـام لليورانيـوم,أو هيكسافلوريد,كمـا ان التقنيـة النوويـة الصينيـة كانـت متخلفة بالقيـاس الى التصميمـات التـي احضرهـا العالـم النـووي الباكستاني عبد القدير خان معه من هولندا.ولذلك اضطـرت باكستان الـى المزاوجة بين التعاون مع الصيـن والاعتمـاد على مصـادر التوريد الاجنبية.[٤٢]كما تستخدم باكستان الطاقة النووية فـي توليد الكهربـاء منذ عقود,وفيهـا محطتان عاملتان,ولهيئـة الطاقة الذرية الباكستانية خبرة طويلـة في مجـال المفاعـلات النووية,وكانت

السلامة هي السمة الابرز للقطاع النووي الباكستاني.وتلبي المحطات النووية الطلب المتزايد على الكهرباء,ومصادر الطاقة المحدودة,وقد وافقت الحكومة الباكستانية على خطة لأمن الطاقة تكون الطاقة النووية جزءاً منها,ويرمي البرنامج الى تحقيق قدرة نووية تبلغ ٨٨٠٠ ميجاواط بحلول عام ٢٠٣٠[٤٣] وأبرز محطات الطاقة في باكستان هي:

١ـ محطة كراتشي للطاقة النووية

في بداية عقد السبعينيات من القرن العشرين,دخلت باكستان عضوية نادي النخبة للدول المستفيدة من الطاقة النووية في توليد الكهرباء,بتشغيل محطة كراتشي للطاقة النووية عام ١٩٧١,وهي من بناء شركة جنرال إلكتريك الكندية,ونجح العلماء الباكستانيون في تصنيع الوقود النووي وإنشاء منظومة دعم تقني للمحطة,وتم تطوير المنشآت لتصنيع بعض قطع الغيار الضرورية للمحطة,فأصبح من الممكن الاستمرار في تشغيل المحطة دون دعم من أي بائع.[٤٤]وقد تضمن مفاعل الابحاث الوحيد فيها والذي بدأ تشغليه عام ١٩٦٥، والمحطة النووية لتوليد الطاقة الكهربائية التي تعمل باليورانيوم الطبيعي والماء الثقيل، وهو مشروع كراتشي للطاقة النووية لاجراءات السلامة الشاملة للوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA).[٤٥] وجرى توقيع عقد هذه المحطة في عام ١٩٦٥ مع شركة كندية,وهي مفاعل للماء الثقيل المضغوط بطاقة ١٣٧ ميجاواط كهربائياً.واعتمدت باكستان على كندا في توريد الوقود وقطع الغيار والخدمات التقنية. الا ان اجراءات الحظر التي فرضت على باكستان في عام ١٩٧٦ ادت الى سحب دعم كندا للمحطة.لكن المحطة استمرت في العمل دون أي حوادث,لكن الحظر قلص امكانية الاستفادة من عمرها الافتراضي تقليل عامل السعة,وبحلول عام ٢٠٠٢ انتهى عمر المحطة التصميمي,وباشرت هيئة الطاقة الذرية الباكستانية بالعمل على تمديد عمر المحطة,ودلت مراقبة المحطة وعمليات التفتيش الدورية على ان معدات المحطة الرئيسة كانت بحالة جيدة,وبعد متابعة الوكالة الدولية للطاقة الذرية للمحطة أكدت انها مشروع نموذجي,ليصبح هو مشروع مميزات السلامة المتطورة(ISF) لمحطة كراتشي للطاقة النووية.وأخيراً أعيد تشغيل المحطة في كانون الثاني(يناير)٢٠٠٤,بعد وضع سقف للمحطة بحد اقصى للتقدير الكهربائي بـ ٩٠ ميجاواط كهربائياً,وهي تعمل بشكل آمن.[٤٦]

٢ـ محطة غاشما-١

تعود بداية فكرة هذه المحطة الى مطلع عقد السبعينيات من القرن العشرين,الا ان الظروف الدولية غير المواتية ونقص الامكانات الفنية والصناعية الحقيقية أخر انجاز المحطة لعقدين,وتحركت باكستان نحو الصين إذ ابرمت عقداً مع الشركة الوطنية الصينية للطاقة النووية في ٣١ كانون الاول(ديسمبر)١٩٩١,لتشييد مفاعل ماء مضغوط بقدرة ٣٢٥ ميجاواط كهربائياً,وسميت محطة غاشما- ١ للطاقة النووية. وتتميز محطة غاشما-١ بأنها اول محطة طاقة نووية تصدرها الصين,واول مفاعل ماء مضغوط في باكستان,وقد قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بمراجعة التصميم الاساس للمحطة,والمساعدة التقنية في الانشاء والتشغيل.وبدأت المحطة في

العمل في ١٣ حزيران(يونيو)٢٠٠٠.[٤٧]

٣- محطة غاشما-٢

أدى نجاح المحطة الاولى الى تحرك باكستان لغرض اقامة وحدة ثانية بالتعاون مع الصين. إذ وقع البلدان عقد لإنشاء محطة للطاقة النووية بجوار المحطة الاولى,وبقدرة توليد اجمالية ٣٤٠ ميجاواط كهربائياً.وقد وضع الحجر الاساس لها في ٢٨ كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٥,وكان المقرر وفق الجدول الزمني ان يبدأ التشغيل التجاري للمحطة في عام ٢٠١١.[٤٨] وهي ثالث محطة للطاقة النووية في باكستان. وتحتاج باكستان الى توليد الكهرباء ولذلك كان لا بد من توسيع برنامج الطاقة النووية لتحقيق القدرة على توليد طاقة نووية بقوة ٨٨٠٠ ميجاواط بحلول عام ٢٠١٣.[٤٩]

وقد اعترف العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان بدور الصين الاساس في تأمين الاسلحة النووية لبلاده,وتقديمها ٥٠كغم من اليورانيوم المخصب,وتصميم الاسلحة النووية,وتوفير اطنان من سادس فلوريد اليورانيوم للاجهزة النووية في باكستان.الى جانب ذلك,اكدت السلطات الصينية ان منظمة التعاون النووي الوطني الصيني وقعت اتفاقاً مع باكستان لتقديم مفاعلين نوويين جديدين في موقع غاشما الثالث والخامس.في رد على اتفاق التعاون النووي بين الولايات المتحدة والهند,ورفض توقيع هكذا ميثاق مع باكستان,وقد بررت الولايات المتحدة ذلك بسجل باكستان المرعب في التخصيب النووي,والمتمثل في شبكة عبد القدير خان.[٥٠]

المطلب الثالث,برنامج الصواريخ الباكستانية

لم يقتصر السباق مع الهند على المجال النووي حيث برز الى جانبه سباق الصواريخ,وقد احتل هذا السباق حيزاً كبيراً في سياسات التسلح,واعتماداً على القدرات الوطنية,الى جانب المساعدة التقنية من الدول الاخرى,ولاسيما بتقديم النظم الفرعية والمكونات الفنية والتسليحية,وكان الجزء الاهم هو الاعتماد على الشركات الدولية الكبرى متعددة الجنسيات المنتجة للسلاح,من اجل تجميع المكونات الرئيسة والثانوية للصواريخ الباليستية من العديد من الشركات الدولية متعددة الجنسيات المنتجة للسلاح,عبر عملية معقدة للتجميع والتركيب والابتكار والهندسة العكسية في آن واحد معاً.[٥١]

فقد بدأ برنامج الصواريخ الباكستانية في عام ١٩٧٤ من قبل رئيس الوزراء ذو الفقار علي بوتو الذي كان طموحه بأن تصبح باكستان قوة صاروخية ونووية,ومن خلال اعطاء الاولوية لتطوير برنامج الفضاء وبالتوافق مع المتطلبات العسكرية,التي بدأت في عام ١٩٦١ بإنشاء لجنة بحوث الفضاء والطبقات العليا الباكستانية(SUPARCO) وبإدارة بوتو.وبرزت اهمية الصواريخ في تطورات الوضع الاقليمي,وكان ذلك بوضوح خلال الحربين الافغانية والعراقية- الايرانية,عندما استخدمت على نطاق واسع من قبل الاطراف المتحاربة وبفاعلية مهلكة,وتعرضت عديدٌ من المدن الباكستانية الى ضربات صاروخية في اواخر الثمانينيات من القرن العشرين. وطورت اللجنة صاروخين هما شاهبور(٧ متر)بوقود صلب وبمرحلتين وبحمولة ٥٥كغم وبمدى ٤٥٠كم,وراهنوم ويحمل ٣٨ كغم وبمدى ١٠٠كم,وفي عام ١٩٩٢ انشأت هيئة تطوير الصواريخ لغرض انتاج الصواريخ,وهدفها توفير الاموال والمصادر واختيار الصواريخ وتطويرها

وطنياً,ووضعها تحت اشراف عسكري,وبعد سنوات اظهرت الهيئة عدداً من الصواريخ بعضها طور وطنياً وبمساعدة خارجية والاخرى وردّت وجمعت في باكستان.[٥٢]

وبرزت قدرات باكستان الصاروخية في ثلاثة مكونات رئيسية,شمل المكون الاول الصواريخ القصيرة المدى(هاتف-١) التي يتراوح مداها بين ٦٠- ١٠٠كم,و(هاتف- ٢) الذي يبلغ مداه ٢٨٠كم,وبتصميم وتركيب باكستانيين.ويقوم المكون الثاني على سلسلة صواريخ شاهين التي تستخدم الوقود الصلب الذي استوردته لجنة الطاقة الذرية الباكستانية من الصين. واجريت التجارب عليها في منتصف عام ١٩٩٨,وهي تناظر الصواريخ الصينية من طرازي أم- ٩ ودي أف- ١٥ على التوالي. ويتعلق المكون الثالث باستيراد صواريخ نودونج الكورية الشمالية,واختبارها تحت مسمى غوري,وصواريخ تايبودونج الاطول مدى.وتكمن اهمية صواريخ غوري في الزيادة الكبيرة في مداها وشحنتها الانفجاريين اللذين يمكن نظرياً ان يهددا سائر ارجاء الهند تقريباً.[٥٣]

ومنذ عام ١٩٨٤، بدأت باكستان في انتاج اليورانيوم المخصب اللازم لانتاج رؤوس نووية لصواريخ قصيرة المدى في عام ١٩٨٩، وهذا ما دفع وزير الخارجية الباكستاني الى التصريح في عام ١٩٩٢، بأن باكستان اصبحت تملك المكونات كافة التي تؤهلها في الاقل لتصنيع وامتلاك السلاح النووي. اعلنت باكستان في ٢٥ نيسان(ابريل)١٩٨٨ انها جربت صاروخين احدهما بمدى ٨٠كم والاخر بمدى ٣٠٠كم,وهي صواريخ هاتف ١ و٢ وبحمولة ٥٠٠كغم,الا انها اظهرت نقصاً في وظيفة التوجيه والسيطرة,وفقدان القدرة التكنولوجية المطلوبة لتجاوز تفوق صاروخ سكود.وطورت باكستان صاروخ هاتف ٣,وجرت تجربته في عام ١٩٨٩ وهو بمرحلتين ويعمل بالوقود الصلب وبمدى ٦٠٠كم,وبحمولة ٥٠٠كغم,واستندت الى صواريخ M٩ وMII الباليستية الصينية. وبحلول نيسان(ابريل)١٩٩٨ جربت باكستان صاروخاً باليستياً متوسط المدى غوري(هاتف- ٤) وهو قادر على حمل رؤوس نووية,وبمدى ١٥٠٠كم وحمولة ٧٠٠كغم.وفي العام نفسه جربت باكستان صاروخ تارموك متوسط المدى قادر على حمل رؤوس نووية لحد ٧٠٠كم وصاروخ شاهين- ٢ بعيد المدى ولمسافة ٢٠٠٠كم ويعملان بتكنولوجيا الوقود الصلب لحمل رؤوس نووية الى اهداف منتقاة[٥٤] وتوحي الادلة المستقاة من التجارب النووية والصاروخية الباكستانية بانها يمكن ان تزود صواريخ شاهين وغوري الباليستية برؤوس حربية نووية بمدى يتراوح بين ٦٠٠- ٢٥٠٠كم,مما يجعل جميع المدن الهندية الكبرى في مدى هذه الصواريخ باستثناء كالكوتا,ومدراس.[٥٥]ولذلك يؤكد الدكتور عبد القدير خان ان باكستان لديها (سلسلة من هذه الصواريخ وفي مراحل مختلفة من الانتاج وان اجزاءها تم شراؤها من مختلف انحاء العالم,وانا لا احدد من اين اشترينا هذه الاجزاء لتلك الصواريخ فهي متوفرة في كل انحاء العالم. وان باكستان قد طورت توابع لـ غوري في

شـكل صاروخ غزنوي بمدى ٢٠٠٠كم.)[٥٦]

وكـان الإنجاز الأكبـر في تجربة الصاروخ (جوهـري) الذي يبلغ مداه ١٥٠٠ كم ويستطيع حمـل رأس نووي. وتم فـي عام ١٩٩٩ إجراء أول تجربة للصاروخ هاتف- ٤ المعروف باسم شاهين ١ وهو صاروخ باليستي متوسط المدى. وعـرض فـي اليـوم الوطنـي الباكستاني يوم ٢٣ آذار(مـارس) ٢٠٠٠ صاروخان من نوع هاتـف- ٦ ويسمى شـاهين ٢ أو غزنوي,وكان ذلـك مؤشـراً بـأن الفـرق الباكستانيـة قـد انخرطـت كذلـك في سـباق لإنتـاج صاروخ ذي قـوة نوويـة. لقد أنجـز فريـق البلوتونيوم صفقـة مـع الصيـن لامتـلاك صـاروخ ٨٨ - ١١ (المعـروف فـي باكستـان بالشاهين) وقام فريق تخصيـب اليورانيوم مع كوريا الشمالية، فأحـرزت مطورة صـاروخ سـكود، النودونغ (والـذي يدعـى الغـوري في باكستـان، (وهو مقاتـل مسلـم انتصر علـى منافسه الهندوسـي بريثفـي، وهو اسـم صـاروخ الهنـد المقابل) ويذكر أن السعوديـة وليبيا كانتا الظهير المالي لجهود نشـر السـلاح النـووي الباكستاني.[٥٧]

اعتمـدت باكستـان بشكـل كبير علـى التعاون مع الصيـن في مختلـف المجـالات العسكرية عموماً,وانصـب التعاون على تطوير صاروخ أم- ١١ وهـو صاروخ باليستـي تكتيكي يعمل بالوقود الصلب,ومـداه حوالي ٣٠٠كم,ويحمل رأس واحـد يتـراوح وزنـه بيـن ٧٥٠-٨٠٠كغم,وتعـاون البلديـن فـي تنفيـذ تصنيع الصـاروخ الباكستانـي مـن طـراز هاتف- ٢ ارض- ارض,فضـلا عـن تطويـر صـاروخ باليستـي بعيد المدى من طراز غوري- ٢,وهو قـادر على حمل رؤوس نووية,ويصل مداه الى حوالـي ٢٣٠٠كم,[٥٨]وقـد ظهر ذلـك واضحاً عندمـا اجـرت باكستـان تجاربهـا النووية في أيـار ١٩٩٨، وفي مدة لا تكفي فنياً لاسـتكمال أي نقـص فـي البرنامـج النـووي الباكستاني. فقد تضمنـت التجارب قنابل نوويـة انشطارية (يورانيـوم مثـرى) ذات أعيـرة (٥) كيلوطن و(١٠) كيلوطـن و(١٨) كيلوطن و(٣٥-٤٠) كيلو طن وتضم الترسـانة النوويـة الباكستانية فـي تمـوز ١٩٩٨، ١٥-٢٥ رأس قنبلة نووية ذات أعيـرة نوويـة مـن ٥-٤٠ كيلوطـن.[٥٩]

سـعت الصين الى ابراز سياستها من خلال القنـاة الباكستانية ليس فقط في جنوب آسـيا بل لغرب آسـيا ايضاً التي اصبحت مركزاً للتنافس الدولي,وبـدت حساسـية الصين تجـاه مخاوف باكستان الامنية عامي ١٩٦٥ و ١٩٧١,والدعم الصينـي لباكستان بالمعـدات ومنشآت الانتاج العسكـري دون مقابل.وفي الرؤية الصينية فقد يكون لباكستان النووية زاوية سـوفيتية ايضاً,إذ تتصور الصين ان باكستان سـتستطيع يوما ما سـد الفجوة فـي جنوب غرب آسـيا في احتواء نـووي الاتحـاد السوفيتي:حيـث يغطي الحلف الاطلسـي والصيـن الخاصرتيـن السوفيتيتين وتغطـي الولايـات المتحـدة الجانـب الشمالي واسـرائيل الجانب الجنوبي.أما الفجوة الجنوبية الغربيـة التي يروج عنها بأنهـا هدف للاندفاع السوفيتـي سـعياً للحصـول علـى موانـئ في الميـاه الدافئـة فسوف تبقى بـدون غطاء بدون قنبلـة باكستانية.فضـلا عـن ان رؤيـة الصين

لباكستان نووية قد يساعد في تحويل جزء من اهتمام الهند النووي من مبرره الوحيد وهو مواجهة السلاح النووي الصيني.[٦٠]

وتبرز المصالح القومية والاحتياجات الاستراتيجية وراء تدعيم العلاقات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية بين باكستان والصين.فالصين تحتاج الى باكستان في سياستها الاقليمية,لاعتبارات تتعلق بالحفاظ على الامن والاستقرار الاقليمي,وكبح أو تحجيم الطموحات الهندية.ويشكل التحالف بين الصين وباكستان نقطة ارتكاز استراتيجية تمكن الاولى من مد نفوذها الاقليمي في جنوب آسيا والمحيط الهندي.كما يلعب دوراً مهماً في موازنة علاقات الصين الاقليمية مع كل من الهند والولايات المتحدة.فدعم باكستان هو نوع من المواجهة المحكومة مع الهند مما يقلل من ضغط الاخيرة استراتيجياً على الصين.ومن ناحية اخرى,فان الصين تنظر بعين الريبة الى الوجود الامريكي في افغانستان,بوصفه جزءاً من الاستراتيجية الامريكية لتطويقها. كما ترى في الضغط الامريكي المتصاعد على باكستان,في اطار الحرب على الارهاب,خطراً يهدد مصالح الصين الاقتصادية هناك,ومحاولة لزعزعة تمركزها الاستراتيجي على شاطئ المحيط الهندي.ولذلك تتزايد اهمية باكستان مع صعود الهند الاقتصادي,والتقارب الهندي- الامريكي,ومحاولة تدعيم الوجود الامريكي في شرق آسيا,فضلاً عن جنوبها.[٦١]

المطلب الرابع, باكستان والانتشار النووي

ان التوسل بمنجزات العلم الحديث وتطويع الطاقة الذرية لخدمة اهداف وتطور ورفاه المجتمع,وصيانة أمنه وردع الاعداء هو امر مرهون بما يملكه المجتمع من اسباب النهوض على الاصعدة سياسية واقتصادية وعلمية كافة,فالطموح الى بناء أو استيراد جزيرة نووية(سابقة التجهيز) تسبح وحيدة في بحر زاخر بمظاهر التخلف والبؤس والتأخر هو ليس الا نوعاً من التفكير الخرافي لا عائد منه سوى تكريس فقدان القدرة وتبديد الامكانات في طلب المستحيل.

ويرتبط بالحديث اعلاه ما طرح من شعار القنبلة النووية الاسلامية تارة والقنبلة النووية العالمثالثية تارة اخرى,فقد ظهر الاول وحقق رواجاً كاسحاً مع نجاح باكستان في تفجير قنبلتها النووية الاولى في ايار(مايو)١٩٩٨,الا ان ذلك لم يظهر أي علامة على ان نجاح بلد مسلم في حيازة سلاح نووي يمكن ان يضيف شيئاً الى رصيد القوة العربية.كما ان شعار القنبلة النووية العالمثالثية الذي برز بعد نجاح كوريا الشمالية في تفجير قنبلتها النووي,الا ان الشعارين يثيران مشكلة مزدوجة,فهذا الحجم الفادح من السذاجة يتجاهل حقائق السياسة الدولية والقوانين التي تحكم العلاقات بين الدول بما لا يسمح أبداً بافتراض ان يتبرع طرف لطرف آخر بما لديه من وسائط قوة,لاسيما القوة النووية,تحت إلحاح أو إحراج روابط معنوية مهما كانت متانتها وعمقها.فالقنبلة الباكستانية ستظل باكستانية ومظلة ردعها ستبقى محدودة بحدود مصالح باكستان واهداف استراتيجيتها

الأمنيــة فقط,وهذه هي الحقيقة التي تنطبق على ايــران كما باكستان وعلى كوريــا الشمالية من باب أولى.[٦٢]فيما تعد تقنية إعادة معالجة الوقود النــووي المستنفــد لانتاج البلوتونيــوم من اجل الاسلحة النووية هي الاهم,وإذا أتقنت دولة تقنية تخصيــب اليورانيــوم الى ما يقــارب ٤٪ على مقيــاس صناعي,فإنها يمكــن ان تخصب حتى ٩٠٪ واعلــى من ذلك,وذلك قريــب من درجة الاســلحة.ويتزايد القلق مــن ان الانتاج المتزايد والمتاجــرة فــي اليورانيوم المخصــب الملازم للاعتمــاد الاكبر على الطاقة النووية ربما يزيد خطر إنتاج الاسلحة وتحويل اليورانيوم,ويجب ان تتخــذ إجــراءات فعالة لكي تضمــن ان كل المــادة النوويــة داخــل حدودهــا وعبرها تبقى فــي أيد تتمتع بالصلاحيــة لمنع الاطراف الذين لا يتبعــون دولــة من اقتناء المــادة النووية لكي يصنعوا قنابل قذرة.[٦٣]فسوء استخدام المنشآت النووية المدنيــة لانتاج مــواد انشطارية بقصد صنــع قنبلة نوويــة يمكن ان تمثل احد اســلحة التدميــر الشامل,فقنبلــة واحدة يمكــن ان تودي بحيــاة ١٠٠ الــف مــن البشــر أو اكثــر ,تبعــاً للكثافــة السكانيــة في المدينــة المستهدفــة.[٦٤]

وتبــدو منطقــة جنــوب آســيا هــي منطلق الشــرارة النوويــة التي تهــدد العالــم. ومنذ ان التحقــت الباكستان بالنادي النووي بعد ان فعلت الهند ذلك، بدأ العالم يحبس انفاســه قلقاً عند كل مواجهة بين البلدين. ان هذا الموقف اسوأ بكثير مــن الحرب الباردة التــي كانت تجري عن بعد على الاغلــب بالنيابة.فالواقع النــووي الخطير الــذي يكمــن في هــذه المواجهــة قد تــم تأكيده عندمــا حدثت التجارب النوويــة في ايار(مايو) ١٩٩٨، وجــاءت الادانــة العالمية الاقوى تجاه باكستــان، التــي اصبحــت اول دولة اســلامية تمتلــك القنبلــة النووية، وبالتأكيد فــان أي دولة يمتلــك خصمها الرئيــس القنبلــة النووية كانت ســتفعل ما فعلته باكستان.وقد رفضت باكستان المشاركــة في الاجــراءات العالميــة للسيطرة علــى التسلــح النووي,وبتزايد الضغــط الدولي علــى باكستــان لإعــادة النظــر فــي برنامجها للاسلحة النووية,استمرت سلطات صنع القرار في رفض هكذا مطالب مبررة سياستها النووية على اساس طبيعتها الدفاعية والردعية لمواجهة التهديــدات الفعليــة والكامنــة مــن الهند,وهــي الحجة ذاتهــا التي تبرر بها القيــادة الباكستانية الدعــم الداخلي برنامجها للطاقــة النووية,الذي يحظى بدعم اغلبية الشعب,ولاســيما في مرحلة الغمــوض النــووي التي ميــزت مرحلة تجميع المواد النووية دون اعلان أو امتلاك الاســلحة النووية.وقــد نجحت باكستــان في تحقيق ترابط وثيق بين سياســتها الرسمية والادراك العام في القضيــة النووية والقضايــا المتعلقة بالامن.[٦٥]

ومنــذ العام ٢٠٠٢ ظهــرت معلومات مهمة حــول التعــاون النــووي بيــن باكستــان كوريا الشماليــة، وهذا مــا دفع الولايــات المتحدة الى فــرض عقوبــات علــى مختبرات ابحــاث عبد القديــر خان فقــط (معهد الدكتور خــان)، وفي اواخــر العــام ٢٠٠٣ وجــد في ســفينة تسمى (ب. بــي. جاينا) فــي عرض البحر المتوســط مكونــات حساســة لطــرد المركــزي مرســلة مــن ماليزيــا الى ليبيــا. وتبيــن ان الاجهزة في

ماليزيا كانت مرتبطة بالدكتور خان. وقالت ليبيا بان باكستان هي مصدر التقنيات واجهزة لطرد المركزي. وهذا ما جعل باكستان تبدو المصدر الناشر للتكنولوجيا النووية المحظورة الى بعض اكثر انظمة العالم خطورة. [٦٦]

وشكل نشاط شبكة خان في السوق النووية السوداء معضلة للسياسة الامريكية التي لم تمارس ضغطاً يذكر على الحكومة الباكستانية يتجاوز وقف نشاط الشبكة,والحصول على معلومات بشأنها,في ظل حاجة الولايات المتحدة للدعم العسكري والامني الباكستاني في افغانستان,وضد القاعدة,وبما اوضح الطابع البراجماتي لسياسة الانتشار النووي الامريكية[٦٧] وكان انكشاف دور خان في نشر المعلومات النووية ربما كان يمثل واحدة من اكبر الازمات التي واجهت باكستان. فالغرب بصورة عامة والولايات المتحدة بصورة خاصة كان يطالب برأس خان، ولكنه كان يمثل للشعب الباكستاني بطلاً واسماً محبباً ومصدر اعتزاز، أي انه كان يعد قنبلة الشعب الباكستاني النووية، والحقيقة هي انه كان عالم معادن ومسؤولاً عن حلقة واحدة فقط في سلسلة التطور النووي، غير انه تمكن ان يكون لنفسه صورة بين البرت انشتاين وروبرت اوبنهايمر.[٦٨]

لقد بات واضحاً، ان التوجه الى السلاح النووي من قبل الدول النامية، يتعارض مع الامكانات السياسية، والموقع العسكري لهذه الدول على خارطة الصراع الدولي. بمعنى اخر ان امتلاك احدى دول العالم الثالث، مثل باكستان والهند وكوريا الشمالية، انما هو افلاس استراتيجي. فالمحطة الاولى لهذه الحالة، ان الدول النامية التي تمتلك السلاح النووي، تصبح في مصاف الدول «المشاغبة» او التي تهدد الاستقرارين: الاقليمي والدولي.وهذا ما يثير تساؤلاً مهماً، فحواه هل يعتقد العسكريون في باكستان بامكانية استخدام سلاحهم النووي ضد الهند في الصراع القائم حول كشمير؟ بالمقابل، هل يتصور احد في امكانية ان تفاجئ الهند باكستان باستخدام السلاح النووي كما استخدمته الولايات المتحدة في العام ١٩٤٥ ضد اليابان في هيروشيما وناجازاكي؟

وهذا ما يثير سؤالاً مهماً، عن من ساعد الهند في موضوع التسليح النووي أو ليست اسرائيل هي التي زودتها بالأجهزة الرئيسة وبعلوم السلاح النووي؟ هل كانت الولايات المتحدة بعيدة عن هذا القرار الاسرائيلي بتسهيل دخول الهند النادي النووي؟.

ويكمل ما تقدم هل كانت واشنطن جاهلة لما يجري على ارض مؤسسات النظام العسكري الحليف لها في باكستان من توجهات لدخول النادي النووي؟.

فالتجربة التاريخية، توضح ان امتلاك الاطراف المتصارعة للسلاح النووي من شأنه، ان يقود الى توازن ما يسمى بالرعب النووي. وهو الرعب الذي يؤدي الى نوع خاص من الصراع، اطلق عليه اصطلاح «الحرب الباردة» بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي في النصف الثاني من القرن الماضي.[٦٩] كما ان باكستان تواجه خسارة في

مجال تقنية المعلومات. وتحظى الهند بفرصة الكسب من الاحداث الحالية، وهناك مساعي للاستفادة من قوتها الفنية وخبراتها وتقنيتها في مجال المعلومات. وهذا ما ظهر في بعض دول الخليج العربي وآسيا الوسطى واوروبا الغربية، وعززه تزايد المشاعر المعادية للمسلمين بسبب الارهاب[٧٠]فالاستراتيجية الامريكية بعد احداث ١١ ايلول(سبتمبر) ٢٠٠١ تسامحت مع باكستان بخصوص خطاياها النووية,بسبب تعاونها في الحرب على الارهاب,كما تغاضت الادارة الامريكية عن انتهاك الهند الصارخ لمعاهدة الحد من الانتشار النووي,وبات من الصعب ان تجعل الادارة قضية مكافحة الانتشار النووي على رأس أولوياتها وهي تتغاضى في الوقت نفسه عن عمليات الانتشار النووي,أو مساءلة الدول التي تنتهك الاتفاقية الدولية الخاصة بذلك.[٧١]

الهوامش

١- نعيم احمد ساليك.التحديات الداخلية في باكستان وتأثيراتها في المنطقة.سلسلة محاضرات الامارات. العدد١٣٦.مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.ابوظبي.الطبعة الاولى.٢٠١٠.ص٣-٦.

٢- ستار جبار علاي.باكستان,دراسة في نشأة الدولة وتطور التجربة الديمقراطية.دار الجنان للنشر والتوزيع.عمان.الطبعة الاولى.٢٠١٣.ص٥.

٣- ستار جبار علاي.باكستان,دراسة في نشأة الدولة وتطور التجربة الديمقراطية.مصدر سابق. ص١٨٧.

٤- سمينة احمد.برنامج التسلح النووي الباكستاني نقاط التحول والخيارات النووية.دراسات عالمية. العدد٣٩.مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.ابوظبي.الطبعة الاولى.٢٠٠١.ص٧.

٥- سمينة احمد.مصدر سابق.ص ٧- ٨.

٦- ستار جبار علاي.التجربة الباكستانية,الديمقراطية وبناء النظام السياسي.العربي للنشر والتوزيع. القاهرة.الطبعة الاولى.٢٠١٨.ص١٨.

٧- لقد ضمت هيئة الطاقة الذرية معهد باكستان للعلوم النووية والتكنولوجيا(بينتش),ويضم مفاعلان مخصصان للأبحاث,ومنشآت انتاج مواد صيدلانية مشعة,ومراكز طب نووي مختلفة,ومراكز للابحاث الزراعية والتقنية الحيوية والهندسة الجينية,ومنشآت تشعيع الأغذية,ومجمعات التصنيع الميكانيكي,وورش الاجهزة والتحكم,ومراكز تطوير الموارد البشرية,فضلاً عن الإنشاء والتشغيل لمحطات طاقة نووية وتطوير دورة الوقود.وللمزيد انظر:انصار بارفيز وغلام رسول آثار.أوضاع الطاقة النووية وفرصها في باكستان. في جمال سند السويدي(معداً).الطاقة النووية في الخليج. مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. ابوظبي. الطبعة الاولى.٢٠٠٩.ص٣٦٣- ٣٦٤.

٨- احمد ابراهيم محمود.التجارب النووية الهندية-الباكستانية:الآثار الاستراتيجية والانعكاسات بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط. في محمد ابراهيم منصور(محرراً). الخيارالنوويفيالشرقالاوسط. مركز دراسات الوحدة العربية(بيروت) ومركز دراسات المستقبل(القاهرة).الطبعة الاولى.٢٠٠١. ص٤٧٦.

9-SaminaAhmed,Public

opinion,democratic governance and the making of Pakistani nuclear policy,In Eric Arnett(ed),Nuclear Weapons and Arms control in South Asia After the Test Ban,Stockholm International Peace Research Institute,1998,p58.

١٠- نقلا عن:ب.ك.س.فامبوديري.موقف باكستان النووي. في ك.سوبرا همانيام(معداً). اساطير وحقائق نووية. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.١٩٨٧.ص١٩٨- ١٩٩.

١١- ب.ك.س.فامبوديري.موقف باكستان النووي. في ك.سوبرا همانيام(معداً).مصدر سابق. ص. ص٢١٣.

١٢- المصدر نفسه. ص١٩٩.

١٣-صدقي عابدين، القوة العسكرية الهندية، في الهند دولة دولة الالفية الثالثة، ص١. المصدر: .WWW aljazeera.net/in-depth/india/htm.

١٤- ب.ك.س.فامبوديري.مصدر سابق. ص٢٠٠.

١٥- سمينة احمد. مصدر سابق. ص١٤.

١٦- ب.س.جايارامو.المناطق الخالية من الاسلحة النووية ومعاهدة المنع وجنوب آسيا. في ك.سوبرا همانيام(معداً). مصدر سابق. ص١٢١- ١٢٢.

١٧- ب.ك.س.فامبوديري.مصدر سابق. ص١٩٩.

١٨- Samina Ahmed ,pp٥٩,٩٠, cit-.٦٠.

١٩- ستار جبار علاي.تطور النظام السياسي في باكستان (١٩٤٧- ١٩٩٩).دار امجد للنشر والتوزيع.عمان. الطبعة الاولى.٢٠١٩.ص١٥٣.

٢٠- محمد نبيل فؤاد طه. مصدر سابق. ص٣٦٢.

٢١- ب.ك.س.فامبوديري.مصدر سابق. ص٢٠١.

٢٢- ستار جبار علاي.تطور النظام السياسي في باكستان (١٩٤٧- ١٩٩٩).مصدر سابق.ص١٥٣.

٢٣- ولد عبد القدير خان في مدينة بوبال الهندية في ١ نيسان(ابريل)١٩٣٦ ودرس في باكستان ثم في المانيا الاتحادية,وخلال اعوام ١٩٦٣- ١٩٦٧ درس علم المعادن في جامعة دلفت للتكنولوجيا,وواصل دراسته في لوفين حتى ايار(مايو)١٩٧٢ حيث حصل على الدكتوراه من هناك عام ١٩٧١,دخل في خدمة(FDO)وهي احدى شركات المقاولة الكبرى في يورينكو(وهو مركز يضم شركاء وهم كل من المانيا,وهولندا,والمملكة المتحدة,ويعمل على تخصيب اليورانيوم داخل حدودها,وتكنولوجيا الطرد المركزي) في ايار(مايو)١٩٧٢ في مشروع النابذة الغازية,واستمر خان في عمله حتى مطلع اذار(مارس)١٩٧٦.وللمزيد من التفاصيل انظر: ك.سوبرا همانيام(معداً). مصدر سابق. ص٢٣٥- ٢٣٦.ايضاً:نوران طالب وشاش ولطفي حاتم. العلاقات الدولية وتدويل الطاقة النووية السلمية. مركز الكتاب الاكاديمي. عمان. الطبعة الاولى.٢٠١٥.ص١٣٣.

٢٤- احمد ابراهيم محمود.التجارب النووية الهندية- الباكستانية:الآثار الاستراتيجية والانعكاسات بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط. في محمد ابراهيم منصور(محرراً).مصدر سابق.ص٤٧٧- ٤٧٨.

٢٥- اشرف عبد الغفار. الانتشار النووي. المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية.القاهرة.٢٠٠٨. ص٢٧.

٢٦- ب.ك.س.فامبوديري.مصدر سابق.ص٢٠٨- ٢٠٩.

٢٧- ستار جبار علاي.تطور النظام السياسي في باكستان (١٩٤٧- ١٩٩٩).مصدر سابق.ص١٧٦.

٢٨- سمينة احمد. مصدر سابق. ص١٤.

٢٩- ستار جبار علاي.ذو الفقار علي بوتو ودوره في الحياة السياسية الباكستانية ١٩٢٨- ١٩٧٧. دار امجد للنشر والتوزيع.عمان.٢٠١٩.ص١٦٠- ١٦١.

٣٠-Samina Ahmed,op,cit ,p٦٠.

٣١- ب.ك.س.فامبوديري.مصدر سابق. ص٢١١.

٣٢- وللمزيد ينظر: ممدوح حامد عطية.اسلحة الدمار الشامل في الشرق الاوسط,بين الشك واليقين؟ الدار الثقافية للنشر.القاهرة.٢٠٠٤.ص٥٦.

٣٣- ب.ك.س.فامبوديري.مصدر سابق. ص١٩٧.

٣٤- ممدوح حامد عطية، مصدر سابق، ص٥٨-٥٩.

٣٥- محمد نبيل فؤاد طه. مصدر سابق. ص٣٦٣.

36-Samina Ahmed,op,cit,p 60.

٣٧- محمد نبيل فؤاد طه. مصدر سابق. ص٣٦٣- ٣٦٤.

٣٨ -سمية أحمد. مصدر سابق. ص٢٨-٢٩.

٣٩- كريس سميث.الاسلحة النووية في جنوب آسيا. سلسلة محاضرات الامارات.العدد٩٨.مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. ابوظبي.الطبعة الاولى.٢٠٠٦.ص١٩.

٤٠- كريس سميث. مصدر سابق. ص١٨- ١٩.

٤١- Samina Ahmed,op,cit ,p٦١- ٦٢.

٤٢- احمد ابراهيم محمود.التجارب النووية الهندية- الباكستانية:الآثار الاستراتيجية والانعكاسات بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط. في محمد ابراهيم منصور(محرراً).مصدر سابق.ص٤٧٧.

٤٣- انصار بارفيز وغلام رسول آثار.أوضاع الطاقة النووية وفرصها في باكستان. في جمال سند السويدي(معداً).الطاقة النووية في الخليج.مصدر سابق.ص٣٧٢.

٤٤- انصار بارفيز وغلام رسول آثار. مصدر سابق. ص٣٥٣.

٤٥- ينظر: سمينة احمد.مصدر سابق. ص٩-١١.

٤٦- انصار بارفيز وغلام رسول آثار.مصدر سابق. ص٣٦٤- ٣٦٦.

٤٧- المصدر نفسه. ص٣٦٦- ٣٦٨.

٤٨- المصدر نفسه. ص٣٧٠- ٣٧١.

٤٩- كانت نسبة الكهرباء المولدة من النفط خلال عامي ١٩٨٠- ١٩٨١,وزادت الى اكثر من ٢٠٪ بحلول عامي١٩٨٩- ١٩٩٠,وارتفعت الى ٤٠٪ بحلول عامي ٢٠٠٠- ٢٠٠١,وارتفعت حصة توليد الكهرباء بالاعتماد على الغاز الى ٥٠٪ خلال عامي ٢٠٠٤- ٢٠٠٥.وللمزيد انظر: انصار بارفيز وغلام رسول آثار.مصدر سابق. ص٣٥٣- ٣٥٦.

٥٠- رضا محمد هلال.الصين وباكستان.. علاقات وثيقة.مجلة السياسة الدولية.العدد ١٨٣.يناير ٢٠١١.ص١١٩.

٥١- احمد ابراهيم محمود.التجارب النووية الهندية- الباكستانية:الآثار الاستراتيجية والانعكاسات بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط. في محمد ابراهيم منصور(محرراً).مصدر سابق.ص٤٧٩.

٥٢- راجيتا براي.برنامج الصواريخ الباكستانية.ترجمة ستار جبار علاي.محطات استراتيجية.العدد٥٨. مركز الدراسات الدولية.جامعة بغداد.٢٠٠١.ص١- ٣.

٥٣- كريس سميث. مصدر سابق.ص١٤- ١٥.

٥٤- راجيتا براي.برنامج الصواريخ الباكستانية.مصدر سابق.ص٣- ٩.

٥٥- كريس سميث. مصدر سابق.ص١٥.

٥٦- ستار جبار علاي.الصواريخ الباليستية في آسيا رؤية في القدرات.محطات استراتيجية.العدد٧٢. مركز الدراسات الدولية.جامعة بغداد.٢٠٠١.ص٦.

٥٧- مأمون كيوان.السلاح النووي الباكستاني:التحديات والمصير.معهد الامام الشيرازي الدولي للدراسات. واشنطن.المصدر: http://siironline.org/ htm.٥٢٢/(٠١)alabwab/derasat

٥٨- احمد ابراهيم محمود.التجارب النووية الهندية-الباكستانية:الآثار الاستراتيجية والانعكاسات بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط. في محمد ابراهيم منصور(محرراً).مصدر سابق.ص٤٧٩.

٥٩- سمينة احمد.مصدر سابق.ص ٢٨.

٦٠- ب.ك.س.فامبوديري.مصدر سابق.ص٢٠٦- ٢٠٨.

٦١- رضا محمد هلال. مصدر سابق. ص١١٦.

٦٢- جمال فهمي.مصدر سابق. ص٣٦.

٦٣- هانز بلكس.مصادر الطاقة النووية:نظرة عالمية وإقليمية. في جمال سند السويدي(معداً).الطاقة النووية في الخليج.مصدر سابق.ص٣٤- ٣٥.

٦٤- تشارلز دي.فيرجسون.البنية التحتية الأمنية ومعايير عدم انتشار الاسلحة النووية.في جمال سند السويدي(معداً).الطاقة النووية في الخليج.مصدر سابق. ص١٧٩.

65- Samina Ahmed,op,cit ,pp53- 54.

٦٦-وللمزيد ينظر: برويز مشرف. على خط النار, مذكرات الرئيس الباكستاني. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت. الطبعة الاولى. ٢٠٠٧.ص ٣٦١-٣٧٢.

٦٧- محمد عبد السلام.السياسة الامريكية تجاه القضايا النووية في الشرق الاوسط.مصدر سابق.ص٥.

٦٨-وللمزيد ينظر: برويز مشرف، مصدر سابق، ص ٣٦١-٣٧٢.

٦٩- عثمان العثمان.الحرب الامريكية ضد افغانستان دور الـ C.I.A في احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. مطابع دار الوحدة الوطنية. ابوظبي. الطبعة الاولى. ٢٠٠٢.ص ٥١-٥٢.

٧٠- مقصود الحسن النووي.مستقبل باكستان بعد احداث ١١ ايلول/سبتمبر ٢٠٠١ وحرب الولايات المتحدة الامريكية في افغانستان. سلسلة محاضرات الامارات.العدد٦٨. مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. ابوظبي. الطبعة الاولى.٢٠٠٣.ص٣٢.

٧١- راي تاكيه.ايران الخفية.عرض وتعليق مجدي كامل.دار الكتاب العربي.دمشق- القاهرة.الطبعة الاولى.٢٠٠٧.ص٣٤- ٣٥.

التمويل السياسي في العراق

أ.د. باسم علي خريسان (*)

المقدمة

يعد موضوع تنظيم العمل الحزبي في مختلف مجالاته من المواضيع المهمة في البلدان التي تسعى الى مؤسسة العمل الديمقراطية وذلك لاهميته في بناء تجربة ديمقراطية مستقرة ومن اهم مجالات العمل الحزبي التي تحتاج الى التنظيم والمأسسة هو مجال التمويل السياسي الذي تحصل عليه الاحزاب السياسية لذلك لابد من وجود اطر قانونية ومؤسساتية تعمل على تحقيق ذلك ، والعراق مع حداثة تجربته الديمقراطية ما بعد ٢٠٠٣ كان بحاجة الى اطار قانوني ومؤسساتي يتعلق بتنظيم العمل الحزبي عموماً والتمويل السياسي للاحزاب والمرشحين خصوصاً، لذلك يعد قانون الأحزاب العراقي رقم (٣٦) لسنة ٢٠١٥، نقطة تحول في المسار الديمقراطي في العراق ما بعد ٢٠٠٣، لدوره في بناء إطار قانوني حاكم ومنظم لتأسيس العمل الحزبي في العراق، فمن عمل حزبي اتصف بالعشوائية وسوء التنظيم إلى عمل حزبي يسعى ليكون أكثر تنظيماً و مؤسساتياً، فمن يقراء القانون سوف يجد بأنه سعى مع كل ما يحتويه من عيوب إلى أن يكون خطوة إلى الأمام في مؤسسة الحياة الحزبية في العراق. فالقانون في مواد عديدة قد فصل في طريقة تأسيس الأحزاب،و سعى من جهة أخرى إلى تنظيم سلوكها الحزبي وعمل على إخضاعها إلى مراقبة ومحاسبة مؤسسات الدولة الرقابية، ومن الفضاءات السلوكية للأحزاب السياسية التي سعى القانون إلى تنظيمها للحد من مظاهر الفساد فيها هو موضوع التمويل السياسي، فالأحزاب كغيرها من الفواعل السياسية بحاجة إلى المال لإدامة وجودها السياسي قبل الإنتخابات من خلال تأسيس مقرات حزبية وكسب الأنصار والمؤيدين وتعزيز حضورها الإجتماعي والسياسي في المجتمع، وكذلك هي بحاجة إلى الأموال أثناء الإنتخابات إذ وجود الأموال يساهم في تعزيز حضورها الإعلامي والدعائي في المجتمع، ما يعزز من فرصها الإنتخابية ولا يقتصر الأمر على مرحلة الإنتخابات، بل حتى بعد إنتهاء الإنتخابات تبقى الأحزاب بحاجة إلى المال، إما للمحافظة على نصرها الإنتخابي أو لمعالجة فشلها الإنتخابي.

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد

اولاً: مفهوم التمويل السياسي:

تعريف التمويل السياسي، أو ماهو التمويل السياسي؟ التعريف الضيق يعرفه بـ(المال الانتخابي)، اي المال الذي يصرف من قبل المرشحين للوصول للمناصب العامة، وايضا من قبل أحزابهم السياسية أو من قبل الأفراد الاخرين أو المجموعات المنظمة للمؤيدين. وهو يستخدم بصورة خاصة لتنافس في الانتخابات ولدفع تكاليف الاستجابة إلى القوانين التي تحكم التمويل السياسي. المال الانتخابي غالباً يعرف كتمويل للحملة، منذ ان بدأت الأحزاب السياسية تعتبر جزءاً أساسياً في الحملات الانتخابية في عديد من اجزاء العالم، ومنذ ذلك برزت صعوبة رسم الحدود الفاصلة بين تكاليف الحملة ونفقات منظمات الحزب والنفقات العادية، وأموال الحزب يمكن ان تكون تعبير عن التمويل السياسي بصورة اوضح، وتمويل الحزب يشمل ليس فقط نفقات الحملة، ولكن ايضا تكاليف مكاتب الحزب الدائمة[١]. وايضا تتضمن القائمة الكاملة المرتبطة بالتمويل السياسي، وكذلك الموارد المالية للحزب، والمنح المقدمة للمسؤولين المنتخبين، والموارد المالية للمنظمات السياسية، والموارد المالية لجماعات الضغط، والموارد المالية للضغط السياسي، والموارد المالية للتقاضي في القضايا السياسية ذات الصلة، والموارد المالية لوسائل الإعلام المناصرة، وموارد مالية سياسية فاسدة، ومبالغ غير رسمية مدفوعة إلى المسؤولين المنتخبين، ومبالغ غير رسمية مدفوعة إلى الموظفين العموميين، ومبالغ غير رسمية مدفوعة إلى وسائل الإعلام،و مبالغ الغرض منها تطوير العملية الانتخابية بأكملها[٢].

لذلك فالتمويل السياسي مصطلح يشمل تمويل الأحزاب وتمويل الحملات الانتخابية، فتعتبر الأنظمة البرلمانية مدفوعة بتأثير الحزب في الغالب فيما تتاثر الأنظمة الرئاسية كما في الولايات المتحدة الامريكية بالمرشح أكثر، وسواء مثل المرشحون ام الأحزاب الجهة المانحة والمنفقة للمال من اجل تمويل العملية السياسية في نظام ديمقراطي، فان أهمية المال في كل نظام لاتتغير. لذا فان المصطلح المعتمد في الأنظمة البرلمانية هو التمويل الحزبي، اما في الانظمة الرئاسية فالمصطلح هو تمويل الحملات[٣].

والتمويل السياسي يتأثر ويؤثر بالعلاقات بين الأحزاب، والسياسيين، وأعضاء الحزب والناخبين، المسائل المالية مهمة للديمقراطية والسبب يعود لكون أغلب النشاط الديمقراطي لايمكن حدوثه بدون المال. التعاريف الضيقة للتمويل السياسي تركز على تمويل العملية الانتخابية والأحزاب، ولكن في الحقيقة، هنالك كثيرٌ من الناشطين الإضافين الذين يعملون خارج الحزب ولهم دورٌكبير في النشاط السياسي وتشكيل الاجندة السياسية العامة، والتأثير على التشريع أو المنافسات والنتائج الانتخابية[٤] والتمويل السياسي له تأثيرات حيوية على صحة الديمقراطية،فالتنافس الانتخابي بحاجة إلى المال، المرشحون والأحزاب السياسية هم بحاجة إلى التمويل من اجل طباعة برامجهم الانتخابية، وإجراء لقاءات سياسية، والاغراض الأخرى،وكذلك البحث عن مساهمات لتمويل هذه النشاطات يمكن ان يودي إلى تشويه

المنافسة بين المرشحين وبين الأحزاب[٥].

ثانيا: اشكال التمويل السياسي :

تتعدد اشكال التمويل السياسي المقدم الى الاحزاب السياسية باختلاف الدول حيث نرى لكل دولة نظامها الخاص في تحديد الكيفية التي تحصل بها الاحزاب على التمويل ،فالبعض منها يعتمد طريقة التمويل العام الذي تقدمه الدول للاحزاب ودول اخرى تعتمد التمويل الخاص الى جانب التمويل العام ،تقليدياً الأحزاب السياسية في الديمقراطيات الليبرالية كانت تمول من القطاع الخاص أكثر من القطاع العام، من خلال تبرعات الأفراد والشركات، ومساهمات الأعضاء. هذا الشكل من تمويل الحزب يعكس مفهوم الأحزاب كروابط خاصة وتطوعية، مع ذلك تعد الأحزاب جزءاً كبيراً من الديمقراطيات الليبرالية ويمكنها الوصول إلى التمويل العام، إذ نلاحظ بان (٧٧٪) من الأحزاب في الديمقراطيات الليبرالية القديمة تتسلم معونات مباشرة من الدولة. اما في الديمقراطيات الجديدة في الجنوب وغرب ومركز أوربا، توفر الدولة (٩٠٪)من المعونات إلى الأحزاب، وفي أمريكا اللاتينية والكاريبي(٧٨٪) من الدول تقدم معونات مالية إلى الأحزاب. أما في أفريقيا(٤٤٪) من الدول الديمقراطية تقدم معونات مالية[٦]. التمويل سواء العام المقدم من الدول او الخاص المقدم من المجتمع (افراداً ومؤسسات) قد يكون تمويل مباشر من خلال تقديم الاموال للاحزاب او يكون تمويل غير مباشر الذي يشمل جميع اشكال الدعم غير المالي الذي تحصل عليه الاحزاب من الدولة او المجتمع وقد تشمل الوصول المجاني أو المدعوم إلى الإعلام وتأمين أماكن للتجمعات وتنظيم الاحداث وخفض التكاليف البريدية وغيرها من المساهمات غير النقدية. واما الاسباب الكامنة وراء اللجوء إلى التمويل العام هي العمل على تأمين الموارد الأساسية للأحزاب والمرشحين للعمل بشكل صحيح، ويقلل من احتمال الفساد المتبادل بين المساهمين والسياسيين، ويعد التمويل العام مصدر للشفافية المال السياسي، والتمويل العام ايضا يشكل قوة في الاذعان إلى نظم التمويل السياسي إذ كلما كان هنالك الالتزام بالشفافية من قبل الأحزاب كلما زاد التمويل العام وفي نفس الوقت يكون له دوراً رادعاً ضد من يتجاوز نظم تمويل السياسي ونظم الحملات[٧] اما الجهة المسؤولة التي تتولى الاشراف على إدارة التمويل العام فهي تختلف باختلاف الدول، فبعض الدول تضع هذه المسؤولية بيد هيئة الانتخابات الوطنية كما هو الحال في الولايات المتحدة الامريكية، وفي حالات أخرى نجد بان الجهة المسؤولة هي وزارة المالية والإدارة، أو يتم ذلك من قبل مجلس خاص من القضاة يتم تعيينهم من البرلمان للاشراف على التمويل العام[٨]. اما في العراق فالجهة المسؤولة عن ادارة التمويل العام هي مفوضية الانتخابات عن طريق دائرة الاحزاب فيها.

ثالثا:التنظيم القانوني للتمويل السياسي في العراق:

إذا كان المال يحمل تاثيراً كبيراً في واقع ومستقبل الاحزاب السياسية من جهة، ولنزاهة

العملية الإنتخابية الديمقراطية من جهة أخرى، يصبح أمر تنظيمه ومراقبته هو الآخر أكثر أهمية، من هنا عند البحث في التنظيم القانوني للتمويل السياسي في العراق سنجد قانون الأحزاب العراقي رقم (٣٦) لعام ٢٠١٥ لم يغفل أمر التمويل السياسي للأحزاب فهو سعى إلى تنظيمه ، إذ أفرد له فصلاً كاملاً وهو الفصل الثامن، وحددت المادة (٣٣) مصادر تمويل الحزب وهي كل من: (أولاً: إشتراكات أعضائه، ثانياً: التبرعات والمنح الداخلية، ثالثاً: عوائد إستثمار أمواله وفقا لهذا القانون، رابعاً: الإعانات المالية من الموازنة العامة للدولة بموجب المعايير الواردة في هذا القانون)[٩]، لكن نجد القانون عند تحديد مصادر تمويل الحزب لم يتناول التمويل غير المباشر بصورة واضحة وإنما اقتصر على التمويل المباشر الذي يحصل عليه الحزب ما ترك موضوع التمويل غير المباشر الذي ربما يكون مجال واسع لحصول الأحزاب على الأموال بصورة غير مباشرة والتي تتمثل بالدعم الإعلامي والخدمي والتطوعي...الخ. الأمر الذي يفسح المجال لممارسات فاسدة في عملية تمويل الحزب، كذلك أشار القانون إلى موضوع إشتراكات الأعضاء في الحزب كمصدر من مصادر تمويله إلا أنه لم يحدد سقف محدد لهذه الإشتراكات[١٠]. كما نصت عليها المادة (٣٥/ ثانياً): (لا يتحدد الدخل الكلي المستحصل من إشتراكات أعضاء الحزب السياسي بسقف معين). ما يجعل البعض من الأحزاب تحصل على أموال كبيرة تحت مسمى (إشتراكات الأعضاء). كذلك القانون في المادة (٣٨) فسح المجال للأحزاب للحصول على الأموال من خلال الإستثمار في عدة مجالات وهي كل من: (أولاً: نشر وإعداد وتوزيع المطبوعات والمنشورات أو غير ذلك من مواد الدعاية والنشرات السياسية والثقافية، ثانياً: النشاطات الإجتماعية والثقافية، ثالثاً: الفوائد المصرفية، رابعاً: بيع وإيجار الممتلكات المملوكة له) [١١].

وفي كل مجال من هذه المجالات يمكن للأحزاب الحصول على أموال من داعمين محليين وأجانب، حيث يمكن لهذه الأطراف القيام بشراء مطبوعات الحزب بكميات كبيرة بغرض دعم الحزب، وكذلك الحال في المجالات الأخرى المتعلقة بالفوائد المصرفية، إذ يمكن أن تمنح المصارف فوائد كبيرة للأحزاب أو تعمل هي أو أي طرف آخر على شراء ممتلكاتها بأثمان مرتفعة، وهذه الممارسات سوف تساهم في تعزيز دور المال الفاسد في العملية الإنتخابية الديمقراطية. أما ما يتعلق بالتمويل العام من الموازنة العامة للدولة فقد جاء في المادة (٤٢) (تتسلم الأحزاب السياسية إعانة مالية سنوية من ميزانية الدولة، ويتم تحويلها إلى حساب كل حزب من قبل وزارة المالية).[١٢]

لكن المشكلة في الأمر ترك أمر الموافقة على التقدير السنوي للإعانة إلى وزارة المالية، وترك أمر البت فيه إلى مجلس الوزراء ومن ثم إلى مجلس النواب عند المصادقة على الموازنة وهذا الأمر يحمل خطورة، ربما تأتي هذه الإعانات أما كبيرة أو محدودة تبعاً للظروف السياسية والإقتصادية للبلاد وتخضع للمصالح السياسية ما يجعل منها ورقة سياسية بين الأحزاب، وهذا ما أشارت له المادة (٤٣) من القانون (تختص وزارة المالية بالموافقة على

التقديـر السنوي للمبلـغ الكلي للإعانـة المالية المقدمـة من الدولـة للأحزاب، وتقـدم اقتراحاً بذلك إلـى مجلس الوزراء للبـت فيه وتضمينه فـي مشـروع الموازنة العامـة للدولة).أما أمر توزيعهـا للأحـزاب نجد بأن القانـون قد أعتمد طريقة التوزيع على أساسـين: الأول: المساواة بين الأحـزاب المسجلـة في دائـرة الاحزاب، إذ منح جميـع الأحزاب نسبـة (٢٠٪) والثاني (٨٠٪) يتـم توزيعهـا علـى أسـاس مقاعد كل حزب من الأحزاب في مجلس النواب العراقي، كمـا جـاء فـي المـادة (٤٤): (تتولـى دائـرة الأحـزاب توزيـع المبلغ الكلي للإعانـة المالية على الأحـزاب السياسـية وفقاً للنسـب الآتية: أولاً: (٢٠٪) عشـرون بالمائـة بالتساوي على الأحـزاب السياسـية المسجلة وفـق أحكام هذا القانـون)[١٣]. وهذا الأمر كذلـك جعل توزيعها قـد يتأثـر بالبعـد السياسـي في حالـة خضوع المفوضيـة ودائـرة الأحزاب للتأثير السياسـي بواسطة حزب أو أحزاب مؤثر فيها. ثانياً: (٨٠ ٪) ثمانون بالمائة توزع على الأحزاب الممثلة فـي مجلس النواب وفقاً لعـدد المقاعد التي حاز عليها مرشحوها في الإنتخابات النيابية ما يعطي الأرجحيـة للأحـزاب الفائزة فـي الإنتخابات.

أما ما يتعلق بموضوع استلام الحزب للمعونة من طـرف أجنبي جـاءت في القانـون مادتين تناقض أحدهما الآخر ففي المادة (٣٧/ ثانيا) منع القانون ذلك إذ أشـارت المـادة في نصها (تمنع كل التبرعات المرسـلة من أشخاص أو دول أو تنظيمـات أجنبية)، لكن في المـادة (٤١/ أولاً) نجـد القانون يسمح بذلك ولكـن يشترط موافقة دائرة الأحزاب (على الحزب الإمتناع عما يأتي أولاً: قبول أموال عينية أو نقدية من أي حزب أو جمعية أو منظمة أو شـخص أو أية جهة أجنبية إلا بموافقـة دائرة الأحـزاب) [١٤]، وهذا الأمر سـوف يخضع للمزايدات والضغوط السياسية، وسوف يفسر القانون وفقا لمصالح طرف على حساب الطـرف الآخر. لذلك لابـد من معالجة هـذا الموضوع أما عن طريق تعديل القانون أو إصـدار تعليمات تنظم ذلك من دائرة الأحزاب.

مـن جهة أخرى، قانـون الأحزاب بحاجة إلى الكثير مـن الفقرات للحد من الفساد في التمويل السياسـي، إذ لـم يكن القانـون واضحـاً كثيراً فيمـا يتعلق بموضوع (الكشـف والشفافية)، إذ لا يمكـن الحد من الفساد في التمويل السياسـي بتحديد مصـادر التمويل السياسـي فقط، ولكن لابد من أن تكون هنالك منظومة رقابية تفرض علـى الأحزاب الكشـف عن مصـادر تمويلها بصورة تتسم بالشفافية[١٥] إذ أشـار القانون في هـذا المجال إلى موضـوع الكشف فـي المادة (٣٦) (أولاً: عنـد إسـتلام التبـرع، يتم التحقق من هوية المتبرع وتسجل في سـجل التبرعات الخـاص بالحزب، ثانياً: يتم نشر قائمة أسـماء المتبرعين فـي جريدة الحـزب). ولكنه إكتفاء بالإشـارة إلى هوية المتبرع فقـط، ولم يشترط تسجيل مبلغ التبرع من جهة، ومن جهة أخرى، لم يحدد سـقف للتبرعات إذ جعل الباب مفتوحاً وهذا يساهم في قيام الأشخاص والشركات بدعم حزب معيـن فـي الإنتخابات من أجـل تحقيق مصالحها الخاصة، ما يعزز من ظواهر الفساد السياسـي والإقتصادي في البـلاد عند وصول تلك الاحزاب المدعومة بواسطة تلك الأطراف.

كذلـك طلـب مـن الحـزب أن ينشر أسـماء

المتبرعين وليس حجم تبرعاتهم وأن يتم ذلك في جريدة الحزب وهنا أكثر من مشكلة فبعض الأحزاب لا تمتلك جرائد أو توزع عدداً محدوداً وذلك يخل بمبدأ الشفافية المطلوبة فيما يتعلق بالتمويل السياسي في المجتمعات الديمقراطية. ومن جهة أخرى جعل المشرع موضوع الكشف من مسؤولية الحزب عن طريق تقديم كشف سنوي بحساباته إلى ديوان الرقابة المالية وهذا ما نصت عليه المادة (٣٩/ ثالثا): (يقدم الحزب تقريراً سنويا بحساباته يعده مكتب محاسب قانوني مرخص ويرفع تقريره إلى ديوان الرقابة المالية)، ولكن المشكلة أن ديوان الرقابة المالية هو جهاز تدقيقي أكثر منه جهاز مسؤول عن الكشف عن الفساد في التمويل السياسي وفي ذات الموضوع الزم القانون ديوان الرقابة المالية برفع تقريره إلى ثلاث جهات سياسية أكثر منها قضائية وهي كل من مجلسي النواب والوزراء ودائرة الأحزاب كما نصت المادة (٣٩/رابعاً): (يرفع ديوان الرقابة المالية تقريراً ختامياً عن الأوضاع المالية للأحزاب إلى مجلسي النواب والوزراء ودائرة الأحزاب)[١٦]، وكان من الأجدر أن يتم نشر التقرير عبر وسائل الإعلام الرسمية من أجل تعزيز مبدأ الشفافية في التمويل السياسي.

وأخيراً، لم يعالج القانون مسائل عديدة تحمل من الأهمية في موضوع مكافحة الفساد في التمويل السياسي، الأمر الذي يتطلب تعديل للقانون وبالأخص في موضوع مكافحة الفساد في التمويل السياسي الذي تحصل عليه الأحزاب من مصادر غير قانونية ومنها:

١ - تحديد سقف المساهمات : تستلم الاحزاب اشكالاً مختلفة من المساهمات سوء كانت عينية او غير عينية من جهات مختلفة في المجتمع سواء كانت مساهمات من اعضائها او الافراد والمؤسسات الخاصة لكن المشكلة في الموضوع ان القانون لم يحدد سقف لهذه المساهمات وهذا يعتبر قصور واضح في القانون.

٢- تحديد سقف الانفاق:لم يحدد القانون سقف للانفاق الحزبي، ولاسيما في موسم الانتخابات ما يخل بمبدأ المساواة النسبية بين الاحزاب في امتلاك القدرات المادية للمشاركة في التنافس الانتخابي ويجعل الاحزاب التي تنفق اكثر يكون لها حضوراً واسعاً بين الناخبين وهذا يعتبر قصور ثاني في القانون يعكس صورة من صور الفساد في التمويل السياسي.

٣-لم يعالج القانون موضوع التمويل غير المباشر الذي تقدمه جهات مرتبطة بصورة غير مباشرة بالاحزاب او غير مرتبطة مثل المؤسسات الاعلامية والشركات التجارية والنقابات ومنظمات المجتمع المدني إذ تشكل مساهماتها مبالغ كبيرة للاحزاب.

٤-لم يعالج القانون المساهمات مجهولة الهوية التي قد ترسل الى الاحزاب والمرشحين والتي لابد من تحديدها .

٥- لـم يشيـر القانـون الـى الهيئـة المسؤولـة عـن إلـزام الاحـزاب والمرشـحين بتطبيـق القانـون فيمـا يتعلـق بالتمويـل السياسـي .

٦- لم يتناول القانون موضوع التمويل السياسي المقـدم الـى المرشـحين المستقليـن او الذين لهـم ارتباط غير مباشـرة بالاحـزاب ما يوفر للاحـزاب مصادر تمويل غير مباشـرة ، ومن جهـة اخرى اكتفى القانـون بمعالجة موضوع التمويل السياسـي للاحزاب ولاتوجد اي اشارة الـى التمويـل السياسـي للمرشـحين كافـراد .

٧-لـم يشيـر القانـون الـى الـى الكشـف عن مطلوبات الحزب وهي كل ما يتعلق بالقروض والسلـف وغيرها التي يتطلبهـا عمل الحزب .

٨- لم يذكر القانون موضوع موجودات الحزب وهـي تشمـل محتـوى الحسابـات المصرفية واحجام خطوط الائتمان وقيم استثمارات راس المـال مثل الممتلكات والعقـارات والسيارات .

٩- العقوبة المتعلقة بالتمويل السياسـي يشوبها الغمـوض واقتصرت على المـادة (٤٩)(اولاً: يعاقـب بالسجـن كل مسئـول او اي عضو من اعضـاء الحـزب اذا قبـل أو تسلم مباشـرةً أو بالوسـاطة مالا أو حصل على ميـزة أو منفعة بـدون وجه حق من شـخص عراقي طبيعي أو معنـوي لممارسـة أي نشـاط يتعلـق بالحزب. ثانيـاً: تكون العقوبة السجن مدة لا تقل عن (٦) ست سـنوات ولا تزيد على (١٠)عشر سنوات إذا كـان المال أو الميزة أو المنفعة من شـخص أجنبـي طبيعي أو معنوي.ثالثـاً: تقضي محكمة الموضـوع بمصـادرة كل الامـوال المنقولـة وغير المنقولة المتحصلة من هذه الجريمة)[١٧].

رابعـاً: آليات مكافحة الفسـاد فـي التمويل السياسي:

التوصيـات لايمكـن القضاء علـى الفساد في التمويل السياسـي فـي المجتمعات التي قطعت شوطاً طويلاً في التجربة الديمقراطية إذ يشوب العملية السياسـية والانتخابية كثيراً من ظواهر الفساد السياسـي لكن مع ذلك تعد نسبة محدودة بالمقارنـة مـع حجـم الفسـاد فـي المجتمعات التـي تعيـش فتـرة انتقاليـة ولاتـزال التجربة الديمقراطيـة فيها وليدة ،والعراق منها إذ حداثة التجربـة الديمقراطية في العـراق والصعوبات الماديـة والذاتيـة التـي واجهتهـا ولاتـزال تواجههـا، جعـل التجربـة العراقية فـي مجال التمويل السياسـي خجولة حيـث لايزال هنالك قصـور كبير فـي مختلف المجـالات المطلوبة في ما يتعلـق بموضوع التمويل السياسـي من قلـة المعرفة حول موضوع التمويل السياسـي لـدى مؤسـسات الدولـة والاحـزاب والشعب والاعـلام ومنظمات المجتمـع المدني ولاتزال المنظومة التشريعيـة والقانونية فقيرة جداً فيما يتعلـق بالقوانين المطلوبة للحد مـن الفساد في التمويل السياسـي ، واذا كـان قانون الاحزاب الجديـد يعد خطوة من اجل الحد من الفساد في التمويل السياسـي عن طريـق تنظيم جزء منه

،فلابد من تعزيز هذه الخطوة بخطوات اخرى تتعلق بموضوع التمويل السياسي والتي يمكن اجمالها كالتالي[١٨]:

١- تعديل قانون الاحزاب رقم (٣٦) لعام ٢٠١٥ بالشكل الذي يوسع من الاحكام التي تتعلق بتظيم التمويل السياسي للاحزاب .

٢- العمل على تشريع قانون مستقل للتمويل السياسي يكون اكثر تفصيلاً لمجمل المجالات المتعلقة بالتمويل وبالاخص موضوع تمويل المرشحين المستقلين .

٣-الاهتمام اكثر بموضوع التمويل العام كوسيلة للحد من تاثير الفاسد لتمويل الخاص على الاحزاب والمرشحين والعملية السياسية في البلاد.

٤-العمل على تضمين قانون الاحزاب او تشريع قانون جديد يتضمن المواضيع التي تتعلق بتحديد سقف للمساهمات المقدمة للاحزاب والمرشحيين المستقلين من جهة ومن جهة تحديد سقف الانفاق في الانتخابات .

٥- تطوير وسائل الكشف عن مصادر تمويل الاحزاب والمرشحين بالشكل الذي يعزز من الشفافية من خلال الزام الاحزاب والمرشحين بتقديم كشوف دورية للايرادات التي يحصلون عليه .

٦- تأسيس هيئة تتعلق بموضوع الالزام اوالانفاذ او تكليف دائرة الاحزاب او هيئة النزاهة او القضاء بذلك .

٧-تعزيز دور الجهات الرقابية للكشف عن مظاهر الفساد التي تشوب مصادر تمويل الاحزاب والمرشحين .

٨- تشريع قانون يتعلق بالجرائم التي تتعلق بالفساد في التمويل السياسي.

٩-تعزيز دور القضاء في موضوع الفساد في التمويل السياسي من خلال توسيع صلاحية (الهيئة القضائية للانتخابات) والتي تعتبر محكمة الموضوع كما اشار الى ذلك قانون الاحزاب في الفصل الاول - المادة (٢-ثانياً) محكمة الموضوع: (الهيئة القضائية للانتخابات) المشكلة بموجب قانون المفوضية العليا المستقلة للانتخابات رقم ١١ لسنة ٢٠٠٧ المعدل).١٠-تعزيز دور الاعلام ومنظمات المجتمع المدني فيما يتعلق بالرقابة على الفساد في التمويل السياسي.

١١- تعزيز المعرفة العلمية من خلال دعم المشاريع البحثية في الجامعات ومراكز الابحاث التي تتعلق بالتمويل السياسي واليات معالجة الفساد فيه.

١٢- تعزيز الثقافة السياسية لدى الاحزاب والمرشحين فيما يتعلق بتمويل السياسي القانوني.

١٥- نشر ثقافة السياسية المتعلقة بالتمويل السياسي بين جمهور الناخبين بالشكل الذي يعزز الرقابة الشعبية ويساهم في الحد من اشكال الفساد التي تشوبه.

١٦-العمـل على تطويـر الرقابة المؤسـساتية علـى الاحـزاب السياسـية بحيـث لاتتـرك الاحزاب في مختلف مجالات عملها دون رقابة تساهـم في ضبـط سـلوكها وفقا للقانـون [١٩].

الخاتمة

يعد موضوع التمويل السياسي من المواضيع المهمـة التي تحتـاج الى جهد مؤسـساتي كبير وبالاخـص فـي الـدول التـي تعيـش تجربـة ديمقراطية حديثة إذ لاتتوفر البنى المؤسـساتية والبشريـة لمطلوبـة لتحقيـق ذلـك ، والتجربة العراقيـة في العمل الحزبي تعيـش ذات الحال وهي بحاجة الى جهد مؤسـساتي كبير للانتقال بهـا من حالتها الراهنة إذ لايزال العمل الحزبي يتسم بالضعف المؤسـساتي من جهة ومن جهة اخـرى لاتتوافر المؤسـسات الرسـمية الكفؤة المسؤولة على مأسـسة العمل الحزبي وتنظيمه بالشكل الذي يساهم في استقرار وتطور التجربة الديمقراطية ، مـع ذلك يمكن النظر الى قانون الاحزاب رقـم ٣٦ لسنـة ٢٠١٥،كخطوة نحو معالجة ذلك الخلل فـي العملية الديمقراطية من خلال مأسـسة العمل الحزبي عموماً ومؤسسة التمويل السياسـي خصوصاً وتكليف المفوضية المستقلـة العليـا للانتخابات وبالاخـص دائرة شؤون الاحزاب مسؤولية الموافقة على تأسيس الاحزاب ومراقبة سلوكها خلال الانتخابات وما بعدها في مختلف المجالات ومنها المجال المالي، فضلاً عن مسؤولية ديوان الرقابة المالية وهيئة النزاهـة والسلطة القضائية في الحد من انتهاك الاحزاب للقانون في ما يتعلق بالتمويل السياسي.

الهوامش

١- مركـز دراسـات الاسـتراتجية والدوليـة- جامعة بغداد

2-IFES,Enforving political finance laws: Iraing Handbook-June. 2005. p4.

٣- د. ماركيـن واليكـي، التمويـل السياسـي والفسـاد، ترجمـة المؤسـسة الدوليـة لنظـم الانتخابـات، سـلسلة الاوراق البيضـاء للتمويـل السياسـي الخـاص، المؤسـسة الدوليـة لنظـم الانتخابيـة، تاريخ بـلا، ص١.

٤- الوكالـة الاميركيـة للتنميـة الدولية،كتيـب عـن دور المال في السياسـة: دليـل إلى زيادة الشفافية في الأنظمة الديمقراطية الناشئة،سلسلة المنشـورات التقنيـة، ٢٠٠٣، ص٩.

5- DR. Marcin walec;I,political money and corruption, IFES,www. google. com.

6 -Michael pinto-Duschinsk, poltical financing in Commonweath,Britain, Newnorthe print limited,p7. Www. the commonwealth. org.

7-Ingrid Van Biezen, Party regulation and constitutionzation: Acompartive Overview, http://www.partylaw.leidenuniv.

nl/uploads/, pp25-47.

8-Dr. Kevin Casas –Zamora, Public funding solutions for political parties in muslim-majority societies,U. S.A: IFES,2008,p17.

9-Magnus Ohman, practical solutions for the public funding of political parties and election campaigns, political finance regulation: the global experience,IFES,u. s. a,2010,p2.

١٠- قانون الاحزاب السياسية رقم ٣٦-٢٠١٥، موقع مجلس النواب العراقي. http://arb.parliament.iq/archive/٢٠٢١٨/٢٧/٠٨/٢٠١٥/

١٢- أ.د.باسم علي خريسان، التمويل السياسي :قراءة في قانون الاحزاب العراقي، شبكة النبأ المعلوماتية، ١١ اذار ٢٠١٨، https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/١٤٤٠١

١٣- قانون الاحزاب السياسية رقم ٣٦-٢٠١٥-المادة (٣٨).

١٤- نفس المصدر-المادة (٤٢).

١٥- المصدر السابق-المادة (٤٣-٤٤).

١٦- المصدر السابق –المادة (٤١).

١٧- للمزيد حول موضوع الكشف انظر : سامر ناهض خضير ، التمويل السياسي :دراسة في تمويل الاحزاب والحملات الانتخابية،دار السنهوري ، بيروت، ٢٠١٨.

١٨- قانون الاحزب السياسية-مصدر سبق ذكره- المادة(٤/٣٩).

١٩- المصدر السابق ،المادة (٤٩) ،للتوسع اكثر حول الموضوع انظر:سامر ناهض خضير ، مصدر سبق ذكره.

٢٠- د .باسم علي خريسان، دور ضبط التمويل السياسي في مكافحة الفساد : قراءة في قانون الاحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة٢٠١٥،مركز حوكمة السياسات العامة، بغداد،٢٠١٧.

٢١ - مع صدور قانون المفوضية الانتخابات الجديد رقم (٣١) في العام ٢٠١٩، ووفقا للمادة (١٩-١) تم تشكيل هيئة قضائية للانتخابات لتحل محل الهيئة القضائية السابقة حيث اشارات المادة(١٩-١)ما نصه

أولاً: يشكل مجلس القضاء الاعلى هيئة قضائية للانتخابات تتألف من ثلاثة قضاة غير متفرغين لا يقل صنف اي منهم عن الصنف الاول للنظر في الطعون المحالة اليها من مجلس المفوضين أو المقدمة من المتضرر من قرارات المجلس مباشرة الى الهيئة القضائية) –جريدة الوقائع العراقي – وزارة العدل –العدد٤٥٦٩-في ٣٠-١٢-٢٠١٩- ص٩.

٢٢- للمزيد حول الرقابة المؤسساتية انظر :د.باسم علي خريسان ،الرقابة على الاحزاب العراقية : قراءة- في قانون الاحزاب رقم (٣٦) لسنة ٢٠١٥، موقع كتابات ، ٢٠١٨، https://kitabat.com/٢٠١٨

مابين التطرف والارهاب (الفكر والفعل)

مجموعة باحثين (*)

المقدمة

التطـرف ظاهـرة نفسية اجتماعيــة عالمية تتشكل نتيجة العديد من الاسـباب منها (الجهل , الفقـر , الظلم , التهميـش , الانحلال , التفسخ المجتمعي) كما ترتبـط بالظروف الاجتماعية والسياسـية , وان انتشار الفكـر المتطرف في عديـد من الـدول بات يهـدد وحدتهـا الوطنية ووحدة مجتمعاتها بخطر الانقسامات والفوضى التي تهدد السلم الأهلي والمجتمعي .

جميع الاديان السماوية تحرم الاعتداء على الانســان وكرامته , والدين الاسلامي يدعو الى الســلم والتعايش والاحترام المتبادل بين شعوب العالم , وقد أشــارت القوانين والتشريعات على المســتوى الدولي والاقليمي والمحلي الى دور المنظمات الدوليــة ومنظمات المجتمع المدني في التعامل مع هذه الظاهرة من خلال حضرها وتجريم من يمارس ذلــك للحد من اثارها على المجتمــع من جميع النواحي . لقد كان لأنهيار الوضع الامني المتسارع وغير المتوقع واحتلال تنظيم (داعش) الارهابي لثلاث محافظات وقعاً مدوياً على مســامعنا إذ كــان مؤلماً جداً على ضمير العسكريين والقوات الامنية والاكثر تأثيراً على مناطق شــمال بغداد إذ كانت تعيش حالة من التوتر وعدم الاستقرار بعد سقوط النظام في العام ٢٠٠٣ وبتأثير من توغل التطرف (كفكر) وتحوله بشكل ســريع الى الارهاب (كفعل) , ادى هذا الانهيار الى اثار سلبية على المؤسسة العسكرية بشــكل خاص والمجتمع بشكل عام واصبح يشكل تهديداً للأمن الوطني العراقي .

أهمية الدراسة :

تكمــن اهميــة هــذه الدراســة كونهــا مــن المواضيع المهمة التي تتناول ظاهرتي التطرف والارهــاب وتاثيراتها السلبية على الدول بشكل عــام والمجتمــع العراقــي بشكل خــاص وعدم وجــود معالجات علميــة وعملية تحد من تنامي هذه التاثيــرات مما يتطلب الوقوف بشكل جدي

(*) جميل كامل عبد الله ، عقيل مصطفى مهدي ،احمد عمران عبد ، د.ثائر سعد عبدالله ، د.قيس كريم نافل،د.حيدر طه عسكر/ جامعة الدفاع للدراسات العسكرية

على حالــة التطرف كونه يمثل الباب الاوســع للإرهــاب وتسليط الضوء على اســبابه واثاره والعمــل على الحد من تسربــه الى المجتمع لما يشكله من تهديد للامن الوطني .

مشكلة الدراسة :

تكمن مشــكلة الدراسة في الإجابة على السؤال التالــي , ماهي طبيعة العلاقــة بين التطرف والارهاب ؟ وما هي الاســس السليمة لمواجهة مساحة الفجوة الإستراتيجية للوصول الى تحول مرحلــة التطــرف كفكر الى مرحلــة الارهاب كفعل؟ .

فرضية الدراسة :

هنــاك علاقــة ترابــط بيــن الانتقال مــن حالة التطرف الى ظاهرة الارهاب من خلال طبيعة المعالجــات للتعامــل مــع المرحلــة الانتقاليــة (الفجوة الاســتراتيجية) وصولاً الى المستوى المطلــوب للحد من التطرف . وهــذه الفرضية ستقتضي التعامل مع ما يأتي :

تنامــي التطرف وتحوله الــى الإرهاب صار عدواً فرض واقعاً وتهديداً جديداً للمجتمع الدولي بشكل عام وللعراق بشكل خاص .

إن التحول مــن التطرف الــى الإرهاب يمثل تحديا مستمرا للسلام والأمن .

هناك علاقة بين التطرف والارهاب والتدخلات الاقليمية والدولية وعدم الاســتقرار السياســي والامني والاجتماعي والاقتصادي في العراق.

هناك علاقة إيجابية بين زيادة الوعي الثقافي ، والسياسي ، والقانوني والاعلامي للتخفيف من الآثار الســلبية للتطرف والإرهاب على الأمن الوطني العراقي .

التعامل مــع التطرف والإرهــاب ضمن رؤية شاملة تبدأ بالمواطن البسيط وتنتهي في التدابير الشاملة .

وعلى فرض ما تقدم ، يمكن تسليط الضوء على المطالب التالية :

المطلب الأول : المنظمات المتطرفة

يمكن دراســة التطــرف والإرهــاب من خلال مجموعة من الفقرات الأساسية التي تميز بينهما ويأتي في مقدمتها :

تعريف التطرف والإرهاب

كمفردات يختلف تعريف التطرف عن الإرهاب إلا أنهــا تــؤدي الــى نفــس النتيجــة والضرر للمجتمــع , فالتطرف يعني المغــالاة والإفراط والعصبية وهي عكس الوســطية والاعتدال في جميــع نواحي التفكير تجاه المعتقدات والأفكار, وعلى هذا الأســاس فان التطرف هو مجموعة مــن المعتقدات والأفكار التــي تجاوزت المتفق عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً داخل الدول ومن هُنــا تنشــأ ظاهــرة الإرهــاب لأن التطرف هو مقدمة حتمية للإرهاب .

أما الإرهاب كتعريف اصطلاحي , هو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق العامة والناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم الفردي أو الجماعي للخطر . ويهدف الإرهاب إلى إلقاء الرعب بين الناس وزعزعة أمن الدولة , حتى لو كلف ذلك تنفيذ مشروع إجرامي, فالإرهاب إذاً هو ظاهرة ولدت منذ ولادة المجتمعات الإنسانية وتطورت كما الظواهر الأخرى , مستفيدة من التقدم العلمي لتفعيل أساليبها ووسائلها, ونتيجة لذلك تعددت أهدافها وتوسعت جغرافيتها لتشمل العالم بأسره ، دونما تمييز بين الدول المتقدمة أو التي في طور النمو، وسواء كانت الدولة فقيرة أو غنية، أو أنها تطبق النظام الديمقراطي أو غيره من الأنظمة, اذ بات وقوع العمل الإرهابي في أية دولة محتملاً في أي زمان ومكان ، ولم تعد القوة مانعاً لوقوعها, وكان من بين أهدافها ما هو سياسي ووسيلة تحقيقه نشر الرعب والذعر باستهداف المدنيين وغيرهم , للضغط على السلطات القائمة لتغيير مواقفها والرضوخ لمطالب الإرهابيين. وبالتالي فقد فرض الإرهاب نفسه على المسرح الدولي فشغل صُناع القرار وعلماء السياسة والقانون وغيرهم كلا حسب اختصاصه.

أوجه الاختلاف ما بين التطرف والإرهاب :

إذاً من خلال ما تحدثنا سالفاً فالتفريق بين الإرهاب والتطرف هو مسألة شائكة جداً , وذلك لشيوع التطرف والإرهاب لهدف واحد , إذيمكن رسم معادلة الإختلاف بينهما من خلال أن التطرف يرتبط بالفكر والإرهاب يرتبط بالفعل . إذ أن التطرف يرتبط بأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً , دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة , فالتطرف دائما في دائرة الفكر , أما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنيفة من السلوك من اعتداءات على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح أو تشكيل التنظيمات المسلحة التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب، كما أن التطرف لا يعاقب عليه القانون ولا يُعد جريمة بينما الإرهاب هو جريمة يعاقب عليها القانون , فالتطرف هو حركة اتجاه القاعدة القانونية ومن ثم يصعب تجريمه , باعتبار أن القانون لا يعاقب على النوايا والأفكار , في حين أن السلوك الإرهابي وإجرامه هو حركة عكس القاعدة القانونية ومن ثم يتم تجريمه [1].

كما يختلف التطرف عن الإرهاب ، من خلال طرق معالجته فالتطرف في الفكر يكون وسيلة علاجه هو الفكر والحوار , أما إذا تحول التطرف إلى تصادم فهو يخرج عن حدود الفكر إلى نطاق الإرهاب مما يستلزم تغيير التعامل معه الى الاستخدام الفعلي للقوة المسلحة .

أسباب التطرف وإشكاله :

توجد عدة أسباب مهمة داخل عجلة التطرف وهي أسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية وإيديولوجية, فأعداد كبيرة من شباب العرب والمسلمين هم فقراء عاطلون عن العمل يعيشون في فراغ كبير ولا تتاح لهم أي فرص للمساهمة في معالجة مشاكل الخدمات والمرافق العامة المحلية المحيطة بهم، ويتعرضون بنفس الوقت لخطاب ديني متطرف ولثقافة ترفض التسامح فيجدون أنفسهم في حالة تدفعهم دفعا نحو التطرف والعنف , فثقافة عدم التسامح التي يتم اكتسابها أحياناً في المجتمعات العربية الإسلامية في المنزل والمدرسة وأجهزة الإعلام والمسجد والشارع تتفاعل مع وجود خطاب ديني "مسيس" ومتطرف يقدمه بعض الوسطاء في المجتمع ويتبنى رؤية خاصة وتفسيراً خاصاً للمشاكل الداخلية والخارجية في المجتمعات العربية والإسلامية, ويساعد على تنمية التطرف والعنف والإرهاب بين الشباب. والوسطاء الذين يقومون بنشر الخطاب الإيديولوجي والديني المسيس الذي يحض بشكل مباشر وغير مباشر على التطرف والإرهاب وهم عديدون ويوجدون في مواقع كثيرة في المجتمع , ومن أمثلتهم بعض علماء الدين وأئمة المساجد، وبعض الأساتذة والإداريين ومسؤولي النشاط الرياضي والاجتماعي والثقافي في المدارس والنوادي وأصحاب الديوانيات والمجالس والمكتبات والمتخصصين في فن الكلام وزعماء بعض النقابات والجمعيات المهنية والفنية والتعاونية والخيرية وزعماء الدور الثقافية وبعض الكتاب والمفكرين [٢] .

ومن الأسباب أيضاً التعليم والتنشئة الاجتماعية على ثقافة الاستعلاء ورفض الآخر والتسفيه منه وتراجع التفكير النقدي وانتفاء ثقافة المشاركة, فضلا عن الخطابات الدينية المتعصبة التي تستند إلى تأويلات وتفسيرات خاطئة، تجانب الفهم الصحيح للإسلام ومجافية لروح الأديان كلها من الحفاظ على القيم الروحية النبيلة التي تعتمد على المحبة والرحمة والتسامح، وتنبذ التعصب والكراهية , يضاف إلى ذلك ثلاثية الفقر والأمية والجهل التي تدفع الشخص إلى الانسياق وراء خطاب ديني مشوّه وفتاوى وتأويلات مغلوطة، وآراء ضيقة الأفق، ومناخ معادٍ لثقافة الاختلاف، وفي أحيان كثيرة تكون "المرأة" في مقدمة ضحايا التطرف نتيجة لتعثر مسيرة التنمية الثقافية والاجتماعية في المجتمعات العربية [٣] .

ويزيد الشعور بالقهر نتيجة المعايير المزدوجة في العلاقات الدولية تجاه قضايا العرب والمسلمين، والتي يأتي في مقدمتها استمرار القضية الفلسطينية , واحتلال الأراضي العربية والاندفاع نحو الحلول المتطرفة خاصة في ظل تنامي دور قوى فاعلة، سواء كانت دولاً وجماعات في إذكاء التطرف, وأمام غياب قادة ورموز الفكر القادرين على مواصلة مسيرة

سـابقيهم من رواد النهضة والتنويـر في العالم العربـي، والذين قدموا اجتهادات ملهمة نجحت في المـزج بين الأصالـة والمعاصرة وتحديث بنيـة المجتمعات العربية تراجـع تيار التحديث وتصاعد خطابات متزمتة فكرياً، متطرفة دينيًّا، سلطوية سياسيًّا، منغلقة اجتماعيًّا , ويضاف إلى كل هـذه المعطيات الآثار السلبيـة للموروثات والعادات الاجتماعية والقيم الثقافية التي أنتجت تشوهات ثقافية واجتماعيـة وانتشار العديد من المنابـر الإعلاميـة المحليـة، والإقليميـة التي تبث رسـائل تحض على التطـرف والكراهية، وتسيء إلى وسطية الفكر الديني المعتدل.

أما أشكال التطرف فهي تتكون من :

التطرف الديني وينقسم إلى [٤] :

١.التعصب للرأي تعصبـاً لا يعترف للآخرين بـرأي، وهذا يُشيـر إلى جمـود المتعصب مما لا يسمـح له برؤية مقاصـد الشرع ولا ظروف العصر، ولا يسمح لنفسه بالحوار مع الآخرين, فالمتطرف يرى أنه وحده على الحق، وما عداه علـى الضلال، كذلك يسمح لنفسه بالاجتهاد في أدق القضايـا الفقهية، ولكنه لا يجيز ذلك لعلماء العصر المتخصصين منفردين أو مجتمعين، ما داموا سيصلون إلى ما يخالف ما ذهب هو إليه.

٢.التشـدد والغلـو في الرأي، ومحاسـبة الناس علـى الجزئيـات والفـروع والنوافـل، كأنهـا فرائـض، والاهتمـام بها والحكم علـى إهمالها بالكفر والإلحاد.

٣.العنـف في التعامل والخشونة في الأسـلوب دون التعامـل بالحسنـى والحـوار والاعتراف بالرأي الآخر.

٤.سـوء الظن بالآخريـن والنظـر إليهم نظرة تشاؤميـة لا تـرى أعمالهـم الحسنـة، وتضخم من سـيئاتهم، فالأصـل هو الاتهـام والإدانة ، وقد يكون مصدر ذلك هـو الثقة الزائدة بالنفس التـي قد تؤدي في مرحلة لاحقة بالمتطرف إلى ازدراء الغير.

٥.يبلـغ هـذا التطـرف مـداه حينمـا يسقط في عصمـة الآخريـن ويستبيح دمائهـم وأموالهم، وهم بالنسبة له متهمون بالخروج عن الدين، اذ تصل دائرة التطرف مداها في حكم الأقلية على الأكثرية بالكفر والإلحـاد، اي إن هذه الظاهرة متكـررة وليست وليدة العصـر، بل وقعت في مختلف العصور وفي كل الديانات السماوية.

٦.العزلـة عـن المجتمـع، والعزلة تـؤدي الى وظيفتين؛ الأولى تجنب المتطرفون (المنكرات) التـي تملأ جوانـب المجتمـع وحمايتهم من أن يشاركـوا في نهج الجاليـة , والوظيفة الأخرى تكويـن مجتمع خـاص بهم تُطبق فيـه أفكارهم ومعتقداتهـم، وتتسـع دائرة هذا المجتمع شـيئاً فشيئاً حتـى تستطيع غزو المجتمع من خارجه, وكما هـو واضح فـإن الوظيفة الأولـى فكرية دينيـة، بينما الوظيفة الأخرى سياسـية حركية. وعلـى هذا الأسـاس نستطيع رصـد أغلب إن لـم يكـن جميـع مظاهـر التطرف أعـلاه لدى

الجماعـات الدينية المتطرفة التي تحاول فرض معتقداتها على باقي أفـراد المجتمع أدعاءً منها أنهـا تقوم بحراسـة الديـن وتطبيق شـرائعه , وهذا يعد من أشـد أنواع التطرف خطورة حيث تُجيز هـذه الجماعات لنفسهـا تكفير فئة أخرى أو مذهـب أو طائفة , ومصادرة حق أبنائها في الحياة من خلال إطلاق فتـاوي التكفير وإهدار الدماء , وقـد انتشرت هذه الجماعات بكثرة في الدول العربية، بعد "الربيع العربي" .

التطرف الطائفي

كمـا أن خطر التطـرف الطائفي فـلا يقل عن خطـر التطـرف الدينـي، فالحركـات الطائفية تعيد كتابـة تاريخ الوطن والأمـة لتبني تاريخاً أسـطوري الأبعاد يقوم على الخطاب الإنفعالي ويستنفـر الصراعات ويشعل المحن ويعلي من شـأن الطائفة على حساب الوطن ويدمر النسيج المجتمعي ويشيع الفوضى والخراب. فقد غابت الهويـة الجامعة التي تتقبل الإختلافات وتجعلها مصدر قـوة وتتأسـس على جـدل معرفي بين اللغة والدين بأبعاده الحضارية، وحلّت الهويات الفرعية أو الهويات القاتلة، بديلا عنها، والهوية ليست معطى جاهزاً أو جامداً، إنها تبنى وتتغير وتغتني بمركبات جديـدة، كما أنها تتحول على امتـداد رحلـة الفـرد المعرفية، لكـن الهويات الفرعية تنطوي على أبعاد طائفية مدمرة [٥].

التطرف الاجتماعي

إن تهديد السلم الاجتماعي داخل المجتمع، ليس رهينا بانتشار الجريمة ومظاهر العنف وحدها، بل أيضا وجود تنظيمـات دينية متشددة، تطلق فتاوى وآراء وأحكام دينيـة، تزرع معها الفتنة والرعـب داخل المجتمـع، خاصة مـع فتاوي القتـل وتكفير المواطنين ومـا يترتب عنها من حلية دمهم ومالهـم، والتشدد في تفسير الأحكام الإسلامية، وفرضها بشكل فردي أو عن طريق جماعة دون الرجوع للحاكم والنظام السياسـي. فيؤدي ذلك إلى نخر السلم الاجتماعي وضرب مقوماتـه , كمـا أن الآثار السلبيـة بتهديد السلم الاجتماعـي داخل أي مجتمـع، نتيجته واضحة وصورتـه جلية، فهو من الأكيد لن يحافظ على تعاضـده وتزكية حالة الوئام داخله، بل مصيره التفرقـة والنـزاع. لذلك فإن التطـرف والتشدد الديني، هو خطر على المجتمع ومصالحه، فلا يمكنه أن يخدم تطوره واستقراره، بل هو يسهم فـي تدهور الأمن فيه وزعزعتـه. فالأمن العام يحقق الطمأنينة في النفوس، وترتفع به الهمم[٦]

التطرف الأمني

يشكـل التطـرف السلوكـي، أكثـر أنـواع التطـرف الديني سـلبية، من خـلال تحوله من التطـرف الفكري المبني على الأفكار والآراء، إلـى تطرف مبني على العنـف والإرهاب، من أجـل فـرض تلك الأفكـار بالقوة. وهـذا النوع من السلـوك، هو الذي يجر أخيـرا إلى الخطر

الأمني، من خلال تهديد أمن وسلامة المجتمع والدولة، عبر التخطيط للعمليات المسلحة، والتفجير والقتل، انطلاقا من أفكار جهادية، بغية الوصول إلى إقامة الدولة الإسلامية، أو إعلان الولاء لتنظيمات إرهابية خارجية, كما وأن الأثر الأمني، يمتد خطره إلى كل المستويات الأخرى، اذ أن زعزعة استقرار الدولة وأمنها، تكون عواقبه وخيمة على الاقتصاد الوطني من خلال هروب المستثمرين ورؤوس الأموال خوفا على مصالحهم الاقتصادية، فضلا عن ضعف المردود السياحي، وتعرض مؤسسات الدولة خاصة ذات البعد الخدماتي ومصالح المواطنين الى الضرر نتيجة الهجمات الإرهابية [٧].

أسباب الإرهاب وإشكاله

يمكن استنتاج العوامل والأسباب التي تؤدي إلى تنامي الإرهاب والسلوكيات الخطرة في المجتمعات فهي متعددة وتتجلى في .

١. الجهل بين الأفراد والجماعات ومماسه بعض الدول للإرهاب من الأعلى .

٢. الفقر والبطالة التي يعاني منها الناس وأحيانا التعمد من قبل الدولة في خلق هذه الحالة بهدف التخلص من عرق أو جماعة معينة غير موالية للنظام السياسي القائم.

٣. الظلم والعدوان، واستعمال القسوة ضد البشر وخصوصا في الأنظمة الدكتاتورية التي تصادر حقوق الإنسانية الأساسية.

٤. مطلب تحقيق المصير الذي يواجه دائما بالرفض.

٥. عجز مجلس الأمن الدولي من اتخاذ موقف قانوني جاد إزاء ما يحدث من انتهاكات لبعض الفئات على مستوى العالم، مما يبرز استخدام هذه الفئات للعنف للدفاع ,عن وجودها إزاء حملات الإبادة التي تتعرض لها.

٦. الصراعات العرقية في مختلف المناطق والتي تأخذ الطابع المسلح ضد مصالح بعض العرقيات, أي استخدام الإرهاب كبديل عن الحرب التقليدية بوصفه أسرع تأثيرا وأقل تكلفة للحصول على مكاسب وامتيازات سياسية على المستوى الدولي كما تؤثر الأوضاع الاقتصادية على المستوى الدولي بشكل أو بأخر على اتجاه بعض الجماعات والدول نحو الإرهاب، والدليل على ذلك هو ظهور المنظمات اليسارية الشيوعية قصد القضاء على الأنظمة الرأسمالية بوصفها تمثل الاحتكار وانعدام العدالة والمساواة وفي المقابل ظهرت تيارات تقادم هذه المنظمات وتعمد للحفاظ على الأوضاع القائمة في المجتمع بما يولد العنف والعنف المضاد.

في ضوء ما تقدم ، يمكن ان نضع مجموعة من المعالجات التي تصب في زيادة الفجوة الإستراتيجية ما بين التطرف كفكر والإرهاب كفعل وهي ترد في المطالب الآتية :

المطلب الثاني : المعالجات الفكرية

قـد يكون مهماً أن نـدرك مجموعة من الأفكار الأساسـية تجـاه موضـوع الإرهاب فهـو قديم , وكما اعـدت قضية الإرهاب مـن المشكلات التي طالما لحقت بالمجتمعات لاسـباب مختلفة ومتداخلـه ، تسبب في تدمير بنـى المجتمعات واسس اسـتقرارها ولعل عصرنا الحاضر من اكثر العصور التي ابتليت بها المجتمعات بانواع جديدة من الإرهاب ، لـم تشهدها اكثر الفترات التاريخية , وشغلت جميع دول العالم في الوقت الحاضر، وبعـد العمليات العسكريـة الموجهة ضـد الارهاب وتحقيق النصـر العسكري عليه في العراق والعمـل بروح الفريق لكافة القوات الامنيـة (الجيش العراقـي , الشرطة الاتحادية , جهـاز مكافحـة الإرهـاب , الحشـد الشعبي والعشائـري، قـوات البيشمركـة) وبمسانـدة التحالف الدولي كـان لابد من وضع معالجات لفكر داعـش المتطرف بشكل مكمل للمعالجات العسكرية ومنها[٨] :

١.الاظهـار الفعلـي لقضايا التسامـح والمحبة واحتـرام حقـوق الانسان في الفكر الاسـلامي من خلال توحيـد الخطاب الديني بين الطوائف والابتعاد عن الاسـلام السياسي او المتشدد في المواقف المتعلقة بالحياة العامة والسياسية .

٢.العمـل علـى مواجهـة طـرق التفكيـر التي تؤدي الـى التطرف من خلال طرق ووسـائل تعليمية مبنية على مناهج علمية حديثة وتحاكي الافكار التي تؤدي الى بناء المجتمعات السلمية المتطورة والابتعاد عن آراء وأفكار المتعصبين ودعم أفكار المحبة مابين الاديان .

٣.مواجهـة الفكـر المتطرف مـن خلال وضع خطـط آنية ومستقبلية مبنيـة على مجموعة من العوامـل الاقتصاديـة والاجتماعيـة والنفسيـة والسياسية والثقافية .

٤.الاشـتراك الفعلي لوسـائل مكافحة التطرف والارهـاب فكريـا مـع الوسـائل العسكريـة والاعلامية والقانونية .

٥.تفعيـل دور الـرأي العـام حـول القضايـا المتعلقة في الغلو بالتطرف سـواء على مستوى التفكير الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والاجتماعي .

٦.مشاركـة منظمـات المجتمـع المدنـي فـي مجابهـة التفكير المتطرف من خـلال اللقاءات والمحاضـرات والمعارض الفنيـة والترفيهية والرياضية التي تجتذب الشباب وتحقق رغباتهم

٧.معالجـة التطرف الفكري العقائدي من خلال التوجيه عن طريق الـدروس اليومية والخطب الاسبوعية في دور العبادة .

المطلب الثالث : المعالجات القانونية

تعـددت وازدادت أنشطـة الجماعات الإرهابية في العصر الحديث فلم تعد تقتصر على شـراء الأسـلحة والمعـدات وغيرهـا مـن الأدوات

والوسائل التي تستخدم في ارتكاب الجريمة الإرهابية ولكنها شملت أمورا شتى كانت التشريعات الدولية والوطنية حريصة على امتداد تجريم عمليات الأنفاق إليها بقدر المستطاع , وشهدت الأفكار الإرهابية تطوراً ملحوظاً كونها من قبيل الصور الإجرامية المستحدثة والتي تعد نتاجاً للتطور الذى شهدته المجتمعات ، التي هزت العالم وغيرت كثيراً من أوجه العلاقات الدولية بمختلف المجالات، إذ تطورت صور الإرهاب أنعكاساً لتقدم المجتمعات وتطورها بعد التقدم التقني والتكنولوجي، والطفرة الكبيرة في وسائل الاتصال الحديثة على المستويات كافة، حيث ساهمت الأخيرة بدور كبير في بث كثير من الأفكار الإرهابية [٩].

باتت تشكل جرائم الإرهاب بصفة عامة، وجرائم الأفكار الإرهابية أحد التهديدات التي لها مخاطر كبيرة والتي تهدد كيان الدول والمجتمعات ، ولذلك اهتمت التشريعات العراقية سواء على المستوى الدستوري أم القانوني وغيرها من التشريعات المقارنة بمكافحة الجرائم الإرهابية المادية والأفكار كافة التي تبثها الجماعات الإرهابية، والسعي نحو إقرار المسؤولية القانونية ضد مرتكبيها ، علاوة على المسؤولية الدولية أن وجدت. وعلى أساس ذلك يقوم التنظيم الإرهابي على عنصرين أساسيين هما: العنصر البشري والعنصر المالي(التمويل)، فضلا عن ذلك فإن الفكر المتطرف يمثل الجانب المعنوي لأي تنظيم اذ تساهم السيطرة الفكرية المتطرفة على أعضاء التنظيم الإرهابي إلى اتجاه العديد من الشباب للقيام بجرائم إرهابية تكلفهم أرواحهم في أحيان كثيرة [١٠] .

المعالجات القانونية على المستوى الوطني :

تناول المشرع العراقي مكافحة الأفكار الإرهابية على الصعيد الدستوري والقانوني , وقد حرص الدستور العراقي الصادر سنة ٢٠٠٥ على مكافحة الأفكار الارهابية كافة ومدلولاتها المختلفة التي تحث على التطرف الفكري ، وهو ما أكدته المادة (٤٢) من الدستور (لكل فرد حرية الفكر والضمير والعقيدة) ، كما نصت الفقرة الثانية من المادة (٣٧) منه على أن (تكفل الدولة حماية الفرد من الاكراه الفكري والسياسي والديني) , والمادة (٣٨) على أن (تكفل الدولة وبما لا يخل بالنظام العام والآداب حرية التعبير عن الرأي بكل الوسائل). كما تضمنت الفقرة أولاً من المادة (٧) حضر كل كيانٍ او نهجٍ يتبنى العنصرية او الارهاب او التكفير أو التطهير الطائفي) [١١] .

وساهمت كثير من القوانين والتشريعات العراقية ، بالعمل على مكافحة الأفكار الإرهابية ، مثل قانون المطبوعات رقم (٢٠٦) لسنة ١٩٦٨ المعدل , قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩المعدل , قانون الإرهاب رقم (١٣)

لسنة ٢٠٠٥ المعدل , قانون إصلاح النزلاء رقم (١٤) لسنة ٢٠١٨ المعدل .

كما وساهم قانون مكافحة الارهاب العراقي رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٥ في السعي نحو مكافحة الأفكار الارهابية، إذ نصت الفقرة الأولى من المادة الثالثة منه على انه: (تعتبر بوجه خاص الافعال التالية من جرائم امن الدولة كل فعل ذو دوافع ارهابية من شانه تهديد الوحدة الوطنية وسلامة المجتمع ويمس امن الدولة واستقرارها او يضعف من قدرة الاجهزة الامنية في الدفاع والحفاظ على امن المواطنين وممتلكاتهم وحدود الدولة ومؤسساتها سواء بالاصطدام المسلح مع قوات الدولة او أي شكل من الاشكال التي تخرج عن حرية التعبير التي يكفلها القانون) .

المعالجات القانونية على المستوى الإقليمي والدولي إن مكافحة اعلام داعش الارهابي وفكره جماعياً تتطلب التعاون والتنسيق بين الدول على أعلى المستويات كما تتطلب الاستعداد التام لتبادل الاستخبارات والبيانات الأمنية القائمة على التعاون الدولي، وتبني القرارات الصادرة من هيئة الأمم المتحدة لتطوير آليات تبادل المعلومات والخبرات بين الدول في مجال مكافحة الإرهاب ، وينبغي مكافحة اعلام داعش وفكره اللجوء الى قرارات مجلس الأمن المرقمة ٢١٥٠ -٢١٧٠ -٢١٧٨ (٢٠١٤) و٢١٩٩- ٢٢٤٢- ٢٢٤٩ ٢٢٥٣ (٢٠١٥) و٢٣٢٢ – ٢٣٣١ (٢٠١٦) و ٢٣٤١ – ٢٣٤٧- ٢٣٥٤- ٢٣٦٧- ٢٣٦٨- ٢٣٧٠- ٢٣٧٩ (٢٠١٧) .

اما على المستوى الاقليمي والعربي فقد صادق العراق على الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بموجب القانون الرقم (٣٥) لسنة ٢٠٠٨, والاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات المصادق عليها بالقانون رقم (٣١) لسنة ٢٠١٣ .

المطلب الرابع : المعالجات الإعلامية :

ان الاعلام عملية بث للمعلومات تستهدف احداث تأثيرات متباينة بين الجمهور المستهدف باستخدام الوسائل المتاحة ضمن نطاق زمني معين مع وجود تصورات حول طبيعة ردود الافعال اذ تعد عملية متكاملة تتضمن مدخلات واجراءات ومخرجات وتغذية عكسية ضمن نطاق البيئة المفترضة ويجب ان يكون هادف لاحداث تأثير نسبي مع تشخيص الجمهور المستهدف . إما الأساليب والطرق لمعالجة التطرف فهي :

التحصين الإعلامي المضاد :

أصبح الإعلام الوسيلة الأساس الذي تستخدمه الجماعات الإرهابية في الترويج لعقائدها المتطرفة و لتجنيد المتعاطفين مع أفكارها , وليس لمنطقة جغرافية محددة ولا لشريحة معينة او لمكون معين وإنما يروج لها عالميا وللشرائح والمكونات كافة, وقد رأينا

كيف أن رسالتهم عبر الإعلام وصلت إلى قلب المجتمعات الغربية و شهدنا ظاهرة لافتة للنظر هي التحاق مواطنين من بلاد اجنبية شتى بصفوف (عصابات داعش الارهابية) , وهذا يتطلب القيام بدور فعال في مواجهة الإرهاب بشكل (معرفي و تنويري) , والدور المعرفي يتمثل أساسا في التشخيص الدقيق لظاهرة الإرهاب من وجهة نظر علم الاجتماع حتى تتبين أبعاده المختلفة ، و بناء على هذا التشخيص يمكن وضع سياسة متكاملة لمواجهته , ومن ناحية ثانية لا بد للإعلام العربي على وجه الخصوص من معالجة موضوع تجديد الخطاب الديني بوصفه ضرورة حتمية في المواجهة الثقافية للإرهاب [١٢] .

إستراتيجية إعلامية وطنية :

محاربة توجهات عصابات داعش الارهابية وتفنيد أيديولوجيتهم وأفكارهم المتطرفة واستخدام الإعلام من خلال مواقع التواصل الاجتماعي بحرفية للوصول إلى الشباب لإثارة شكوكهم حول أهداف التنظيم الخبيثة من استقطابهم , من خلال بناء استراتيجية اعلامية يجب ان تكون فعالة من خلال خطة ترشد الجمهور للتفاعل مع الاعلام بإيجابية , كما انها تساعد على ضمان ان تكون الرسائل الاعلامية متماسكة ومنظمة وهادفة [١٣] .

بناء جيش الكتروني إعلامي :

ضرورة اعطاء الجانب الاعلامي والدعائي اهمية كبيرة في الحرب ضد (عصابات داعش الارهابية) ، اذ ان هناك شقين في كل حرب ، شق عسكري يتمثل باستخدام الخطط والجنود والاسلحة ، وشق اعلامي ودعائي يتمثل بالحرب النفسية التي تسير متوازية مع العمل العسكري , إذ يمكن ان يسهم الجيش الالكتروني في استباق الاشاعة قبل ان تأخذ تأثيرها في المجتمع و توجيه جيوشها الالكترونية لمواجهة (عصابات داعش الارهابية) اعلاميا ودعائيا , وبالإمكان الافادة من خبرة التحالف الدولي اذ ان لديهم خبرة وباع طويل في الحرب الالكترونية , فعلى سبيل المثال وبتاريخ ٢٠/ ٢٠١٧/٢ قام فريق التواصل الالكتروني الامريكي بنشر خبر على موقعه في الفيس بوك وهو (طائر تويتر الداعشي نقص جناحاته وينتف ريشه كي لا ينشر الحقد والكراهية ولا يدعو للموت والخراب) حيث تم اغلاق (٣٦٠,٠٠٠) الف حساب داعشي على تويتر [١٤] .

الخاتمة

ان القضاء على ظاهرة التطرف بمختلف اشكاله وصوره وأساليبه امر مرهون بالمقام الاول بالوقوف على الاسباب والدوافع الكامنة وراءه ، إذ اثبتت الدراسات ان التطرف ذو نتائج كارثية واثار خطيرة على الدول كافة وندعو الدول كافة للوقوف صفاً واحداً ضد جميع اشكال التطرف والارهاب ونبذ كل اشكال التعصب والانغلاق الفكري، وأن مكافحة التطرف يحتاج الى وقت يتطلب كسب ثقة الفرد

والمجتمع ودعم قطاعاته الواسعة ويعني بذل جهود ضخمة لبناء مؤسسات الدولة من خلال برامج التشريع والإصلاح والمصالحة الوطنية والتي تعد جزءا من الجهد الشامل لمكافحة التطرف العنيف في البلاد .

المصادر

١- عبد الحميد صيام ، مانيفستو حول جدلية العلاقة بين العنصرية والإرهاب: دعوة للحوار، مجلة القدس العربي، ١٥ كانون الثاني ٢٠١٥.

٢- محمد حنين علي المعاضدي، التطرف والإرهاب أسباب ومعالجات الحوار المتمدن العدد ١٢٥٣-١٩/٠٢/٢٠١٣ .

٣- نبيل أحمد حلمي ، الإرهاب الدولي وفقًا للسياسة الجنائية الدولية، (دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٨)،ص٢٣.

٤- أدونيس العكرة ، الإرهاب السياسي، (دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣)،ص١٣٦.

٥- جان بودريار- روح الإرهاب – مجلة الفكر العربي المعاصر عدد ١٢٠-١٢١-ص٨ .

٦- روجيه جارودي، ، الأساطير المؤسِّسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، (دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٩)، ص٣٤.

٧- جمال نصار، نظرات في الفكر والسياسة، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية، القاهرة، الطبعة الاولى ، ٢٠١٠ ، ص ٢٢٥ .

٨- أحمد فلاح العموش ، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، ضمن أعمال ندوة تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض ، ١٩٩٩ ، ص ٩٨ .

٩- علاء شنون مطر، مفهوم الإرهاب الفكري في الفكر الإسلامي والعقلية الغربية، بحث منشور في مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، العدد ٤١، سنة ٢٠١٦.

١٠- عصام سليمان، اللهجات العامية في وسائل الاتصالات الالكترونية، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد ٢٠٠٠.

١١- دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

١٢- عبد العزيز بن سلطان الضويجي ، التخطيط الاعلامي ودوره في مواجهة الكوارث والازمات ، رسالة ماجستير ، جامعة نايف للعلوم الامنية ، كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٤ .

١٣- محمد حمدان ، الحرب الناعمة ، بيروت ، ط١ ، دار الولاء للطباعة ، ٢٠١٠ .

١٤- علي عبد الفتاح ، ادارة الاعلام ، عمان ، الاردن ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، ٢٠١٤ .

داعش بعيون عراقية
الفعل ورد الفعل

أ.م. رقية اياد احمد (*)

المقدمة

كل مامــر ويمر به العــراق من اهوال ارهابية اجرامية فتكت بالعراق واهله ، لم تكن في حقيقة الامــر الا نتيجة حتمية للظلم الواقع على الشعب سواء من الحكومات المتعاقبة التي لا تتمتع بمفاهيم سياســية واعية لخدمة الشعب ، وارضائه عن طريق العــدل والاعتدال في توزيــع الثروات ، كون المنطقة اولا وقبل كل شــيء تتمتع بمخزون نفطي هائل مما يتيح لها ولشــعبها العيش برفاهية واكتفاء ، مما يؤدي الى انتشــار الامن بصــورة مرافقة للازدهار الاقتصــادي ومن ثم الثقافــي وتأتي تباعا كل مرافق الحياة ، كل ما تقدم واكثر من الاسباب التي تؤســس لظهور واحتضــان الجماعات الاجرامية على اختلاف مسمياتها .

قســم البحث على ثلاثة محاور ، اهتم اولها بالبحث في ماهية هذه الجماعات وكيف خدمتها التســمية التي اطلقت عليها مثل (الارهاب _ داعش) ، وماهي الاســباب التــي دعت الى ظهور هذه العناصر والبحث في كيفية واسباب جذب الافراد وانخراطهم في هكذا مجموعات اجراميــة. امــا القســم الثاني فقــد صب في سترتيجية وسياسة هذه الجماعات وماهي ردة فعل الشــعب تجاهه او المنطقة المسيطر عليها من قبلهم وكيفية اســتدراج الافــراد لخدمتهم والاندماج معهم ســواء بالعمــل او المصاهرة لاسيما مع الشعب العراقي .

اخيــرا المحور الثالث ويهدف الى البحث في وسائل الاعلام العربية والعالمية وماهو دورها في انتشــار او تقليص هذه الجماعات وموقفها من الحرب القائمة ضدهم .

ويُختم البحث في النتائج التي يمكن الاخذ بها للنهوض بالافــكار التي مازالت مؤيدة للوجود الداعشي او على الاقل ليست معارضة له.

من هم داعش

بعد ان مضى عام ونيف على ارجاع الموصل لاحضــان العراق ، واســتقرت المنطقة لانقل

(*) كلية اللغات - جامعة بغداد

بشكل نهائي انما لم يعد لداعش من اثر ، الا في بعض الجيوب المنتشـرة على الحدود العراقية السـورية ، وهـي لاتعدو ان تكـون مخابيء قديمـة كان يسـتخدمها داعش مثـل خطوط خلفيـة او خنادق تأويه بعـد أي هجمة مضادة مـن قبل الجيـش ، او بالاحـرى بعد هزيمته فـي الموصل والانبار ، ووفقـا لما تقدم وبعد ان وضعت الحـرب اوزارها ، بدت الصورة اكثـر وضوحا عند العامة من الشـعب فضلا عن المسـؤولين واصحاب القرار ، ونبدأ اولا بالتسـمية وصولا الى الفكر والاهداف . لعل تسـمية داعش بالمجموعات الارهابية تنطوي على كثير من الفهـم الخاطيء على نحو ما ، ذلك ان الاعلام يطلق تسمية الارهاب على هذه التنظيمات الاجرامية او تلك ، وهو في الحقيقة يروج لها لاعليها ، بلفظ الارهاب المأخوذ من الايـة الكريمة "ترهبون بـه عدو الله وعدوكم " يعطيه الشـرعية بصورة علنية وان احتوت على مغالطات تحاول الصاقه بالاسـلام عنوة ، بالرغم من ان الاسـلام دين يقدس الانسـان بوصفـه قيمة عليا ويعمل للحيـاة مثلما يعمل للموت . اذن نحن امام المشـكلة الاولى مشكلة التسـمية ، وقد تكون من اعقد المشكلات التي تواجه المفكرين والاعلاميين على حد سواء " لارتباط الارهاب بالبيئة التي تولده وتعمل على اتسـاع نطاقه وانتشاره سواء كانت بيئة محلية او دولية فالفعل الارهابـي لاينطلق من فراغ انما يرتبط بهوية الاطـراف القائمة به فضلا عن السـياق السياسـي والاجتماعي والفكري الـذي ينطلق منـه والذي يختلـف من لحظة تأريخية الى اخرى[١].

ولاننا اعرف باللغة العربية وتعدد توصيفاتها ومدلولات الفاظهـا ، فأن لفظة ارهاب لصيقة بالتخويف أي انها تعتمد على الوقع النفسي اكثر من كونها تحتوي على كل الاعمال الاجرامية المرتبطة بداعش من سلب ونهب وقتل وتهجير ونخاسة واغتصاب ومصادرة اموال .....الخ ، في حين ان كلمة ارهـاب تعني " تركز الاثر كله في الاثر النفسـي الـذي ينتهي ويرتد في نهاية المطاف الى الحالة الادراكية للمتلقي [٢].

اذن اذا كان تنظيم داعش يمارس كل ماذكر انفا ، فالاولى تسميته بالتنظيم الاجرامي وليس التنظيم الارهابي ، ولنرجع بالذاكرة الى بداية الازمـة والاحتقان الحاصـل مع هجمات ١١ ايلول وبدء الحرب الاعلامية الباردة وانتشـار تسـمية الهجمات الارهابية الذي قد يكون قد تسـرب واتسـع تداوله مع الترجمات الفورية قيـادات ذات توجه فكري تكفيري ونحن امام ازمة التسـمية نجد ان تنظيم داعش عرف بانه " تنظيم مسـلح ارهابي يتبنى الفكر السـلفي الجهادي التكفيري ويعرفون انفسهم ب(تنظيم الدولة الاسـلامية) اذ كانوا يسـمون انفسهم (تنظيم الدولة الاسـلامية في العراق والشام) الذي يعـرف اختصارا بداعش وهي مجموعة مـن المرتزقة تعمل تحت قيـادات ذات توجه فكري تكفيري ولها علاقات اسـتخباراتية مع بعض الاطـراف المتصارعة في المنطقة [٣]،

وقد تبنت هذا التعريف معظم القنوات الفضائية الكبرى ممن لهم اليد الطولى في التأثير على المستمع والمشاهد العربي خصوصا والعالمي عموما ، لذلك اصبح من الصعب تغيير هذا التعريف المتداول ، غير اننا نستطيع ان نخرق هذا التعريف مبدأياً بتسميته ب(التنظيم الاجرامي) او (التنظيم القاتل).

ولاننكر ان التنظيم الاجرامي لداعش قد بدأ ارهابيا اذا سلمنا ان "الارهاب حالة نفسية او رد فعل نفسي على عمل قد لايكون ماديا أي يتركز الاثر كله في الاثر النفسي الذي ينتهي ويرتد في نهاية المطاف الى الحالة الادراكية للمتلقي [٤]، كما لاننكر مدى تأثير ه الذي يعمل عمل السحر على عقول كان من المفترض بها ان لاتستسلم ببساطة لمثل هكذا ميول اجرامية مثلتها داعش وغيرها من التنظيمات .

واذا كان التنظيم قد ابدى براعة في التأثير وادواته ، فهناك من يتحمل تبعة اجرام التنظيم بالانتماء له ومسايرته اما قناعة باهدافه وفكره واما خوفا منه واما طمعا بما يغنم ، ومن المثير ان فكر داعش كثيرا ما يجد صداه عند طبقة المثقفين باستخدامهم كقيادات وايضا عند طبقة المراهقين من ذوي العواطف الهشة وغير المستقرة ، فيخلق بذلك طبقة من المتعصبين والمتشددين والمروجين لاهداف داعش واكبر حجة كان يسوقها لمثل هؤلاء ، ان التنظيم هو الوحيد الحامل للواء الاسلام ومبادئه .

وبتصوري المتواضع اعتقد ان الانضمام لداعش سببه الوحيد هو الاحباط الحاصل في حياة الفرد ، وعدم قدرته على تغيير واقعه المتردي يوما بعد اخر ، وهذا ما دعا التنظيم الى اختيار الموصل والانبار المعروفتين بتشددهما الديني قاعدتان لاحتضانه و انطلاقه ، بوصفهما نقطتا الضعف التي استطاع التنظيم وضع اليد عليها وبكل سهولة ، ودون تقديم الخسائر ، الا بعد الدخول بمواجهات عسكرية مع الجيش الحكومي ووقوع المعركة على الارض .

لاشك ان حرب داعش حربا فكرية قبل كل شيء ، استغل بها جانب " الجهل سواء كان جهل الافراد او الجماعات او جهل قيادة الدولة التي تمارس (ارهاب الدولة) والفقر والبطالة الذي يعاني منه الشخص او الاشخاص او الجماعات او قيام الدولة بتعمد خلق ظروف الفقر والبطالة بهدف ابادة الجنس البشري او الاشخاص او الجماعات[٥] ، وهنا نتعرض لجانب خفي هو تعمد الدولة ابادة شريحة خاصة من المجتمع يقطنون منطقة ما ، بهدف تغيير طوبوغرافي متعمد .

وهناك ايضا استبعادا متعمدا لقيادات سابقة في الجيش العراقي ، ومتنفذة في الحكم ، تعمدتالحكومات اللاحقة ابادتها عن طريق خلق كافة الاسباب والظروف لدفعها للاندماج مع التنظيم ، ممايجعل المنطقة في تأزم دائم وتذمر مستمر بسبب سياسة القمع هذه ، مما يجعل الحرب حرباً سياسية مجتمعية ولاسيما

بعد ان استطاعوا اختراق النسيج الاجتماعي .

وسواء بدخول داعش النسيج المجتمعي قسراً او طوعاً ، ام بخروج داعش وترك عوائلهم لمصير مجهول ، تتحول الحرب من صراع بين جيشين مرئيين باسلحة عينية ، تتحول الحرب الى تحطيم النسيج الاجتماعي لمنطقة ما ، وهذا ما عبر عنه برتران بديع في كتابه زمن المذلولين ، يقول فيه " لقد حل صراع المجتمعان محل صراع الدول وجيوشها واصبح العنف الدولي اجتماعيا ولم يعد للعنف علاقة كبرى بالحدود بل راح يشكل استمرارية متعلقة بين الداخل والخارج ويرتبط بحالة الحرمان وإذ ان العنف الاجتماعي منتشر ومتشظ لايمكن لمنطق الدولة ان يمسك به ويحتويه [٦]، واذا كان التنظيم قد حصل على نوع من الترحيب من بعض اهالي الموصل مع بداية دخوله اليها فذلك راجع الى الاحباط الذي اصاب الاهالي اولا ، للاسباب انفة الذكر ولان الموصل اصلا ارضا وافرادا يضربون بجذورهم الى بداية ظهور الديانات سواء المسيحية ام الاسلامية فكان التنظيم ذكيا في استغلال هذا الجانب جانب الالتزام الديني ، لكن ما حصل وقلب الامور وجعل اهالي الموصل والانبار طبعا ، هي ازدواجية التعامل من جهة التنظيم الاجرامي ، فهو تارة يدعو الى الالتزام بتعاليم الاسلام واخرى يستولي على البنوك ويسرق عقارات المواطنين ، ويتوعد كل من لم يذعن من الاهالي بمزيد من القسوة والقتل والتهجير ، مما فجر الوضع فصار الموصليون يستنجدون بالحكومات العالمية للخروج من الازمة .

التأسيس للتنظيم والايقاع به :

يبدو غريبا ان امريكا وهي المسيطر الاكبر على العالم سياسيا واقتصاديا وعسكريا وتواصليا ، قد خدعها التنظيم ودخل متسللا الى سوريا والعراق ، والاغرب من ذلك ان امريكا بعد ان حاولت التدخل ، تدخلت لكن بتؤدة وحكمة ، وحتما الامر مثير للسخرية ، لتبقى المصالح هي الامر الناهي في ختام الامر ، ويبقى العدو المشترك(تنظيم داعش) فيما يتفق المتنافسون على اجراء الحرب ضد هذا التنظيم ولكن يبدو ان حماسة كل من الولايات المتحدة الامريكية وروسيا تتفاوت بحسب قراءة المصالح المحركة للطرفين[٧].

ولننظر كيف اسس التنظيم نفسه وروج لها ، اذ ان بداية التأسيس كانت مع تنظيم القاعدة واحمد بن لادن، وبداية رد الفعل تأتي بعد ضرب برجي التجارة ، اما كل مامضى من تمدد ترافقه تحركات مشبوهة ، كان على مراى ومسمع من امريكا لخلق حجة اخرى تحارب بها الشرق ، هذا ماثبته الاعلام المرئي وباختصار ، اما اذا دخلنا في مضامين التنظيم وتأسيسه ، فأن اول ما يلفت الانتباه ان التنظيم لم تكن له حرب على ارض الواقع وان الدعوة للدخول في صفوفه بدأت بالترويج على القنوات الفضائية الكبرى ثم قنوات التواصل الاجتماعي ، ومازالت ، أي اننا امام حرب

افتراضية تكمن قوتهـــا في اجتذاب المزيد من المؤيدين والمناصريـــن كل ما حصل يقع في اطار الكلام فقط ، كان هذا مع بداية التأســـيس واتصور ان الخطورة تكمن خساراتها ، بذلك نجد تفســـيرا واضحـــا في تهيئـــة العقول قبل الارض لكي يجنب نفســـه (التنظيم) الدخول في حـــرب يخوضها على الارض ، لذلك كان يبحث عن مكان صالح يستخدمه كبداية انطلاق للتنظيم وربما عاصمة لـــه ، وبالتحديد ارضا رخوة لكي تكون السيطرة عليها سهلة وانسيابية ، وليس ارخى من بعض سوريا وشعب يعاني ضغط النظام ومصادرة الحريات ، اما العراق فلا مزيد من التوضيح اذ لايوجد اوهن من بقايا بلد محتل .

واذا وضعنـــا نصـــب اعيننـــا فكـــرة ان " الاســـتراتيجيات التي تقوم عليها ظروف هذا التنظيـــم هـــي البحث عن المزيد من التوســـع وان اخفقت فـــي جانب فانها تبحث عن بيعات اعلامية[٨] كبيرة تعوض بها خساراتها ، بذلك نجد تفسيرا واضحا لتحركات داعش . ، ففضلا عن التمدد على ارض الواقع والاســـتيلاء على المزيد من المـــدن فان اعلانات التنظيم تحاول ان تحقـــق لها نوعا مـــن الاطمئنان والثقة عند مؤيديها ولجلـــب المزيد من المؤيدين ، ولا بد ان نذكر هنا ان حرب التنظيم في حقيقة امرها حرب مساومة قائمة على (الفعل ورد الفعل) لذلك ف" ان فهم الجاذبية الايديولوجية لتنظيم الدولة الاسلامية امر ضروري لالحاق الهزيمة به ليس من الناحية العسكرية وانما من الناحية السياســـية إذ يروج تنظيم ما يعـــرف بالدولة الاسلامية لايديولوجيا سياسية [٩].

اذن نحـــن امـــام مؤسســـة اعـــلام حربية لها ايديولوجيـــا خاصة تتميز بالهجـــوم واصدار البيانات تقوم على المساومة ، هدفها جمع المال لتؤسس دولة من مكون انساني له مثله الخاصة والمشرعنة لكل شيء، اذ يضمن التنظيم لنفسه البقاء .

اننـــا في العـــراق نتلمس كل ما ســـبق واقعا ، فعندما استولى التنظيم على الموصل ، صادر المؤسســـات الحكومية ، واستصدر لها اوراقا تحمل اســـم الدولة الاسلامية ، لابل ان لوحات الســـيارات ايضا تحمل اســـم الدولة الاسلامية ، ممـــا يعني ان كل ماســـبق كان مخطط له ، هذا يـــدل على ان قيـــادات التنظيم لم تأت من فـــراغ ،ولذلك جاء عملها منظما غير متخبط ، لاعتمادها قيـــادات مؤهلة اصلا ، ذات ماض عســـكري مميز، مما ادى الـــى دخول المدينة بسلاســـة وارضاء اهلها ، وطمأنتهم وامساك الارض بكل الســـبل ، ثم العمـــل على تحقيق اهـــداف التنظيم لاحقا ، ولعـــل ابرز مااعتمده التنظيم هو " اســـلوب الاشاعة في بث قوانينه إذ يقوم عناصره ببث اشـــاعات قبل تطبيق او فرض أي قانون وتكون هذه الاشاعات بالونات اختبار لمعرفة مدى تقبـــل الناس للامر وكان يرافق الاشـــاعة كتـــب توزع علـــى الجوامع الا انهـــا غير ملزمة في البدايـــة ليقوم التنظيم بعـــد ذلك بفرض تعليماته بالقـــوة بعد ان تأخذ الاشاعة مداها في المدينة[١٠] .

ثم بدأ التنظيم بوضع قوانينه الخاصة مستهدفا قطع الموصل التام عن العراق ، وطرد كل من لاينتمي للاسلام فضلا عن تهجير وسبي لكل قومية غير عربية ، بحجج ايات اقتطعها التنظيم من القران ووظفها لضعيفي الثقافة من العامة لاقناعهم بكل الجرائم الحاصلة من التنظيم ، وبذلك نجح في تمزيق النسيج الاجتماعي للموصل ، مما يضعف المواطنين والمدينة تدريجيا ، ثم قطع الاتصالات بكل اشكالها، واذا كان هناك ثمة اتصال فهي مجرد اعلانات تبث لصالح التنظيم ، تشكل هذه الاعلانات والافلام الوثائقية احد اهم وسائل الترويج لداعش ف" لقد اوجد داعش مكانا له في شبكات التواصل ، باحثا عن نشر هويته ولديه مقومات عديدة ليجد اتباعا له في الفكر والعقيدة وهذا يعني ان الحرب على داعش هي حرب معلوماتية واعلامية قبل ان تكون عسكرية وفضلاً عن هذا فاي غفلة من أي من الطرفين ستكون وخيمة[١١].

ولنقف قليلاً عند كلمة غفلة وماتعنيها وعند عاقبتها وخيمة ومانتائجها على الارض ، معلنين مبدئيا ان التنظيم لم يجد من يردعه عسكرياً واعلامياً ، وهذا ما شجعه على الاستيلاء على الكثير من الاراضي حتى وجدناه على مشارف العاصمة بغداد وفي المحور التالي سوف نبحث عن ماهية رد الفعل على التنظيم وكيف حورب ومتى .

ومن اللافت ان نعترف ان الايقاع بالتنظيم ليس سهلا ، ففضلا عن مؤيديه وامساكه بزمام الامور على الارض بقوة ، فان المؤيدين له في الخفاء اقوى .

الاستراتيجية الاعلامية العربية والعالمية :

أصبح الاعلام بكل وسائله وهو يكرس لمحاربة داعش ، يستخدم الدعاية للسياسي الفلاني او المحلل الفلاني، والترويج لفكرة سياسية او طائفية معينة ، يراد من كل ماسبق تفتيت ما تبقى من المجتمع العراقي ، وتغيير الطبيعة المجتمعية المتعددة الطوائف ، لذلك صارت المعارك التلفزيونية اشبه بمقاطع تلفزيونية سرعان ماتنتهي بانتهاء بثها ، وبعد ان تكون قد زرعت مازرعت من فتنة .

واذا اعتمدنا قول الدكتور جمال زرن « يغلب اليوم على تحليل مخرجات الاعلام العربي طابع عاطفي سطحي لايرقى الى معايير البحث العلمي بل هو في الغالب استجابة حينية لرهان سياسي او امني سرعان ما تتراجع قيمته مع اهتمام رجل الامن او السياسة به[١٢].

نستنتج من القول السابق ان الاعلام بكل مفاصله تعامل مع التنظيم بعد احتلال الموصل والانبار واجزاء من سوريا ووصوله الى بغداد ، تعامل ببرود غير متوقع فلا يتعدى موقفهم من اعمال التنظيم الاجرامية سوى ترديد(استنكر ، شجب ، ادان ...) وفي حقيقة الموقف ان المؤسسات الاعلامية ليست الا ابواقا معتمدة تتجاذبها المواقف السياسية الكبرى لطرفي العالم

روسيا وامريكا ولان التنظيم في حقيقته تنظيم امريكي_ روســي يخدمهم في تحطيم اطراف القوى في العالم العربي ولابد للعراق ان يكون له نصيب الاسد مما يحصل ، ويبقى الموضوع الأهم ان الدول الكبرى لم تصب بسوء يذكر ، وان كل ما يردده زعماء العالم مجرد شعارات فارغة ف" ببساطة شديدة تقول كبيرة المدعين فاتو بينســودا في المحكمة الجنائية الدولية في ٢٠١٥/٤/٨انها غير مســتعدة بعد لفتح تحقيق في الجرائم التي يتهم تنظيم الدولة الاســلامية بارتكابها في العراق وسوريا ومن بينها جرائم الابادة لانها لاتملك الصلاحيات القضائية للقيام بذلك(١٣).

ان موقفــاً اعلامياً عربياً وعالميــاً يمتاز بكل ما ســبق لايمكن اعتماده فــي مطاردة التنظيم وهزيمتــه او اختراقه علــى اقل تقدير ، ولان السياسة الجديدة المتبعة في الحكومة الامريكية تقضــي بعــدم دخولها في حــرب اخرى بعد خوضها الحرب على العراق ، ذلك انها ليست على خط المواجهة المباشر او بمعنى ادق ليس هناك من ضرر مباشــر بالمصالح العالمية ، ولان نتائج الدمــار الواقع على العراق يصب في صالح الدول الكبرى برعاية امريكية حتما ، ولاســيما وانها (حرب التنظيم) حرب ابادة وفتنة فهي الهادئــة الصاخبة لابل ان الاعلام المحلي يتعمد اخفاء الحقائق ولا اعرف ســببا محــددا لذلك ، منهــا مثلا تجاهلهــا لاحداث ٢٠١٤/١١/١١،اذ " كان لها تداعيات خطيرة على الوضــع في مدينة الموصل من الناحيتين الامنية والسياسية فمن الناحية الامنية ادى هذا الهجوم الى فضح هشاشة المؤسسات الشرطوية في المدينة وكشف خورها وضعفها ..... اما على الجانب السياســي فقد كانــت تداعيات هذا الهجوم اشــد وطأة إذ اظطــرت حكومة نينوى المحلية الى طلب المساعدة العسكرية من قوات البيشمركة الكردية (١٤).

هــذا ولازالت الحكومــة العراقية تأخذ وضع المتفــرج الســاكت وليس المعلــق ، فلا ادانة ولاتأييــد لابــل ان بعض الجهــات المتحزبة مدعومة ببعــض المتنفذين حاولوا اســتغلال الموقف ببث اشــاعات لاصحة لها ، الغرض منها اشاعة الفتنة والدعوة الى الطائفية وكأنهم يعملــون لصالــح التنظيم لاعليــه ، من هذه الاشاعات ان اجرام داعش موجه ضد الطائفة الشيعية وانه يبحث عن الافراد الشيعة ويحاول قتلهم والتنكيل بهم وبأسرهم على غرار ما فعل باليزيدية والمسيح وباقي الاقليات ومن كل من يعارضهم من اهل الموصل ، وفي حقيقة الامر ان السنة هم هم من عانوا من التنظيم فلا ننس ان المناطق المســتهدفة للتنظيم هي الموصل ذات الاغلبية السنية ، اذن ما يبث من دعايات ليســت الا تفرقة طائفية مــن نوع اخر واثارة طائفيــة لطالما تربص لهــا العملاء ،، اذ يبدو ان خيارات اللاعبين بشــكل خاص تتجه نحو زيادة التعقيدات الداخليــة واضعاف التجانس الاجتماعــي داخل العراق ، اذ ان «سياســات التوحش التي تمارســها جماعــات داعش في الانبار والموصل تدفــع نحو مزيد من التباعد

بين المكونات الاجتماعية وتعيد رسم الحدود النفسية للشعور بالمواطنة حيال الهويات المنتشرة في العراق وهذا ما يساعدفي اضعاف استمرار التماسك الاجتماعي[١٥].

اما بعد وقوع المعركة على ارض الواقع وتحشيد الجيش الحكومي وبناء العشائر والحشد الشعبي ، تحول الاعلام الى معلق بعد ان كان ناقلا ، ولكنه يبقى مجرد ناقل لااكثر ،في حين ان المفترض بها ان يكون مديراً ناضجا للازمة ، لابل قد تحولت بعض القنوات الاخبارية الى ابواق تروج لحزب معين او لطائفة معينة مستخدمين ما يبثه التنظيم من افلام وثائقية وببعض التقنيات التصويرية المتواضعة تعيد مونتاج الفلم لصالح جهة معينة ، كي يحصلوا على تاييد جماهيري وتحشيد اكثر عدد ممكن من الاراء التي بدورها تساند طائفة ضد اخرى ،هذه هي حقيقة الاعلام المحلي والعربي والعالمي المتداول ا ذادت "الى ما يمكن تسميته(خصخصة الدبلوماسية) التي تم التعبير عنها بالاعتماد المتنامي على اعضاء جماعات الضغط لتحقيق مصالح وطنية في الخارج [١٦]، وقد يصدق ذلك مع أي دولة الا العراق ، فحالة التخبط السياسي الذي يعيشه البلد وضعف الجهاز الدفاعي المتمثل بالجيش والشرطة ، فتح الباب لمن هب ودب من عناصر تخريبية للعبث بالبلاد كما لاننس انعدام المسؤول التكنوقراط الذي يمكنه القيادة والتخطيط للخروج من الازمة وللاسف يجب مواجهة حقيقة مفادها ان العراق بعد حربه مع التنظيم ، يكتشف مدى ضعف قوته العسكرية عدة وعددا ، كما ان السياسات المعتمدة في الهجوم ليست واحدة ، فالتصدي للتنظيم في سوريا غير التصدي له في العراق ، مما يعزز موقف التنظيم بعمليات الكر والفر التي يتبناها ، حتى وان شخصت هذه الحقائق بعد الانتصار على التنظيم ، اذ تبقى المصالح المشتركة صراعاً قائماً بذاته ، بالرغم من ان هناك صراعاً اكبرهو صراعنا مع التنظيم فقد " كان من المتوقع ان تؤدي اخطار تنظيم داعش على المنطقة الى قيام سياسة مراجعة استراتيجية من البحث عن الاخطار ولو بشكل مؤقت لكي تكون هناك نتائج سريعة لكن بوصلة الخلافات الاقليمية تعلو بشكل واضح وعقدة القلق التأريخي متلازمة واضحة لصانع القرار الشرقي .

النتائج :

وجوب تغيير لفظة ارهاب اللصيقة بالتنظيم الى لفظة اجرام .

بدل اللجوء الى التصدي لكل الكفاءات العسكرية المنتمية للجيش السابق ، وجب ضم هذه الكفاءات تحت لواء الجيش الجديد والاستفادة من الخبرات والكفاءات للاعتماد عليهم في بناء جيش قوي ومنظمة عسكرية وتعتمد التقنيات والفنيات الحديثة على غرار جيوش العالم ، بعد ان تفتت القوة العسكرية على ايدي الاحتلال .

النظـــر بعين الاهتمـــام والرعايـــة لمحافظتي الموصل والانبار اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا لاســـيما بعد الخروج من ازمة داعش كونهما اكبـــر محافظتين عراقيتيـــن وتحملان تأريخا سياسيا لايستهان به .

توظيف محللين سياســـيين من جهة الحكومة ، يكون اختصاصهم مراقبـــة ومتابعة نحركات التنظيـــم وتحليلهـــا والتكهن بالخطـــوة التالية ، وموافاة الجهة العســـكرية بـــكل ماهو جديد وطاريء .

كان لابد للدولـــة ان تحارب التنظيم بالمثل أي استخدام القنوات الســـمعية والمرئية واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لتعزيز مكانتها عند الفرد الموصلي وطمأنتهم بكل ما اســـتطاعت من ســـبل ، واتصور ان الاعلانات الســـريعه التـــي تروج لمكانة الدولة تعبر خير تعبير عن الاسنادات التي توفرها الدولة لتأهيل الموصل وهي اشـــبه باعادة تأهيل ثقافـــي وايديولوجي للعقل الموصلي .

تقوية الشـــعور بالمواطنة ونشـــر الالفة بين مكونات المجتمع العراقي بنشـــر برامج تثقيفية تعيد تماسك الطوائف والقوميات .

في خندق مقاومة التنظيم يجب ان نضع نصب اعيننا الافراد المختصين لهكذا مواجهات ، مثل اعتماد مسؤولين ذوي خبرات خاصة بالتنظيم والقدرة على التحليل وقراءة التوقعات .

المصادر

١-ابحاث استراتيجية ، مجلة دورية تصدر عن مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية ، العـــدد الخامس عشـــر اب ٢٠١٧ ، ادوات القوة الامريكية في التعامل مع القوى الصاعدة ، الصيـــن انموذجـــا ،أ.م.د نوار جليل هاشـــم ،ص١١٢.

٢- مستقبل الحملة الامريكية لمكافحة الارهاب في ضـــوء الاتجاهـــات الدراســـية الحديثة ، السياسة الدولية ، العدد ١٥٩ ، عبد الله الاشعل ، يناير ٢٠٠٥، ص٢٤.

٣-ابحاث استراتيجية ، مجلة دورية تصدر عن مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية ، العـــدد الخامـــس عشـــر اب ٢٠١٧، داعـــش فـــي الادراك الاســـتراتيجي الصيني ، د. باهر مروان مذخور ، ص١٢١.

٤- الخليج والربيع العربي ، الدين والسياســـة ، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، الامارات العربية المتحدة ، ط١، ٢٠١٣، ص١٦٣.

٥-مستقبـــل الحملة الامريكية لمكافحة الارهاب في ضـــوء الاتجاهـــات الدراســـية الحديثة ، السياسة الدولية ، العدد ١٥٩ ، عبد الله الاشعل ، يناير ٢٠٠٥، ص٢٤.

٦-زمن المذلولين ، باثولوجيا العلاقات الدولية ، برتـــران بديـــع ترجمـــة جـــان ماجـــد جبور ، المركـــز العربي للابحاث والدراســـات بيروت الدوحة ، ٢٠١٥، ص٢٢٧.

٧-منطقة الفراغ في العلاقات الدولية ، الرهاب الامريكـي الروسـي في عالم متغير ، د.ياسـر عبد الحسين ، اصدارات مركز بلادي للابحاث الاستراتيجية ، بغداد الطبعة الاولى ، ص١٧٥.

٨-المصدر السابق ، ص١٧٧.

٩-الملاحقـة القضائيـة ضد تنظيـم داعش في القانـون الدولـي الجنائـي ، تحديـات الاسـس وعوائـق التطبيـق ، د. محمد عبـاس محسن ، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية ، بغداد ٢٠١٦، ص١٨.

١٠-النزوح الكبير ، ازمة النازحين في العراق بعد حرب داعش ، مجموعة من الباحثين خالد اسـماعيل ، علي يوسف ، امور عادل محمد ، مركز بلادي للدراسات والابحاث الستراتيجية ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٦، بغداد ، ص٩٧.

١١-داعـش النسأة والبنية والاهداف ، د. سـيد رضـا الحسينـي ، ترجمة ايهم علـي حسون ، محمد عبـد اللطيف علـي ، مراجعـة الدكتور نزار بني المرجة ، د.حسام شعيب ، منشورات الهيئـة العامـة السوريـة للكتـاب ، دمشـق ٢٠١٨م،ص٥٩.

١٢ - مركز الجزيرة للدراسـات الاستراتيجية الاعلامية العربية لمكافحة الارهاب ، غموض الرؤية وقصور المقاربة ،د جمال زرن ، بحث نت .

١٣-الملاحقة القضائية ، مصدر سابق ص١٨.

١٤-النزوح الكبير ، مصدر سابق ص٢٨.

١٥- ابحـاث اسـتراتيجية ، مجلـة دوريـة تصدر عن مركز بلادي للدراسـات والابحاث الاسـتراتيجية ، العدد العاشـر٢٠١٥،مأزق العراق تعقيدات الحرب على داعش والتوازنات الاقليميـة ، د.علي فارس حميـد ،كلية العلوم السياسية جامعة النهرين ، ص١٥٢.

١٦-تأريـخ الدبلوماسـية ، جيرمي بلاك ، هيئة ابـو ضبي للسياحة والثقافة ، مشـروع كلمة ، الامـارات العربية المتحدة ، ترجمة احمد علي سالم ، ط١ ، ٢٠١٣ ،ص١٦.

١٧-العـراق ، الازمات المتموجـة ، والحرب على الارهاب ، د. ياسـر عبد الحسين ، ابحاث اسـتراتيجية ، مجلة دورية تصدر عن مركز بلادي للدراسـات والابحاث الاسـتراتيجية ، العدد الثالث عشـر تشـرين الاول ، ٢٠١٦، بغداد العراق ص٣٥.

الدور الامريكي الجديد في الخليج العربي في ضوء التحولات الاقليمية

أ.م.د. شذى زكي حسن (*)

المقدمة

لعقود طويلة كان يتم تفسير الدور الأمريكي في منطقة الخليج العربي انطلاقا من اعتبارها القوة المهيمنة ، فقد شهدت المنطقة مرحلة تراجع لهذا الدور منذ عهد الرئيس السابق أوباما عندما تغيرت اهداف الاستراتيجية الامريكية لمعالجة الخلل الناتج عن سحب القوات الامريكية من العراق وثورات الربيع العربي وتمدد ايران مما اصبح الخليج معه ساحة صراع نفوذ للقوى الاقليمية .فضلا عن انخفاض احتياج الولايات المتحدة لنفط الخليج العربي بسبب تنويع مصادر استيراد النفط أو ما يتعلق باكتشافات ما يسمى «النفط الصخري» وهو ما أثر على درجة اهتمامها بالمنطقة والى تراجع الجانب المرتبط بالضمان الأمني لدولها مع تزايد القناعة لدى صناع القرار الأمريكي بأن قدرة الولايات المتحدة على التأثير على مجريات الامور أصبحت محدودة، وغير مرحب بها من غالبية القوى السياسية بهذه المنطقة وبالتالي لاداعي للقيام بمثل هذا الدور.

هذه الأسباب مجتمعة دفعت الولايات المتحدة لتقليل ارتباطها بالخليج العربي، وتجنب التورط في مشكلاته. وتحولت لعبة النفوذ فيها الى لعبة إقليمية أطرافها القوى الفاعلة من داخل اقليم الشرق الاوسط .

ومع وصول الرئيس ترامب سدة الرئاسة وضعت ادارته رؤى استراتيجية لاعادة صياغة اهداف جديدة ووسائل تنفيذها تجاه الخليج العربي من أجل تغيير معادلة التحكم بمستقبل الشرق الأوسط والتوجه نحو تمكين مقومات الهيمنة على العالم من جديد باعادة هيبة القيادة العالمية التي استمدتها من مكافحة الارهاب الدولي وتوظيف هذا الدور في اعادة توازنات القوى في المنطقة في وسط توسع النفوذ الروسي وتوتر العلاقات الأمريكية - الإيرانية، والتقارب الروسي- السوري، والانفتاح على السعودية ومصر. ؛ وهومن الصعوبة بمكان في ظل متغيرات القوة والتحولات الاستراتيجية في البيئة السياسية الدولية المرتبطة بالبيئة الإقليمية وتوازناتها الثنائية (روسيا وإيران ، تركيا والسعودية ، إيران وسوريا ، والعراق وإيران) . فالتوازنات الإقليمية على هذا المنوال باتت مرتبطة بشكل كبير بمفهوم القوة النوعية لكل طرف ومدى

(*) مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية/ الجامعة المستنصرية

تأثيره في تغيير معادلة التحكم بمستقبل الشرق الأوسط ، وهو مشهد في غاية التعقيد مع الأخذ بالحسبان دور روسيا وتوظيف قدراتها العسكرية والاستراتيجية للتأثير في النسق الدولي العام ، وبالمحصلة النهائية أدى ذلك إلى التراجع عن الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة ، والسبب في ذلك ظهور بوادر تلاشي تبعية منطقة الشرق الأوسط لصالح طرف واحد (الولايات المتحدة الأمريكية حصراً)

فرضية البحث :- ان سياسة الرئيس ترامب تجاه الخليج العربي مغايرة لسلفه وترتكز على الوسيلة الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية بهدف عودة قوة نفوذ التحالف الامريكي مع زيادة المنافع وتقليص التكاليف وتحجيم التحالف الروسي – الصيني – الايراني

اشكالية البحث :- متأتية من دراسة التغيير في الدور الامريكي وانعكاسه على الامن الخليجي.

في ضوء ما تقدم فأن هيكلية البحث تقوم على المحاور التالية:-

اولا:- مرتكزات الدور الامريكي في الخليج العربي :

تستند استراتيجية الأمن القومي الأمريكي الجديدة في عهد الرئيس ترامب على تقييم واقعي للمصالح الأمريكية على الساحة الدولية والعزم على مواجهة التحديات ؛ وتعد استراتيجية واقعية تستند إلى المبدأ الحاكم بأن السلام والأمن والرخاء يعتمد على الدول القوية ذات السيادة.

وتقوم الاستراتيجية الجديدة على حماية الوطن الامريكي، وتعزيز الرخاء للاقتصاد الأمريكي، والحفاظ على السلام العالمي من خلال القوة، وتعزيز الدور الأمريكي على الساحة الدولية كقوة أحادية، وتهدف لنشر قيم ومبادئ النظام السياسي الأمريكي بالخارج. وتحدد الاستراتيجية ثلاثة أنواع من التحديات؛ تتمثل في القوى الساعية لتغيير النظام العالمي، كالصين وروسيا، قوى تنافسية على الساحة الدولية على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري، و"الأنظمة المارقة"، مثل كوريا الشمالية وإيران وهي تهديدات اقليمية، والمجموعات الإرهابية التي لأعمالها تأثير دولي، مثل تنظيم الدولة الإسلامية(داعش)، ومواجهة التهديدات في مصدرها[1].

والسعي لاستعادة الدور والتأثير الأمريكي في العالم من خلال القوة يتطلب إعادة بناء القوة العسكرية الأمريكية لضمان بقائها في الصدارة عالمياً وتتعهد الاستراتيجية الجديدة بتعزيز القدرات الامريكية في مجالات عدة فضلاً عن تعزيز مصالحها حول العالم انطلاقاً من التعاون المبني على تحالفات قوية مع القوى الإقليمية الفاعلة التي تتقاسم مع الولايات المتحدة قيمها ومصالحها[2].

تنظر الادارة الامريكية وجود ثلاثة تهديدات في منطقة الخليج العربي ، الأولى تنامي دور التنظيمات "الإرهابية" وتصدير الإرهاب حول العالم، والثاني هو التوسع الإيراني في المنطقة بما في ذلك دعم "الإرهاب" والتخريب، والثالث هو التهديدات التي تهدد استقرار الاقتصاد العالمي المعتمد على الطاقة، عبر تحقيق الاستقرار من خلال تعزيز القوة الأمريكية ، وتؤكد إدارة الرئيس ترامب أن الدور الامريكي الجديد يبدأ من تعزيز وجودها بالمنطقة. لكنها ستقوم بدعم الأنظمة

التي تُقَرّر تعزيـز الإصلاحات من تلقاء نفسها مثل السعودية وستتجه أمريكـا ناحية التعاون الاقتصادي مع الـدول القريبة منها في المنطقة وخصـت بالتحديـد الامـارات والسعودية، من خلال دعـم برامـج الإصلاح الاقتصـادي في هـذه الـدول، وتعزيـز الشراكـة الاقتصاديـة معهـا، بالشكـل الـذي يحفز عملية الاسـتقرار الاجتماعـي والتـوازن، انطلاقـا مـن مبـادئ السوق الحر التي تروج لها الولايات المتحدة[٣].

ينطلـق الـدور الامريكـي مـن الفـرص التي تواجه الإدارة الأمريكيـة وضرورات التحرك الامريكي فـي الخليج العربـي لدعم أمن دول المنطقـة أمام الجماعـات الإرهابية ، ومحاولة الحـد من الصراع فـي سـوريا، وتحييد الدور الإيراني وضمان عدم امتلاكه للسلاح النووي، ، وتعزيز التواجد الأمريكي في العراق اذ أكدت الاسـتراتيجية على ضرورة الاحتفاظ بالوجود العسكـري (الضـروري) للقـوات الأمريكيـة بهـدف إحـداث تـوازن القـوى، والدفـاع عن الحكومـات الضعيفة أمام هجمـات الجماعات المتطرفـة، ، والقيام بدعمها فـي مجال الدفاع الجوي، ولاسـيما أنظمة مواجهـة الصواريخ. والاهـم تحسين العلاقـات الامريكيـة مع دول الخليـج وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية بعدمـا بلغـت الخلافـات الأمريكيـة السعودية مرحلة متقدمة مـن التصعيد عندما وجه أوباما فـي آذار ٢٠١٦ اتهامـات صريحـة للمملكـة "بتأجيـج الصراعات في الشرق الأوسـط عبر تمويـل التعصـب الديني ورفـض التعايش مع إيـران".[٤] وهـي الاتهامـات التـي رفضتها السعوديـة ورفضت الطلب الأمريكي بالتعايش مع إيران التي "لا تزال تسلح وتمول الميليشيات المتطرفة فـي العالمين العربي والإسـلامي".

وفي اثناء الأشـهر الأخيرة من رئاسة أوباما، بـدت العلاقـات الأمريكية السعوديـة في أدنى مستوياتهـا مـع قيـام الكونغـرس بالتحقيقـات فـي "تواطؤ سـعودي رسـمي" بهجمات ١١ ايلـول ٢٠٠١ وتشريـع قانون جاسـتا. والدفع بإيران إلى أعلى مستوى مـن النفوذ بالمنطقة، اثنـاء توقيع الاتفـاق النووي، فـي ظل تجاهل أمريكـي واضـح لواقـع العلاقات بيـن البلدين التـي مثلـت على مـدى عقـود، الأسـاس في اهتمامـات السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة[٥] .

علـى عكـس الإدارة الأمريكيـة الجديـدة التي أظهـرت قدرا كافيا من الابتعـاد عن الانخراط فـي قضايـا التغييـر والإصـلاح السياسـي والحريات المدنية وحقوق الإنسان في المنطقة. بـدأت الأمور بخصـوص السياسـة الامريكية الخارجيـة تعود إلى طبيعتها في الخليج العربي ، فيمـا انتقل ملف عـودة العلاقـات الأمريكية السعوديـة إلى شـكله التقليـدي كحليف موثوق إلى صـدارة اهتمامات تلك السياسـة. والعثور علـى أرضيـة لعلاقـات ثنائيـة واسـتراتيجية منسجمة مع بلدان المنطقة، ضمن إطار واقعي للتعاطـي مـع تهديـدات مشتركـة مـن طرف نفـوذ إيـران وتنظيمـات إرهابيـة كـ"داعش" و"القاعـدة"[٦]. انطلـق الـدور الأمريكي من سياسـة اسـتثمار العلاقـات مـع الـدول الغنية مثل السعوديـة والامارات، لتعزيـز الاقتصاد الأمريكـي، وإعادة دور الولايـات المتحدة في المنطقة في ظل شـراكة أمنية عميقة وتداخلات اقتصادية واسـعة، وتقـارب أو تفاوت وجهات النظر بشأن الملفـات الساخنة في المنطقة التي تشهد صراعات وحروبا أهلية في بلدان عديدة. وفي دلالة على إيلاء الإدارة الامريكية الجديدة أهميـة غير اعتياديـة لعلاقاتها مـع السعودية،

اختـار ترامـب السعوديـة فـي أيـار ٢٠١٧، كمحطة أولى في مستهل رحلاته الخارجية بعد وصوله إلى البيت الأبيض. هذه الزيارة أثمرت عقـودا ضخمة بلغت ٣٦٠ مليـار دولار، منها ١١٠ مليـارات فـي مجال بيع أسـلحة أمريكية للسعودية؛ بهدف التصدي لما يرونهما تهديدات مشتركة من إيران والتنظيمات "الإرهابية".[٧]

وشـكلت القمـة الأمريكية الخليجيـة في مايو ٢٠١٧، محطة فارقة فـي تاريخ العلاقات بين الطرفيـن للخروج مـن دائرة سياسـات أوباما تجـاه المنطقـة. كمـا أكـدت تلـك القمـة حالة الاقتـراب الزائد مـن وجهة النظـر الأمريكية ورؤيتها لمصالحها في المنطقة، وفق "شـراكة استراتيجية جديدة" تخدم أمنها القومي، وتعزز قدراتها الاقتصادية، من خلال صفقات التسليح وصفقـات أخـرى بمجالات عـدة، تسهم بشكل مباشـر فـي خلـق فـرص عمـل للأمريكيين.

أما بخصوص الرؤيـة الامريكية لإيران اثناء فتـرة حكم الرئيس ترامـب، فهي مختلفة تماماً عن الرؤية السابقة التي رأت في الاتفاق النووي مـع إيران فرصة لإحداث تغييـر ذاتي من قبل إيران لسياسـاتها فـي المنطقة، فـي حين ترى ادارة ترامـب فشل ذلك النهج وتنتقد الاتفاق مع إيـران وتعتبره خطأ كبيـر وتتطالب بتغيره أو الخروج منـه[٨]. وتعـد إدارة الرئيس ترامب (إيران باعتبارها من الأنظمة المارقة وانها أكثر دولة تمثـل تهديداً لمصالح أمريكـا في الشرق الأوسـط كما وصفتها بـ"النظـام الدكتاتوري" الـذي يزعـزع اسـتقرار المنطقـة ،ويدعـو نظامهـا علنـا إلـى تدميـر الولايـات المتحدة، ويدعم الجماعـات إرهابية ويمولهـا في أنحاء العالـم، فضلا عن أنه يتعامـل بالقسوة والعنف مع شـعبه).[٩] وأشـار واضعوا الاستراتيجية الجديدة إلى أن واشـنطن "تقوم بنشر المنظومة المضـادة للصواريخ المتعددة المستويات" بغية الدفاع ضـد الهجمـات الصاروخيـة المحتملة التـي مصدرهـا إيـران وكوريـا الشماليـة. ، ويتسـق هذا مـع الرغبة الأمريكيـة في ضمان عـدم هيمنة أي قوة غيرها علـى الأوضاع في أحـد الأقاليم، إذ ترى الاسـتراتيجية أن الاتفاق النـووي مع إيـران لـم يردعها عن ممارسـة بعـض الأعمـال العدائيـة داخـل الإقليـم.[١٠]

بمـا يعني أن رؤيـة إدارة ترامـب تجاه منطقة الشرق الأوسـط عادت للسياسـة التقليدية وفق النظريـة الواقعية الكلاسـيكية التـي تؤكد على المصالـح القومية والقـوة فـي إدارة العلاقات الدوليـة. وبدراسـة الاسـتراتيجية الأمريكيـة تجـاه الخليـج العربـي ناتجـة عـن متغيرات المنطقة، إلا أنهـا تتمتع بعدد من الثوابت منها:

• أن الولايـات المتحـدة تعمـل علـى تأميـن استمرار تدفق النفط العربي إلى باقي دول العالم

• ضمان اسـتقرار المنطقة النفطية، وعدم خلق نزاعات من شأنها التأثير سلباً على تدفق الطاقة

• ضمـان اسـتقرار وأمـن إسـرائيل، كحليف رئيس للولايات المتحـدة في المنطقة، وضمان اسـتمرار تفوقها العسكري على الدول العربية.

• ارتكـاز السياسـة الأمريكيـة، فـي منطقـة الخليـج العربـي علـى عـدد مـن القواعـد العسكريـة الأمريكيـة، القابلـة للزيـادة، وفقـاً للأجنـدة الأمريكيـة، والتـي من شـأنها تغطية جميـع الاتجاهـات العسكريـة فـي المنطقـة.

• ضمـان تواجـد حجـم عسكري مناسـب في

المنطقــة يسمح بالتدخل السريــع وفقاً للمواقف الطارئــة، ودعم هذا التواجــد بعناصر إضافية تمكنها من السيطرة العسكرية على الموقف في أي من مناطق الاضطرابات في الشرق الأوسط.

• ارتكاز السياســة الأمريكيــة في المنطقة على عدد محدد من الــدول يتراوح بين ٤ - ٥ دول، تعتمــد عليهم فــي تنفيذ سياســتها فــي المنطقة على أن تكون إســرائيل إحــدى دول الارتكاز.

• التحكم في دول المنطقة عن طريق اعتمادهم على التسليح الأمريكي بما يضمن استمرار استنزاف موارد هذه الدول في شــراء الأســلحة الجديدة.

• ضمــان تــوازن العلاقات السياســية مع دول النفط فــي المنطقة، مع العمل على وجود تهديد مستمــر لها، لضمــان اســتمرار اعتمادها على الولايــات المتحدة الأمريكية في توفير الحماية.

• عدم السمــاح بالتغلغل الأجنبي للسيطرة على دول المنطقــة، ولاســيما من روســيا والصين.

• ضمان استقرار الميزان العسكري في المنطقة بعدم السماح بوجود قوات عسكرية متفوقة فيها.

• متابعــة النشاط العسكري لدول المنطقة وعدم السماح بظهور قوة نووية غير إسرائيل[١١] تلك هي الثوابت الأمريكية لاستراتيجيتها نحو الخليج العربــي والتي طرأ عليها بعض التعديلات مثل تعديل دول الارتكاز فــي عهد الرئيس ترامب. حيــث كانت الادارة السابقة، تعتمد على كل من تركيا وقطر، بجانب إســرائيل، فــي ارتكازها فــي المنطقــة، مما أتــاح لدولة صغيــرة بحجم قطــر لأن يصبــح لها مكانة فــي المنطقة. وهو ما قــام الرئيس ترامب بتغييره، فاســتبدل قطر وتركيا، بمصر والسعوديــة، لادراكه مكانتهما في المنطقة. الأمر الذي دفع قطر للسعي جاهدة لاســتمالة الرئيــس ترامــب، مرة أخــرى عن طريق توقيــع عقود لصفقات جديــدة بمليارات الــدولارات، إلا أن ذلــك لــم يغير من سياســته بضــرورة اســتبدالها بالسعودية[١٢] أمــا فيمــا يخص تركيا، وبعد محاولة الانقلاب العسكري الأخيــر فقــد رأى ترامب، أن تركيــا لم يعد لها دوراً حيويــاً فــي المنطقة مقارنــة بدور مصر التاريخــي وما لها مــن وضع جيوســتراتيجي ومكانــة معنوية وقتاليــة عالية. وهو ما أيده كل مــن البنتاجــون والاســتخبارات الأمريكية من ضــرورة الارتكاز على مصر بــدلاً من تركيا كدولة محورية لثقلها السياســي والعسكري[١٣].

وبالرغم من تحفظ البنتاجون على رفض مصر السابق للطلب الأمريكي بإنشاء قاعدة عسكرية أمريكيــة فــي منطقــة رأس بناس علــى البحر الأحمــر، والتي كانــت الإدارة الأمريكية تتوقع لها أن تكون أهم قواعدها العسكرية في المنطقة، إلا أن البنتاجون رجح كفة مصر على تركيا[١٤].

وفــي ظل محاولة تحقيــق التوازن بين الحد من النفــوذ الإيراني، مع اســتمرار تدفــق البترول العربــي إلــى دول الغــرب واليابــان من خلال مضيــق هرمز الــذي تسيطر عليه إيــران، فقد بــدأت الولايــات المتحــدة الأمريكية فــي تنفيذ خطتها القائمــة على مد خط أنابيب بترول عبر الصحراء السعودية، وصولاً إلى سلطنة عمان ومــن موانئها يتــم نقله على ســفن، إلى أوروبا والشرق الأقصى من خــلال باب المندب وقناة السويس، بمــا يقطع الطريق أمام إيران للتدخل في سير صادرات النفط من الخليج العربي[١٥].

ولتأميــن تدفــق البتــرول العربــي وفقــاً لتلــك الخطة، ســيتم إنشاء قاعــدة أمريكية جديدة في

سـلطنة عمـان، يطلق عليه اسـم قاعـدة الدقم، لتكـون الأكبر فـي الشرق الأوسـط. وباكتمال تلـك الخطـة الأمريكيـة، سـتنتهي الأهميـة الاسـتراتيجية لمضيق هرمز وستقتصر أهميته على نقل البضائع من وإلى دول الخليج العربي.

المبحث الثاني :- تحـولات توازنات الاقليمية في الخليج العربي :

باتـت منطقة الخليج سـاحة للتفاهمات الإقليمية والدوليـة بحكـم أهميتهـا فـي صياغـة هيكل النظـام الدولـي وإعـادة ترتيبـات موازيـن القـوى العالمية بمـا يحقق لكل قـوة مصلحتها القوميـة وحساباتهـا الاسـتراتيجية وفـق الأطـر والمصالـح المتبادلـة دوليـا وإقليميـا.

التنافس التركي –الايراني في الخليج العربي:

اضحت منطقة الخليج العربي ساحة تنافس تركي –ايراني كقوى إقليمية للهيمنة عليه، باعتبارهما الأكثر قـدرة على تبوء القيادة فيـه وذلك يعود لموقعهمـا الجغرافي الاسـتراتيجيين، وقوتهما العسكرية والاقتصادية، وإرثهما الامبراطوري العريقيـن، فضـلاً عـن مؤسـساتهما السيادية المتمرسة. كما انهما حظيتا بأدوار محورية في صياغة النظام الأمني والسياسي لمنطقة الخليج العربي على مدار تاريخهما الحديث . فقد أثرت كل من سياسة "تصفير المشكلات مع الجيران" التركيـة، وبرنامـج إيران النووي على شـكل التحالفـات الإقليميـة، وعلى تـوازن القوى في المشـرق في العقد الأول مـن الألفية الثانية[١٦] .

تبنت كلا القوتين خطاباً سياسـياً خاصاً متمايزاً سـعت مـن خلالـه لتعزيـز مساحـة نفوذهـا الإقليميـة. فعلـى الصعيـد الأيديولوجي، تبنت تركيا نموذج ديمقراطـي غربي تسعى للتبشير به في المنطقة، وتتبنى إيران نموذج ثيوقراطي تحـاول تصديره إلـى جيرانهـا، وتتنافس كلتا الدولتيـن في تغليب عقيدتها السياسـية الخاصة لصياغـة هوية ممـا اضفى مركّبـاً جديداً على حسابات العداوة والصداقة بين الدول الإقليمية. ففـي حين غـاب الخليج العربي عـن حسابات السياسـة الخارجية التركيـة، قبل أن تلتفت إليه حكومات العدالـة والتنمية المتعاقبـة، اعتبرته إيـران جـزءاً مـن رصيدهـا الاسـتراتيجي وحجر أسـاس فـي مشروعهـا الاقليمـي. أما علـى صعيـد الأدوات فلقد تبنت أنقرة أسـاليب القـوة الناعمة وإقامة الشراكات الاسـتراتيجية مـع دول الجـوار مـن أجـل تحريـر مكنونها الاسـتراتيجي فـي المنطقة، في حيـن اعتمدت طهـران على إبراز قوتهـا العسكرية، واعتماد الحـرب بالوكالة لتعزيز مكانتهـا الإقليمية[١٧].

وفـي الوقـت الذي لاتملك لا إيـران ولا تركيا مقومـات الانفـراد بقيـادة المنطقـة، إلّا أن حظوظهـا تنمو بدرجة نجاحها في نسج شـبكة من العلاقات المحليـة وتوظيفها لصالح تحقيق مصالحهـا الاسـتراتيجية. فتبـدو إيـران أكثر قـدرة على الحفاظ علـى مكتسباتها على المدى القصير باسـتثمارها وكلاء محلييـن مكّنها من التكيـف سـريعاً مع تغيـرات الربيـع العربي، فـي حين أخفقـت تركيا فـي ترتيـب أولوياتها وأصـاب رصيدهـا الدبلوماسـي التراجع[١٨] .

ويمكـن إجمال أبـرز وأهم المصالـح التنافسية التركية – الإيرانية في الخليج العربي بما يأتي:

١- مـلء الفـراغ الاسـتراتيجي: ثمـة عامـل مهـم يدفع كلا مـن تركيا وإيران إلـى التحرك صـوب الخليج تحديداً وهو محاولة ملء الفراغ الاستراتيجي في المنطقة، فالمتغيرات الإقليمية

الراهنة التي تواجه النظام الإقليمي العربي من إنقسامات حادة في المواقف والتصورات لنزاعات ومشكلات المنطقة، والاختلالات في التوازن الاستراتيجي في ظل النزاعات وكون المنطقة العربية باتت رخوة، تدفع لدور لكلا من تركيا وإيران في الخليج العربي.

٢- إعادة التمركز والإنتشار: وذلك لكلا الدولتين بفعل المستجدات والتطورات السياسية التي أعقبت ولاسيما أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، فقد وجدت كلا من تركيا وإيران أنفسهما امام تحديات ومخاطر وأمام فرص في آن معاً لموقعهما ودورهما في منطقة الخليج، وذلك في إطار سياسات التمدد من ناحية تواجد إيراني في العراق، ومن ناحية أخرى أصبحت تركيا فاعلة دبلوماسياً واستراتيجياً عبر نشاطها في إعادة التمركز أو التموضع اقتصادياً وسياسياً لممارسة ولعب دور فاعل ومؤثر في الخليج والمنطقة.

٣- التأثير في التحولات السياسية ومستقبل منطقة الخليج العربي: يتأتى لكلا من تركيا وإيران إدراكاً أنه كلما زاد تأثير ونفوذ إياهما في منطقة الخليج العربي التي تعد نقطة توازن إقليمي ودولي وتشكيل للنظام الدولي، ولاسيما أن كلا الدولتين من أكبر اقتصاديات المنطقة، كما أن التمدد لكلا من تركيا أو إيران في منطقة الخليج العربي سوف يعود على أي منهما بأن يصبحا ضمن أية معادلات وتوازنات وترتيبات طرفها الخليج العربي وتخص القوى الكبرى الولايات المتحدة الإمريكية وروسيا الإتحادية تحديداً وقادرتين على ممارسة دور مؤثر وشركاء في تفاعلات منطقة الخليج العربي[١٩].

في ضوء ذلك يمكن تفسير شكل العلاقات بين تركيا مع كل من السعودية وقطر، فحين التقارب القطري التركي في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية بغرض أن يتكامل دور تركيا لتحقيق التوازن في الخليج العربي يخفف من التصعيد الإيراني وردود الأفعال الدولية، فأنه عقب الاحتجاجات الواسعة وثورات الربيع العربي فتحركت السعودية لإحتواء مد الحكومات الإسلامية والتغيير الثوري والذى تدعمه تركيا وقطر، فرض هذا الواقع الجديد مزيد من التقارب والتفاهم السعودي - التركي[٢٠].

وهكذا أن إحتواء تمدد إيران في الخليج العربي يقع في أولوية المصالح الحيوية التركية في هذه المنطقة ولاسيما مع دورها في العراق والصراعات المسلحة في سوريا، وهكذا أن السياسة الخارجية التركية تجاه الخليج العربي تكتسب ميزة نسبية من عمقها الطائفي المشترك ولاسيما مع السعودية وتطلعاتها الإقليمية، وتجدر الإشارة إلى أن تركيا قد طورت علاقات متينة مع قطر، وهى قريبة جغرافياً من إيران وهو ما قد يشكل تهديداً حقيقياً للمصالح الحيوية الإيرانية ونفوذها في الخليج. إذ أن التهديدات التي تمثلها إيران عبر دعمها للتيارات المتواجدة في بعض دول الخليج العربي تدفع بقوة نحو تعميق العلاقات الخليجية – التركية

في المقابل، يبدو أن الصعود التركي الاقليمي الذي حققته تركيا اثناء المحافظة على مستوى منخفض من التوتر الاقليمي عبر ممارسة أدوار الوساطة، وسياسة تقريب وجهات النظر، وهو ما أسهم في تقوية اقتصادها الذي شكل العمود الفقري للسياسة الناعمة للبلاد آخذ بالتراجع . مع تفجر أزمات المنطقة بعيد الثورات العربية. فلقد فشل الترك أولاً في إسقاط بشار الأسد، وتمرد

حـزب العمّال الكردسـتاني مـن جديد وحظي أخيراً بدعم أمريكي متواصل، كما وجدت نفسها في مواجهة حلف الثورات المضادة (الامارات، السعوديـة، مصـر) نتيجـة علاقة أنقـرة بتيار الاسلام السياسي ورؤيتها الديمقراطية لمستقبل المنطقـة. ويعود هـذا التراجع بشكل عام لثلاثة أسـباب رئيسـة: أولاً، افتقـار تركيـا لرصيـد اسـتراتيجي فـي المنطقة وذلك بسـبب التفاتتها المتأخـر للمنطقة والتي بـدأت فعلياً مع مجيء حزب العدالة والتنمية للسلطة؛ وثانياً، محاولات تركيا المتكررة ولفتـرات طويلة لتمييز هويتها عن الشـرق الأوسـط؛ وثالثاً، مساومـة تركيا علـى موقعها المشـرف على الشرق الأوسـط مقابل التقـارب مع الغرب، ممـا أفسح المجال أمـام إيـران لمـلء الفـراغ أثنـاء ذلـك[٢١].

أثرت هذه العوامـل مجتمعة على فرص تركيا فـي مدّ نفوذها خارج أراضيها بما يتناسـب مع حجمها ومكانتها الاقليمية وتعتبر الظروف التي تسـود فيها حالة من الاسـتقرار والأمـن البيئة الأكثـر ملاءمة لتركيا من أجل ممارسـة قوتها فـي المنطقـة المعتمدة على الوسـائل والآليات الناعمـة. ولذا ربما يكـون من الأنسب لمصالح تركيا الحيوية العودة لممارسـة دورها كوسيط بين الأطراف المتنازعة للتوصل لتسويات تعيد حالة الاسـتقرار أو الاستقرار النسبي للمنطقة، وهذا ربما ما التفت إليه مجدد الترك مؤخرا من خلال الانخراط في محادثات آستانا والتي تبحث عن حل سياسي للأزمة السورية وإنشاء مناطق آمنـة للاجئيـن . وربمـا يشكل هـذا التموضع لاحقـاً – إذا ما أحسـن التـرك إدارة تحالفاتهم – رصيداً اسـتراتيجياً يمكن البناء عليه لإعادة صعـود تركيا مجدداً، وتعزيز نفوذها الإقليمي.

وبالرغـم مـن احتـدام التنافـس بيـن أنقـرة وطهـران فـي المنطقـة، ومـن وقوعهمـا في محاور إقليمية ودوليـة متباينة، إلا أنهما تجنّبتا المواجهة المباشرة فيما بينهما حتى الآن؛ وذلك إدراكاً منهما أن أي مواجهة مباشـرة من شأنها أن تضـرّ بمصالحهمـا معاً. فتوصلتـا معاً إلى أرضيـات عمل مشتركـة، كعملهمـا على حل أزمـة البرنامج النـووي الإيرانـي، ومواجهة الحركـات الانفصاليـة الكرديـة، وسـعيهما الأخيـر فـي التوصل إلـى صيغة اتفـاق وقف إطـلاق نار في سـورية بالتشارك مع موسـكو فـي مسار الآسـتانا. ولكن لا يلغـي وجود هذا "التفاهم" جنوح إيران المستمر للتوسـع بشكل أكبـر وأعمق علـى حساب تركيا فـي المنطقة وبشكـل أخـص فـي العـراق وسـورية[٢٢].

تقـف تركيا علـى مفترق طـرق، فيما يضيق هامـش مناوراتها مـع احتدام جهـود المجتمع الدولـي في محاربة الإرهـاب وتعويم الأنظمة القمعيـة العربية التي وقفت ضدهـا أنقرة. وإذ تبـدو فـرص اعتماد أمريكا عليهـا في محاربة داعش شـبه معدومة، لا تجـد الحكومة التركية مفراً من التقرب من موسـكو لحماية مصالحها المتآكلة في سـورية. ولكن لا يخلو هذا التكتيك مـن مخاطر، فأفـق التعاون الاسـتراتيجي مع روسـيا مسدود فضلاً عن كلفته العالية، كما أن تركيا حريصة علـى عدم بلوغ مرحلة القطيعة الكاملة مع أمريكا. ومن التطورات الاستراتيجية الحاصلـة فـي منطقـة الشرق الأوسـط اعلان الولايـات المتحـدة الأمريكية قـرار الانسحاب من سـوريا في العشرين مـن كانون الأول عام ٢٠١٨ (وكذلـك الانسحاب مـن افغانستان) ، والتي تُعّد من التطورات النوعية والمفاجئة التي ستسمح لتركيا في أن يكون لها الدور المحوري

اثناء المرحلة القادمة في ظل الترتيبات التي تجريها الولايات المتحدة الأمريكية معها ، من أجل تنفيذ قرار الانسحاب والسماح للقوات التركية في إعادة الانتشار ضمن مثلث الأزمات المجاور لحدودها (الشمالي الشرقي - والشمال الغربي من سوريا يقابله الجنوب الشرق التركي) الذي تروم فيه تركيا إعادة الاستقرار وضبط محاور الحركة فيه .

لذا فلن نلحظ أي تغير جوهري يطرأ على الدور الامريكي خلال المرحلة الراهنة إلا بالقدر الذي يتوافق ومصالحها في المنطقة ، مع الأخذ بالحسبان إن الأخيرة ستكون عِرضة لمتغيرات تدريجية نسبية في استخدام أدواتها الاستراتيجية في التعاطي مع ملفات المنطقة الأكثر خطورة . أما الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب) فسيواجه تحديات مُضافة أخرى تتعلق بتداعيات الانسحاب من سوريا مع استثمار فرص تواجدها على الأراضي العراقية كي تكون منطلقاً في الرد السريع حيال أزمات المنطقة غير المتوقعة ، لتبقى مسألة إدارة العلاقات الأمريكية مع القوى الإقليمية (وإيران وتركيا) ضمن حسابات إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط من جديد اثناء السنوات القليلة القادمة ، مع مراقبة جميع أنماط التفاعلات البينية الحاصلة في مناطق التوتر والصراع والتي تدخل ضمن اهتمامات المدرك الاستراتيجي الأمريكي حاضراً ومستقبلاً . أمّا على الصعيد الإقليمي فلقد اجتهدت تركيا في إعادة الدفء لعلاقتها مع دول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية التي تناوب على زيارتها الرئيس رجب طيب أردوغان ووزير خارجيته شاووش أوغلو رغم الازمة القطرية[٢٣].

امن الخليج :- كان ولايزال أمن منطقة الخليج العربي يستحوذ على جل الاهتمام الدولي والاقليمي انطلاقاً من أهميتها الاستراتيجية الممثلة بالموقع الجغرافي الذي يضم عدداً من الممرات الحيوية للتجارة العالمية، فضلاً عن استمرار الأهمية النفطية لتلك الدول، بالرغم ما يردد بشأن اكتشافات النفط الصخري في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثمّ فقد تصدت القوى القوى الكبرى لكافة المحاولات التي استهدفت تغير موازين القوى القائمة في تلك المنطقة، وذلك بانتهاج استراتيجيات عديدة بلغت حد استخدام القوة العسكرية عندما تطلب الأمر ذلك. ومن جانبها ومع التسليم بأن الدول الصغرى دائماً ما تسعى لبناء شراكات دفاعية مع القوى الدولية الفاعلة في النظام الدولي، فإنّ ذلك الأمر كان أكثر إلحاحاً بالنسبة لدول مجلس التعاون الخليجي ، والتي لا تكمن مخاوفها في صغر مساحتها فحسب، ولكن في كونها دولاً لديها ثروات نفطية وتقع ضمن محيط إقليمي يشهد حالة من الاضطراب المزمن، نتيجة استمرار الصراع الإقليمي-الإقليمي، والإقليمي الدولي على تلك المنطقة وعجزها عن التحول لمفهوم القوة الموازنة ضمن تلك التفاعلات، ومن ثم فقد حرصت دول مجلس التعاون على بناء سلسلة من الشراكات الدفاعية على مستوى العالم سواء مع الدول أم المنظمات الكبرى. وبالرغم من أهمية تلك الشراكات لجهة الحفاظ على أمن دول المجلس من ناحية والحفاظ على معادلة التوازن الإقليمي الخليجي التقليدية من ناحية أخرى، فإن ثمة تغيرا" شهدته البيئتان الإقليمية والعالمية، ولاسيما بعد عام ٢٠١١ ومن ذلك تغير استراتيجيات بعض الدول الكبرى تجاه أمن منطقة الخليج العربي، الأمر

الذي يستدعي ايجاد تحالفات دفاعية دولية لدول مجلس التعاون تتأثر" بمتغيرات البيئة الإقليمية والدولية رغم ان تعدّد تلك الشراكات سيكون عبئاً عليها قبل ان يكون ميزة استراتيجية لها[٢٤] في ظل تشابك وتعقد مسار العلاقات بين القوى الاقليمية ودول المجلس وكذلك طبيعة العلاقات بين القوى الدولية والاقليمية فوجود العداء المستحكم بين الإدارة الأميركية الحالية وإيران، فضلاً عن عدم التيقن من الأدوار التي تريد كل من الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين والهند وإيران ذاتها أن تلعبها في مستقبل المنطقة، فإن من غير الممكن معرفة الأنواع والأوضاع الدولية والإقليمية التي ستطرأ مستقبلاً، وكيف يمكن لدول الخليج العربي المعنية أن تتكيف وتكيف مصالحها الوطنية المستقبلية واستراتيجياتها العظمى مع مصالح القوى الفاعلة، ولاسيما الولايات المتحدة، وسيبقى مسار أمن الخليج العربي لغزاً محيراً يحتاج إلى دراسات أمنية واستراتيجية متعمقة لفك تشابكاته.[٢٥]

الاتفاق النووي :

لم تكتفِ إيران بمحاولة تشكيل محور "ممانعة" إقليمي بقيادتها لأجل تعزيز نفوذها الاقليمي وصيانة أمنها القومي فحسب، بل سعت لإحياء برنامجها النووي وتطوير صواريخ بالستية بعيدة المدى لزيادة رقعة استهدافها "الصاروخي". وقد بلغ تحدي إيران للمجتمع الدولي ببرنامجها النووي ذروته مع مجيء الرئيس أحمدي نجاد إلى السلطة (٢٠٠٥-٢٠١٣) إذ أعلن في كانون الثاني يناير ٢٠٠٦ عن إعادة فتح مجمع "ناتناز" لتخصيب اليورانيوم بعد توقف دام أربعة عشر شهراً. وتصريح نجاد عن قرب اكتمال دورة انتاج الوقود النووي، وعزم بلاده على دخول "نادي الدول النووية" رافضاً التفاوض حول حقها الطبيعي في ذلك.[٢٦]

لم يكن لواشنطن أن تسمح طوعاً لإيران بتطوير قدراتها النووية، ولقد حظي هذا الموقف على اجماع جميع الإدارات الأمريكية المتعاقبة انتهاءً بالرئيس ترامب، وذلك انسجاماً مع استراتيجية الولايات المتحدة الدولية في الحد من الانتشار النووي في العالم. في المقابل، اختلفت مقاربة الرؤساء الأمريكان في التعامل مع طهران حول سبل تحقيق هذا الهدف. ولقد سخرت طهران هذا الاختلاف لتوظيف برنامجها النووي في نزع اعتراف أمريكي بإيران كقوة إقليمية لا يمكن تجاوزها في أمن الإقليم، وتجلّى هذا الاعتراف في التعامل المرن معه في سوريا.

ووقف العقوبات الاقتصادية على طهران، ولقد لقت نجاحاً محدوداً في هذا السياق إذ يشكل عودة الجمهوريين عقبة رئيسية في رفعها بشكل كامل.وإعادة فتح القنوات الدبلوماسية مع أوروبا التي ترنو وتطمح للاستثمار في إيران بدعوى التفاوض على النووي الإيراني، ولقد شهدت طهران ارتفاعاً في عدد الزيارات الدبلوماسية بعد إبرام اتفاق لوزان.

وفي هذا السياق، يمكن الاستدلال بأداء الدبلوماسية الإيرانية في مفاوضاتها مع ما يعرف بمجموعة الـ ٥+١ على براغماتيتها العالية في التعامل مع تحدياتها الخارجية والداخلية، إذ اعتبرت الاتفاق مخرجاً لمأزقها المحلي المتنامي من تبعات العقوبات الاقتصادية عليها، ومن تصاعد وتيرة الصراع مع الإصلاحيين الإيرانيين . ولقد نجحت طهران في تحويل اتفاق لوزان ٢٠١٥ إلى إنجاز دولي

لتأسيس حقبة جديدة من العلاقات مع الغرب، وإلى إنجاز داخلي في الاستجابة إلى مطالب شريحة واسعة من أبناء المدن، فيما حافظت على الإمساك بأوراقها ضغطها الإقليمية دون المساومة عليها أو التنازل عليها.[٢٧]

المبحث الثالث :- الدور الامريكي في ترتيب الاستقرار الخليجي :

يبدو واضحا أن إدارة الرئيس ترامب ستعمل اثناء الفترة المقبلة على تفكيك التحالف أو التفاهم بين كل من تركيا وروسيا وإيران في الخليج كما أن السلوك السياسي للإدارة الأمريكية يقدم تصورًا عن مؤشرات الرؤية الأمريكية في التعامل مع الشرق الأوسط، ومن أبرز هذه الملامح اثناء المرحلة المقبلة هو تغذية الخلافات الإقليمية وتفكيك التحالفات المنافسة ومحاصرة القوى الصاعدة في المنطقة والاستثمار في التنظيمات الإرهابية ودعم مشروع التقسيم.

بناءً على مرتكزات سياسة خارجية فاعلة تقوم الدور الامريكي ب:

١-التركيز على إيران وتحييد التأثير المزعزع للاستقرار للحكومة الإيرانية وكذلك تقييد عدوانيتها، ولا سيما دعمها للإرهاب والمسلحين، من خلال نبذ السلوك الإيراني في الإقليم ومغامراتها في مناطق تتجاوز حدودها الجغرافية وتحديدا في لبنان واليمن والعراق وسوريا. وذلك عبر إعادة تنشيط تحالفاتها التقليدية وشراكاتنا الإقليمية كمصد ضد التخريب الإيراني واستعادة أكبر لاستقرار توازن القوى في المنطقة، ما يعنى إعادة التزام أمريكا بأمن منطقة الخليج العربي على عكس ما كان يفعل الرئيس الأمريكي باراك أوباما.[٢٨]

٢- تلتزم إدارة الرئيس ترامب بالعمل على حرمان النظام الإيراني من تمويل أنشطته ، وهو ما تأكد بالفعل اثناء توقيع وزارة الخزانة الأمريكية عددا جديدا من العقوبات على مجموعة من الشركات المنضوية تحت إطار عمل اقتصاديات الحرس الثوري.

٣- تعهد الولايات المتحدة الأمريكية بمواجهة تهديدات الصواريخ الباليستية والأسلحة غير المتماثلة الأخرى الموجهة ضدها وحلفائها، وهنا إشارة إلى التجارب الصاروخية الباليستية التي تجريها إيران دورياً والمرفوضة بالإجماع أمريكيا وأوروبيا.

٤- العمل على حشد المجتمع الدولي لإدانة انتهاكات الحرس الثوري لحقوق الإنسان واحتجازه غير العادل للمواطنين الأمريكيين وغيرهم من الأجانب بتهم زائفة، ما يعني أن هناك تحركات في أروقة العمل الدبلوماسي الأمريكي واتصالات مكثفة لإدارة الرئيس ترامب لاستخلاص مواقف أوروبية ودولية مؤيدة للخط الأمريكي حول إيران.

٥- التزام واشنطن بحرمان النظام الإيراني من جميع المسارات المؤدية إلى سلاح نووي بما فيه ذلك استراتيجية "حافة الامتلاك النووي" أو استراتيجية "المعرفة النووية" التي تنتهجها إيران للحصول على السلاح النووي بعد انتهاء أمد خطة العمل الشاملة المشتركة. وقد تسبب ما يعرف بـ"بند الغروب" الوارد في الاتفاق تنص على أن بعض القيود التقنية المفروضة على الأنشطة النووية تسقط تدريجيا بعد عشر سنوات من توقيع الاتفاق وتحديدا فى العام ٢٠٢٥، وهو ما يرفضه ترامب لأنه يرى أن الاتفاق أجاز امتلاك إيران السلاح النووي فقط ولم يمنعها.

٦- وضع عقوبات أمريكية إضافية على النظام الإيراني لمنع تمويل الإرهاب، فضلا عن مواجهة قيام النظام في طهران بنشر الصواريخ والأسلحة التي تهدد جيرانه، وتهدد منظومة التجارة العالمية، وتقوض حرية الملاحة في منطقة الخليج وفى منطقة شمال بحر العرب وجنوب البحر الأحمر. مثل منع إيران من مواصلة تسليح نظام الأسد"، ومنع مواصلة تزويد إيران وكلاءها وشركاءها بالصواريخ والأسلحة لمهاجمة المدنيين في المنطقة، وتحديدا للحوثيين في اليمن وحزب الله في لبنان" وذلك لإعادة ترتيب ميزان القوى بخصوص حجم القوة المهيمنة في سوريا، وأن يكون الحل هناك على طريقها ووفق نظرتها في توزيع القوة على أطراف الأزمة السورية، ولعل استهداف قاعدة حميميم الجوية الروسية في سوريا كانت ضمن مخطط لتفكيك التحالف الثلاثي (تركيا وروسيا وإيران).[٢٩]

٧- محاصرة القوى الصاعدة :- تعتبر تركيا من أقوى وأكثر الدول الصاعدة في المنطقة تأهيلاً في قيادة سياسة خارجية تجعل منها دولة مؤثرة في قضايا الإقليم، وهذا ما يزعج أمريكا لاختلافها مع بنية النظام التركي، وقد أثبتت تركيا من خلال عملية درع الفرات وعملية غصن الزيتون أنها دولة ذات سيادة لا تساوم على قضايا أمنها القومي، مع تبني برنامج في السياسة الخارجية يتسم بالحيوية والنشاط، فضلاً عن استخدامها القوة الذكية التي تجمع بين القوة الخشنة والناعمة.

٨- مواصلة الاستثمار في التنظيمات الإرهابية بما يخدم تصوراتها ومصالحها في المنطقة ، فتلك التنظيمات وفرت لواشنطن غطاءً لدعم مشاريعها في الشرق الأوسط وتستخدمها بين الفترة والأخرى، وتنقل المليشيات الإرهابية من مكان لآخر حسب الوظيفة والمصلحة، بما يحقق هدفها في إعادة رسم الخريطة الجديدة للمنطقة وإحياء الصراع القومي والإثني بين سكان المنطقة حتى تستنزف أكثر ويلحق بها الدمار الوابل ، والهدف من هذه السياسة تقسيم المقسم لأغراض تتعلق بتطلعات الجيوبولتيك الأمريكي للمنطقة. فأمريكا لم تفتأ في مخططاتها بمحاصرة القوة التركية الصاعدة ، فعملت على دعم المحاولة الانقلابية الفاشلة قبل عامين، ودعمت مشروع استفتاء انفصال إقليم كردستان العراق عن العراق- وكانت تركيا المستهدفة من وراء هذا المشروع لما يمثله هذا الكيان الناشئ من أخطار على الأمن القومي التركي- وما زالت المساعي الأمريكية في محاصرة تركيا متواصلة ولعل آخرها إعلانها نيتها بتأسيس ما يسمى بجيش الشمال من التنظيمات المتطرفة لضبط الحدود السورية التركية حسب زعمها، وأغلب تشكيلات هذا الجيش من تنظيم بي واي دي الإرهابي.[٣٠]

الخاتمة

ونخلص الى القول ان استراتيجية الامن القومي الأمريكي في عهد الرئيس ترامب ترتكز على مبدأ أمريكا أولاً، وعلى أساس نظرية المعاملة بالمثل في إطار تحديدها آليه التعاون مع الشركاء الدوليين، لأن مصالح أمريكا وفق رؤية إدارة ترامب فوق كل اعتبار ولها الأولوية حتى على حساب الأيديولوجيا والقيم والأفكار، وتحاول استراتيجية الأمن القومي الأمريكية في عهد ترامب الحفاظ على وضعية الأحادية القطبية، وذلك من خلال منع ظهور أية قوة مساوية،

أو حتـى تطمح لأن تكـون على قـدم المساواة مـع الولايات المتحـدة، مثل الصيـن والاتحاد الأوروبي وروسـيا، وربما الهنـد. وتسعى ألا تهيمـن أي قـوة صاعـدة علـى أي منطقة في العالم، في إطار اسـتمرار هيمنه القطب الواحد علـى النظـام الدولي، لكـن هذه الاسـتراتيجية تمثـل انقلاباً على سياسـات الولايـات المتحدة الأمريكيـة اثناء العقود الأخيرة، ولاسـيما تجاه أقرب حلفائها الدوليين، بما يعني أن رؤية إدارة الرئيـس ترامـب تجاه العالـم بما فيهـا منطقة الشرق الأوسط عادت للسياسـة التقليدية، وفق النظريـة الواقعية الكلاسـيكية التـي تؤكد على المصالـح القومية والقـوة فـي إدارة العلاقات الدولية ولكن المؤكد أن أهمية المنطقة للولايات المتحدة في تراجع مستمر، ومن ثم فإن رغبتها فـي التـورط في شـؤونها أو لعـب دور قيادي بشـأن قضاياهـا هي أيضا فـي تراجع مستمر.

هـذا التراجـع الأمريكـي يمثل فرصـة للدول الخليجيـة للتحـرك فـي اتجاهيـن. الأول هـو الانفتـاح بشكـل أكبـر علـى القـوى الكبـرى المختلفـة و منهـا الصيـن و روسـيا والاتحاد الأوروبـي فضـلاً عـن للولايـات المتحدة في إطـار النظـام الدولـي الجديد الـذي يتجه نحو ترسـيخ التعددية القطبية. التوجـه الثاني يتعلق بتبني رؤية ومشروع عربي لمواجهة المشاريع الاقليميـة الساعية للهيمنة على المنطقة، وملء الفـراغ الناتـج عن تراجـع الـدور الأمريكي.

الهوامش

١- احمد سـيد احمد ، ترامب والشرق الاوسـط ..حدود التغيير،السياسة الدولية، العدد٢٠١٧،٢٠٧،ص٤٧

٢- محمـد الهاجـري ،ترامب يحاول إصـلاح ما أفسدته سياسـات أوباما بالمنطقة.. فهل ينجح؟ على الرابط alkhaleejonline.net ،

٣ - إدارة ترامب وقضايا الشرق الأوسط .. حدود التغير - مجلة السياسـة الدولية ، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية ،على الرابط

aspx.١١٩٧٠/www.siyassa.org.eg/News

٢٠١٧/٠١/٢٢

٤ - د محمد كمال ،شـرق اوسط بدون الولايات المتحدة ، الاهـرام اليومي ،علـى الرابط :- http://www. - aspx.٦٢٥٤٨١/ahram.org.eg/NewsQ

٥- عبـد الخالـق عبد الله : أمريكا ترامـب غير أمريكا أوباما.. وبينهما السعودية ودول ...

https://arabic.cnn.com/middle-oped-trump-obama-/٢٠/٠٥/٢٠١٧/east gcc

/٠٥/٢٠

٦ - حيـدر علـي حسيـن ،امريكـا والشـرق الاوسـط ،ادارة الصراع ومسـار التوازنات ،مطبعة العدالة، بغداد،٢٠١٦، ص ١٨.

٧- نـزار بـوش ، السياسـة الخارجيـة الأمريكية تجاه الشـرق الأوسـط لا تتغيـر بتبـدل الرؤسـاء علـى الرابـط:- http://www.ahram.org.eg/ aspx.٦٢٥٤٨١/NewsQ

٨- شـرق أوسـط بـدون الولايـات المتحـدة - الأهرام اليومي

aspx.٦٢٥٤٨١/www.ahram.org.eg/NewsQ

٢٠١٧/١١/٣٠ -

٩ - خضـر عباس ،تحولات القـوة واتجاهات الصراع في النظـام الدولـي ،المستقبل العربـي ،العدد٤٧٢ ،٢٠١٨،١٣٣ص.

١٠- نفس المصدر.

١١- عمر الدايدي، مصدر سبق ذكره.

١٢-عبد الوهاب القصاب ،صافي الخسارة الاستراتيجية لـدول مجلـس التعـاون الخليجي ،الازمـة القطرية نموذجـا، ورقة بحثية مقدمة لمنتدى الخليج العربي، المركـز العربـي للابحـاث ودراسـة السياسـات ،

الدوحة، ٢٠١٧.

١٣-احمد سيد احمد ،مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩.

١٤ - كيف ستكون سياسة ترامب الخارجية تجاه ايران ...

/https://www.facebook.com/Oatheq/posts/٦٤٣٦٢٠٤٤٥٨٤٠٦٧٢

١٥- محمد الهاجري ،مصدر سبق ذكره.

١٦- مصطفى محمد صلاح ،الدور التركي الجديد في الشرق الاوسط في ظل مفهوم العثمانية الجديدة ،مجلة العلوم السياسية والقانونية ،المركز الديمقراطي العربي، برلين ، ٢٠١٧

١٧- ميثاق جلود ،السياسة التركية تجاه الخليج العربي بعد عام ١٩٩١وافاقها المستقبلية، مركز الدراسات الاقليمية ،جامعة الموصل ،٢٠١١،ص٢٦٥

١٨- تركيا وإيران بين التحالف والتنافس - جريدة الحياة

www.alhayat.com/article/٨٤٦٣٦٧/تركيا-وإيران-بين-التحالف-والتنافس

٢٠١٧/٠٨/١٨

١٩- صحيفة الاتحاد - ماذا وراء التقارب التركي الإيراني؟

https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/٩٥٩٦٣/

٢٠١٧/١٠/٠٩

٢٠- نظير محمود أمين, موقف تركيا من أحداث التغير فى المنطقة العربية, مجلة العلوم القانونية والسياسية, كلية القانون والعلوم السياسية, جامعة ديالى, العدد الثانى, ٢٠١٣, ص ٢

٢١-مرات يشلتاش ، من اجل فهم الاستراتيجية التركية تجاه ازمة الخليج الثانية ، مركز الجزيرة للدراسات ٢٠١٧/٦/١٩،

٢٢- محمد عبد الهادي ، التنافس التركي – الايراني في الخليج العربي، مجلة السياسة الدولية ، العد د ٢٠١٦،٢٠٤،ص٧٦

٢٣- ايمان زهران ،التغير في الاستراتيجيات الدولية وسياسات تركيا الاقليمية ،السياسة الدولية ، العدد٢٠٩، ٢٠١٧، ص١١٩

٢٤- مستقبل العلاقات العربية الأمريكية بعد فوز ترامب www.politics-dz.com › المنتديات › موسوعة العلاقات الدولية › تحليل السياسة الخارجية -- ٢٠١٨/٠١/٣٠

٢٥-عبد الله الحاج، مسار امن الخليج العربي، https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/١٠٠٢٧٠/ / ٢٠١٨/١٠/١٩

٢٦- ستار جبار ،الاتفاق النووي بين ايران والقوى الغربية ٢٠١٥، دراسة في الابعاد،دراسات سياسية واستراتيجية ، العدد،٢٠١٨،٣٦،ص٥٧

٢٧- مها شكروعبد علي كاظم ،ايران والسعودية ،صراع النفوذ والمكانة،دار روافد للطباعة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الاولى ،٢٠١٧،ص ٣٩٨.

٢٨- ماجد هديب ، استشراف مستقبل الخليج العربي في ظل التحديات المفروضة ... https://democraticac.de › الدراسات البحثية › الخليجية -٢٠١٨/٠١/٢٥

٢٩- محمد كمال ،شرق أوسط بدون الولايات المتحدة - الأهرام اليومي aspx.٦٢٥٤٨١/www.ahram.org.eg/NewsQ - ٢٠١٧/١١/٣٠

٣٠- محمد كمال ، مصدر سبق ذكره.

مشكلة سد النهضة وتاثيرها في العلاقات السودانية - المصرية

أ.م.د. منى حسين عبيد (*)

مقدمة

أتسمت العلاقات السودانية –المصرية على مر الزمن بتفرد واضح وخصوصية عميقة، وذلك لتوافر عوامل التلاقي والتلاحم بين البلدين ، فالإرث التاريخي ،والواقع الجغرافي ،والتداخل الحضاري، والارتباط القيمي، والمصير المشترك، فضلا عن الانتماء القومي/ الثقافي الواحد تفاعلت جميعها لتدفع البلدين بقوة كبيرة نحو التضامن والتكامل والوحدة فالعلاقة بينهما هي علاقة التوأم إذ ارتبطت المسألة السودانية منذ زمن بعيد في الفكر السياسي المصري بمفهوم الامن القومي الذي يرى أن أي تهديد لوحدة السودان يعد تهديداً لأمن مصر، وحتى ان تأرجحت العلاقات بينهما ما بين الشد والجذب ،فمن ناحية تتجه الحكومات السودانية الى اتباع سياسات أكثر استقلالية ومختلفة عن نظيرتها المصرية ،ومن ناحية اخرى تحرص الحكومات المصرية على تأمين مصالحها السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والمائية في السودان كل هذه الروابط جعلت من السودان بوابه مصر لأفريقيا وجسر التواصل مع العمق الافريقي.

تنبع إشكالية هذه الدراسة من طبيعة وحجم الاثار السياسية والاقتصادية السلبية المحتملة على مصر والسودان، ولاسيما على الامن المائي ومن ثم الامن القومي ، من جراء بناء سد النهضة الاثيوبي، وهو ما استوجب البحث والدراسة بهدف الوصول الى حلول ناجعة لتلك الاشكالية .

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها :ان التغير السياسي الذي فرضته مشكلة سد النهضة ،والذي يرجح انه سيطال التوجهات الاساسية للسياسية الخارجية المصرية والسودانية على حد سواء، سيقود اثناء المرحلة القادمة نحو درجة من التطور في العلاقات بين البلدين.

وفي اطار تحقيق هذا الفرض ستحاول الدراسة الاجابة على عدة تساؤلات، منها:-

١-ما هي محددات العلاقة والاسس التي تبني عليها العلاقة ؟

٢-ما هي تأثيرات سد النهضة على كل من مصر والسودان؟

٣-ما طبيعة ودور المتغيرات الخارجية لاسيما

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد

تدخل بعض القوى الدولية والاقليمية ؟

٤- ما هو الاطار القانوني للمشكلة وفقا للقانون الدولي والاتفاقيات ؟

٥- كيف تعاملت الحكومتان المصرية والسودانية مع تلك المشكلة؟

٦- هل يحمل المستقبل لتلك العلاقات اتجاها نحو التعاون وتلاقي المصالح أو استمرارية للصراع؟

تهدف الدراسة الى رصد وتحليل طبيعة العلاقات المصرية –السودانية بصفة عامة ، ثم تبيان الاثار السياسية والاقتصادية المحتملة لسد النهضة على كل من مصر والسودان، من خلال الوقوف على طبيعة المشكلة وأبعادها المختلفة، وتوضيح طبيعة أدوار القوى الاقليمية والدولية في تلك المشكلة، و عرض البدائل والحلول لها.

ولبيان طبيعة تلك العلاقات فقد تم الأعتماد على بعض المناهج التحليلية ،ومنها المنهج التاريخي للوقوف على العلاقات التاريخية التي ربطت كلا البلدين فضلا عن المنهج الوصفي لوصف طبيعة تلك العلاقات الى جانب المنهج المقارن وذلك لغرض المقارنة بين السياسات التي إعتمدها كلا البلدين في معالجة قضية سد النهضة.

اولا:- العلاقات المصرية- السودانية ١٩٨٩- ٢٠٠٥

وثقت الحكومة المصرية علاقتها بحكومة الانقاذ الوطني الذي جاء بانقلاب عسكري في ٣٠ يونيو/حزيران ١٩٨٩ بقيادة الفريق عمر حسن البشير، فقد كانت من المؤيدين لتلك الحكومة حتى قيل ان الرئيس المصري قام بتقديم قادة الثورة لبقية الزعماء العرب [١] .

إلا أن العلاقة الحميمة بين الجانبين لم تستمر طويلاً لاسيما بعد ان أتضح لمصر أن النظام الجديد له أرتباط بالجبهة الاسلامية القومية ، ولعل هذا مادفع مصر لان تفتح ابوابها لقوى المعارضة السودانية من الاحزاب والشخصيات المستقلة لان تعمل بحرية في القاهرة وان تمارس نشاطها ضد حكومة الانقاذ، وبالرغم من الزيارة التي قام بها الرئيس السوداني عمر حسن البشير الى القاهرة في شباط ١٩٩٠، إلا أن العلاقات بين البلدين أخذت بالتدهور. ففي الثاني من اغسطس/آب عام ١٩٩٠ عندما قامت القوات العراقية بأحتلال الكويت عقدت في ١٠اغسطس/آب ١٩٩٠مؤتمر القمة العربية بالقاهرة إذ أنقسم الموقف العربي بين مؤيد ومعارض فكان السودان مؤيداً لعملية الاحتلال بعكس الموقف المصري الذي كان رافضاً لذلك. ويعد ذلك الموقف من الحالات النادرة التي يقف فيها السودان بوضوح في الجانب الاخر من مصر مما ادى ذلك الى توتر العلاقات بين البلدين ومما زاد العلاقة سوءاً اتهام مصر للسودان بأخفائه بعض اسلحة الدمار الشامل العراقية[٢].

ولم تتوقف الأزمة بين البلدين الى هذا الحد بل عمدت الحكومة المصرية الى أتخاذ إجراءات عدة منها وقف الرحلات الجوية والبحرية فضلاً عن تطبيق العمل بنظام التأشيرة وحرمان الطلاب السودانيين من الالتحاق

بالجامعـات المصرية . الامر الذي دفع الجانب السودانـي بالرد علـى تلك الاجـراءات وذلك بقيامهـا بسودنة جامعة القاهـرة فرع الخرطوم وأغـلاق البعثة التعليميـة المصرية فضلاً عن تخفيض الوجود المصري في السودان بصورة كبيرة .

الـى جانب ذلك ، فقد قامـت الدولتان بتخفيض التمثيل الدبلوماسي من خلال أغلاق القنصليات، إذ ظلت السفارة المصرية بالخرطوم دون سفير لمدة طويلة[٣].

وشـهدت العلاقات السودانيـة – المصرية عام ١٩٩٢درجـة عالية من التوتر لـم تشهدها تلك العلاقـات منـذ عام ١٩٥٨وذلك علـى اثر قيام مصر بفرض سـيطرتها علـى مثلـث حلايب الحدودي[٤] الواقع داخل الحدود المصرية .

ومما زاد من تدهـور العلاقات بيـن البلدين، قيام الحكومـة السودانية بتقديـم المأوى للكثير مـن اعضاء الحركـات الاسـلامية المعارضة للنظـام المصـري ومنحهـم التسهيـلات التي تساعد على التنقل والاقامة، الى جانب ذلك فان محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك فـي اديس ابابا فـي يونيو/حزيران ١٩٩٥ عند حضـوره مؤتمـر القمة الافريقـي زاد من حدة الاتهامـات بين الطرفيـن إذ اتهمـت الحكومة المصرية السودان بتلـك المحاولة ، فضلاً عن اتهامهـا بأيواء بعض العناصـر المصرية التي شاركت فيها[٥] .

وبالرغـم من التقـاء الرئيـس المصري حسني مبارك مع الرئيس السوداني عمر حسن البشير في مؤتمـر القمة العربي الـذي عقد في يونيو/ حزيـران ١٩٩٦ إلا أن ذلك لم يؤد الى أنفراج في العلاقـات بين البلدين حتى عـام ١٩٩٨ إذ أخذت العلاقـات بالتحسن بعد ان وقع الطرفان مذكرة تفاهـم لتنشيط التجارة والاسـتثمار بين البلدين وأنشـاء غرفة اقتصادية مشتركة لتنمية التعاون الاقتصادي في مجالات عدة [٦] .

فضـلاً عـن قيام مصر بـدور مهم فـي مشكلة جنـوب السودان اثناء طرحها للمبادرة المشتركة عام ١٩٩٩، والتي تهدف الى إيجاد حل شـامل لقضـايـا السـودان ، فالمعـروف ان الحكومـة المصريـة كانـت ترفـض دائماً مسألـة فصل جنوب السودان عن شماله وتسعى للحفاظ على وحدة السودان واسـتقراره السياسـي[٧]. ولعل هـذا ماجعلها تقف بالضد من اتفاق ماشـاكوس عـام ٢٠٠٢، والذي نص على فصل الدين عن الدولـة وحـق تقريـر المصير لمنطقـة جنوب السودان [٨] .

وتكمـن المخـاوف المصرية مـن مسألة فصل جنوب السودان في التالي [٩] :-

اولاً :- قد يؤدي الانفصال الى إفراز حالة عدم اسـتقرار في جنوب الوادي وسيشعل الحروب الاهلية مما يؤدي الى حدوث إنفلات أمني شامل فـي القرن الافريقي وحوض النيل وهذا بالطبع يزيد من التدخلات الاجنبية التي لاتخفى نواياها الاسـتعمارية وعلى رأسها اسرائيل بمشروعها الرامي الى الاحاطة بالوطن العربي .

ثانياً :- لاوجود لمصر بلا نيل ومادامت مصر هـي «هبـة النيـل « يهمهـا إذن ان يكـون في الخرطـوم حكومة مركزية قـادرة على الحفاظ على مجرى النيل من منبعه في اقاصي الجنوب

وصولاً الى أسـوان وقضية المياه ترتكز أساساً على أمن دول الحوض ومجرى النيل .

ثالثاً :- تتداخل في شـمال السودان جاليات من ذوي اصول مصرية ولهم مصالح في السودان فضـلاً عـن إنتمائهـم المـوروث بالمنطقة فاذا ماوضعنا في الحسبان مشكلة الانفجار السكاني التي تعاني منها مصر في مستقبلها المنظور فأن السودان سـيكون المنفذ الوحيد للتوسع السكاني جنوبـاً مما يعني ان هـذا التداخـل و» العلاقة التاريخية» هي عامل منعة يساعد على التوغل المصري جنوبـاً إذ تمتد المساحـات الزراعية الشاسعة واحواض المياه الجوفية والسطحية .

رابعـاً :- تخوف النظام المصري من قيام نظام اسـلامي يحكم بالشريعة الاسلامية على حدود مصـر الجنوبية مما يشكل خطـراً على النظام المصري .

خامساً :- يخشى النظام المصري من أن يؤدي ظهور الدولة الجديدة الى مزيد من الضغط على موارد النيل .

فضـلاً عـن تخوفها مـن تنامي العلاقـات بين الدولـة الجديدة والكيان الصهيوني مما قد يضع الكيـان الصهيوني في موقع المسيطر على مياه نهر النيل .

ويبـدو أن المخـاوف المصريـة، دفعتها لان تقوي علاقتهـا بالحكومـة السودانية من خلال الزيـارات المتبادلة بين البلدين ، إذ قام الرئيس المصـري حسنـي مبارك بزيـارة السودان في الاول مـن مايو/ايـار ٢٠٠٣ بعد مـدة انقطاع دامـت اكثر مـن ثلاثة عشر عامـاً، واثناء تلك الزيـارة اتفـق الرئيسان عمـر البشير وحسني مبارك على تفعيل مؤسسات التكامل بين البلدين، على ان تقوم اللجنة العليا بمهام المجلس الاعلى للتكامل، مع أنشاء لجنة دائمة من مجلس الشعب في مصر والمجلس الوطني في السودان لتكون البديل عن البرلمان المشترك [١٠] .

فضـلاً عن قيام الرئيـس السوداني عمر حسن البشير بزيارة مصر في ١٨ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٤، تـم خلالها عقد مجموعة من الاتفاقات منهـا الاتفـاق على اصـدار قانون يقـر العمل بحريات التملـك والتنقل والاقامـة والعمل بين مصر والسودان في مدة لاتتجاوز ثلاثة اشهر .

فضـلاً عـن الاتفـاق علـى قيـام امانـة عامة للتكامل يتبعها صندوق التكامل بأمانات متفرقة تكـون مهمتهـا إجـازة المشروعـات التكاملية والتوصيـات والقرارات كافـة التي تصدر عن التكامـل ممثلـة فـي الرئيسين او اللجنـة العليا سـواء الوزاريـة فيها او القطاعيـة. الى جانب الاتفـاق على افتتاح وحـدات صحية ومشاريع خدمية في الجنوب اسـهاماً في خلق الاستقرار وتثبيت السلام [١١].

وكان لتلك الزيـارات اثرها في تحقيق التقارب بيـن البلدين إذ كان للحكومة المصرية حضوراً فـي المفاوضـات التـي حدثـت بيـن الحكومة السودانيـة والحركة الشعبيـة لتحرير السودان والتـي انتهت بالتوصل لاتفاق سـلام نهائي في ٩ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٥[١٢] .

فضـلا عن ذلك ، فقد كان لمصر دوراً مهماً في عقد المصالحة مع المعارضة الشمالية المتمثلة بالتجمع الوطني المعارض والحكومة السودانية

في القاهرة عـام ٢٠٠٥، والذي نتج عنه عودة المعارضة الشمالية من الخارج والمشاركة في الحكومة الانتقالية [١٣] . وهو الامر الذي اسـهم في إيجاد صيغة توفر الحد الادنى من الاستقرار في المعادلة السياسية الداخلية في السودان .

ثانيا:-العلاقات المصرية- السودانية بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١

بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بادر السودان بتقديم أشـكال مختلفة من الدعم السياسي والاقتصادي للنظام الوليد في مصر. إذ سارع الرئيس البشير لزيارة القاهـرة ليكون أول رئيس عربي يزور مصـر بعد نجاح الثورة. ففي فترة حكم الرئيس السابق حسني مبارك كانت الصفة التي لازمت العلاقـات المصريـة السودانية معظم سـنوات الانقـاذ هي التوتر بدرجـات ترتفع فيها وتيرته أحيانا، وتخبو أحيانًـا أخرى، حتى بلغت قمتها فـي منتصف تسعينات القرن الماضي بعد اتهام السودان بمحاولة اغتيال الرئيس السابق حسني مبارك[١٤].

أجرى المشيـر عمر البشير اثنـاء هذه الزيارة مباحثـات مع رئيـس المجلس الأعلـى للقوات المسلحـة المصـري المشيـر محمـد حسيـن طنطـاوي وعدد مـن أعضاء المجلـس. تناول اللقـاء العلاقات السودانيـة المصرية، وتنسيق المواقـف الإقليميـة والدوليـة، والأوضـاع فـي ليبيـا. وفي الجانـب الإقتصـادي، تناولت المباحثات التعـاون والتنسيق بشأن اتفاقية مياه النيـل، وموضوع الأمن الغذائي الذي اسـتحوذ على جزء كبير من المباحثات[١٥].

اختار رئيس الوزراء المصري عصام شـرف السودان ليكـون أول دولة يزورهـا بعد تكليفه فـي اسـتشارة لا تخطئهـا عيـن علـى التوجه الإسـتراتيجي الجديـد لمصر بعد الثـورة تجاه عمقهـا الإسـتراتيجي المتمثـل فـي السـودان خصوصا، وأفريقيا ودول حوض النيل عمومًا. كانـت الزيـارة فـي يومـي ٢٧ – ٢٨مارس ٢٠١١ ، فقـد أجـرى اثناءها رئيـس الوزراء المصري مباحثات رسمية مع رئيس الجمهورية عبـر اللجنـة الوزارية العليـا المشتركـة وقَّع الجانبان السوداني والمصري أثناء هذه الزيارة ٢٠١٨/٣/٢٧ علـى تسع اتفاقيـات ومذكرات تفاهم، وبرامج تنفيذيـة للتعاون بين البلدين في مجـالات تحقيق الأمـن الغذائي، والاسـتثمار، وحمايـة البيئة، والإصـلاح الإداري، والوقود الحيوي، والإعلام والثقافة[١٦].

وشـهدت المدة التـي تولى فيهـا الرئيس محمد مرسـي حكم مصر في اعقاب ثورة ٢٥ يناير/ كانـون الثانـي، والتـي أطاحت بنظـام حسني مبارك تطورا ملموسـاً فـي العلاقة بين البلدين في المجالات كافة واثنائها بدأت تفاهمات جادة حول إيجاد حل نهائي لموضوع استحواذ مصر علـى مثلـث حلايب حتـى لايبقى ذلـك الامر كواحـد من العقبات التي تقف حائلا دون تطور العلاقات بين البلدين[١٧].

وأكـدت الحكومـة المصرية في عهـد الرئيس مرسي على أهمية العلاقات السودانية المصرية فقـد أوضح بأن السودان هـو الامتداد الطبيعي لمصـر، وأن علاقات البلدين علاقات تاريخية، لم يطورها النظام السابق بما يفضي إلى إحداث علاقـات حقيقية، وأكَّد أن البلدين لا بد أن يكون

لهمـا دور مهم وقـوي لكونهما بوابـه أفريقيا، فضلاً عن مسألة تأمين مياه النيل[١٨].

بـادر الرئيـس السودانـي عمـر البشيـر إلـى زيـارة جمهوريـة مصـر العربيـة فـي الفترة مـن ١٦-١٧سـبتمبر/ايلول٢٠١٢ وهـي أول زيـارة للرئيـس البشيـر إلى مصر بعـد تولي محمد مرسـي مقاليد الرئاسة في مصر، وتأتي تقديـرًا من القيادة السودانيـة للقيادة الجديدة في مصـر، وتمهيدًا لإقامـة علاقات اسـتراتيجية بيـن البلدين في أثناء هذه الزيارة عقد الرئيسان عمـر البشير والدكتور محمد مرسـي مباحثات مشتركة بالقاهرة في ١٦ سبتمبر/ايلول ٢٠١٢ م، إذ تطرقـت المباحثات إلـى العلاقات الثنائية وسـبل تعزيز العلاقات بيـن البلدين، كما تبادلا وجهات النظر حول القضايا المشتركة وركَّزت المباحثات على قضية الأمن الغذائي في البلدين، كمـا اتفقـا علـى سـرعة تفعيـل المشروعات الكبـرى، وفـي مقدمتهـا المزرعـة المصرية بالولايـة الشماليـة فـي السـودان، ومزرعـة الإنتاج الحيواني، بجانب زيادة اسـتيراد اللحوم السودانية. كما بحث الرئيسان قطاعات التكامل المشترك كافة على صعيد توسـيع نطاق تبادل الخبرات بين البلديـن، وذلك عبر إقامة مراكز تدريـب متخصصة تعزز من قـدارات الموارد البشرية في البلدين[١٩].

تعُـد هذه الزيارة عبارة عن رسـالة تأكيد على استعادة مصر لتوجهها

الطبيعـي للتعـاون بصـورة جديدة مـع القارة الأفريقية ودول حوض النيـل والسودان بشكل خاص.

وعلى كِّل، فانه يمكن أن نستخلص خمس نتائج لهذه الزيارة[٢٠].

- كانت الزيارة تعبيرا سياسيا مباشرا وقويا عن الرغبة في فتح صفحة جديدة للتعاون، ولاسيما في مجال استثمارات الأمن الغذائي.

هنـاك توافق كبير خرج به الطرفان في الرؤية حـول القضايـا الإقليميـة، ولاسـيما الوضـع الصومالي والفلسطيني.

- اتفـق الطرفـان علـى الموقـف مـن حكومة الجنوب الوليـدة وعلى جعل الجنوب جزءًا من منظومـة التوافق الإقليمي، ومساعدة الجنوبيين على تأسيس دولتهم.

- اتفقـا على رفع مستوى الإدارة والتشاور بين مصـر والسودان إلى مستوى وزراء الخارجية في البلدين، وهـي المرة الأولى التي ينتقل فيها شأن العلاقات مع السودان من جهاز المخابرات المصرية الى وزارة الخارجية المصرية، وهو تقدم مهم يتجاوز الهواجس الأمنية.

- لـم يحدث تقدم ملمـوس يستحق الإعلان عنه فـي قضايا الحريـات الأربـع (التنقل-الإقامة-العمل-التملك).

ثالثا:- البعـد المائي في العلاقات المصرية – السودانية

١- الاتفاقيات والمعاهدات المائية

-بروتوكول روما ١٥ أبريل /نيسان١٨٩١

وقعتـه كل مـن بريطانيا وإيطاليـا، التي كانت تحتـل إريتريا فـي ذلـك الوقت بشـأن تحديد

مناطق نفوذ كل من الدولتين في أفريقيا الشرقية -، وقد تعهدت إيطاليا في المادة الثالثة من الاتفاقية بعدم إقامة أية منشآت لأغراض الري على نهر عطبرة يمكن أن تؤثر على تدفقات مياه نهر النيل إلى الدول الأخرى.

-اتفاقية أديس أبابا ١٥ مايو/ايار ١٩٠٢

وقعتها بريطانيا نيابة عن مصر وإثيوبيا، وأهم ما فيها المادة الثالثة التي تنص على: "ان الإمبراطور الإثيوبي منليك الثاني يعد بألا يبني أو يسمح ببناء أي أعمال على النيل الأزرق وبحيرة تانا أو السوباط من شأنها أن تعترض سريان مياه النيل، إلا بموافقة الحكومة البريطانية والحكومة السودانية مقدماً»[٢١].

- اتفاقية لندن ١٣ ديسمبر/كانون الاول ١٩٠٦:

وجرى التوقيع عليها بين كل من بريطانيا - نيابة عن مصر والكونغو – وفرنسا وإيطاليا. وينص البند الرابع منها على أن تعمل هذه ا الدول معاً على تأمين دخول مياه النيل الأزرق والأبيض وروافدهما، وتتعهد بعدم إجراء أية إشغالات عليهما من شأنها أن تنقص من كمية المياه المتجهة نحو النيل الرئيسي.

-اتفاقية روما ١٩٢٥:

وهي عبارة عن مجموعة خطابات متبادلة بين بريطانيا وإيطاليا في ١٩٢٥ ، وتعترف فيها إيطاليا بالحقوق المائية المكتسبة لمصر والسودان في مياه النيل الأزرق والأبيض وروافدهما، وتتعهد بعدم إجراء أي إشغالات عليهما من شأنها أن تنقص من كمية المياه المتجهة نحو النيل الرئيسي.

-إطار تعاون يوليو/تموز ١٩٩٣

وُقِّع في القاهرة في أول يوليو ١٩٩٣ بين كل من الرئيس المصري آنذاك محمد حسنى مبارك ورئيس الوزراء الإثيوبي في هذا التوقيت ميليس زيناوي، وكان لهذا الإطار دوراً كبيراً في تحسين العلاقات المصرية الإثيوبية، وتضمن هذا الإطار التعاون بين مصر وإثيوبيا فيما يتعلق بمياه النيل في النقاط التالية:

-عدم قيام أى من الدولتين بعمل أى نشاط يتعلق بمياه النيل قد يسبب ضرراً بمصالح الدولة الأخرى.

-ضرورة الحفاظ على مياه النيل وحمايتها.

-احترام القوانين الدولية.

-التشاور والتعاون بين الدولتين بغرض إقامة مشروعات تزيد من حجم تدفق المياه وتقليل الفواقد.

-اتفاقيتان بين مصر والسودان[٢٢]:-

-اتفاقية ١٩٢٩:

وقد جاءت الاتفاقية بين مصر وبريطانيا – التي كانت تنوب عن السودان وأوغندا وتنزانيا – متناغمة مع جميع الاتفاقيات السابقة، فقد نصت على أن لا تقام بغير اتفاق مسبق مع الحكومة المصرية أية أعمال ري أو كهرومائية أو أية إجراءات أخرى على النيل وفروعه أو على البحيرات التي ينبع منها.

-اتفاقية ١٩٥٩:

وقعت هذه الاتفاقية في ٥ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٥٩ بين مصر والسودان، وجاءت مكملة لاتفاقية عام ١٩٢٩ وليست لاغيه لها، إذ تشمل الضبط الكامل لمياه النيل الواصلة لكل من مصر والسودان في ظل المتغيرات الجديدة التي ظهرت على الساحة آنذ اك وهو الرغبة في إنشاء السد العالي ومشروعات أعالى النيل لزيادة إيراد النهر وإقامة عدد من الخزانات في أسوان.

وقد حددت لأول مرة اتفاقية نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٥٩ بين مصر والسودان كمية المياه ب ٥٥,٥ مليار متر مكعب سنويا لمصر و ١٨,٥ مليارا للسودان.أهم الاتفاقيات بين مصر ودول حوض النيل «كينيا، تنزانيا، أوغندا، الكونغو الديمقراطية، رواندا وبوروندي[٢٣]»

رابعا- سد النهضة الاثيوبي :

يقع سد النهضة في نهاية النيل الازرق داخل الحدود الإثيوبية في منطقة بني شنقول جوموز بين جبلي (Libiyatand Neqor) ، وعلى بعد حوالي ١٤،٥كم من الحدود السودانية على مسار النيل الازرق ١٠،٥ كم من اقرب نفطة على الحدود السودانية ، ٣٥ كم من شمال التقاء نهر بيليس بالنيل الازرق ، ٧٥٠كم شمال غرب اديس ابابا، وعلى ارتفاع حوالي ٥٠٥ متر فوق سطح البحر عند قاعدة السد[٢٤].

وقد اطلقت عدة تسميات على سد النهضة منها (سد بوردر) وهو الاسم الاصلي الذي جاءت به دراسة مكتب الاستصلاح الأمريكي التي اجريت على حوض النيل الازرق (أبيي) وانتهت بتحديد ٢٦ موقعاً لأنشاء السدود اهمها أربعة على نيل الازرق الرئيس: كارادوبي ، مابيل ، مانداية ، وسنر، الحدود ، احتفظت اثيوبيا بسرية عزمها لأنشاء سد بوردر[٢٥].

وبعد ان اعلنت الحكومة الاثيوبية تدشين المشروع واسناده الى شركة ساليني الإيطالية بالأمر المباشر ، اطلقت عليه اسم مشروع (إكس) بديلاً للاسم القديم (بوردر) و تم اعلان عنه رسمياً في ٣١ اذار ٢٠١١، وترى اثيوبيا ان هذا المشروع سوف يعد قاطرة التنمية لأثيوبيا[٢٦].

واعلنت اثيوبيا عن تغير اسم المشروع مرة اخرى من إكس الى سد الالفية العظيم، وتم وضع حجر الاساس في اليوم التالي لتوقيع العقد في ٢ نيسان ٢٠١١، بسعة تخزينية أكبر تصل الى ١٧ مليار متر مكعب. وسمي بالألفية (طبقاً لرئيس الوزراء الاثيوبي) لأنه سوف يكون اكبر سد تشيده اثيوبيا على نهر النيل كما انه سوف يحتل صدارة المشروعات الاثيوبية[٢٧].

ثم قام بعد ذلك مجلس الوزراء الاثيوبي بتغير الاسم مرة اخرى وبالتحديد في ١٥ نيسان ٢٠١١ ليصبح اسم المشروع الجديد (سد النهضة الاثيوبي الكبير)[٢٨].

ويبدو ان لأثيوبيا اهدافاً عدة لأنشاء هذا المشروع منها :-

انتاج الطاقة الكهرومائية بنحو (٦٠٠٠ ميكاواط) التي تعادل ما يقرب من ثلاثة

اضعـاف الطاقـة المستخدمـة حاليـاً، بغرض تصديرها الى الدول المجاورة.

لتخليـص دول الحوض مـن الجفاف الذي يقتل سـكانها وذلك من خلال اعتمـاد نظام الزراعة المروية.

تهـدف الـى تنظيـم تدفـق الميـاه والوقاية من الفيضانـات المدمـرة التي كانـت تكتسح مدن بأكملها .

توفير مخزون اسـتراتيجي مـن المياه في حالة انخفـاض منسوب الميـاه والوقاية من مواسـم الجفاف[٢٩].

قلـة التبخـر نتيجـة وجـود بحيرة السـد على ارتفاع حوالي ٦١٠ الى ٦٥٠ متر فوق سـطح البحـر ، اذا ما قـورن بالبخر فـي بحيرة السد العالي(١٦٠-١٧٦ فوق سطح البحر)

تنشيط منطقة السد سياحياً

زيادة الثروة السمكية في اثيوبيا[٣٠].

اكـدت اثيوبيـا علـى تحملهـا تكلفة بنـاء السد والتـي تبلغ نحـو ٤،٨مليـار دولار امريكي ، أي نحـو ١٢٪ مـن الناتـج القومـي الاجمالي لأثيوبيـا. والمقدر بنحـو٤٣،٣ مليار دولار في العـام ٢٠١٢ والتـي يمكن ان تصـل في نهاية المشـروع الى نحو ٨مليـارات دولار أي نحو ١٧٪ من الناتج القومـي الاجمالي للتغلب على المشكـلات الجيولوجيـة التـي سـوف تواجـه المشـروع كما هو معتاد في جميع المشروعات الأثيوبية السابقة[٣١].

ويبدو ان سبب تحمل اثيوبيا تلك التكلفة يعود الى احجـام البنك الدولي عن تمويل بناء ذلك السد ، وذلك اتساقاً مع السياسـة العامـة التي ينتهجها البنك الدولـي في السنوات الاخيـرة بالعزوف عن تمويـل السدود الكبرى، نظراً لعدم جدواها الاقتصاديـة. فضلاً عن انها فـي الغالب تكون محل إثارة للمشكلات السياسية في حالة السدود المقامـة على انهـار دولية ، وذلـك اعلن البنك الدولـي عن انه لن يقدم أيـة مساعدات مالية او فنيـة لأي مشروع مائي علـى نهر دولي الابعد موافقة الدول المشاطئة لهذا النهر كافة (أي بعد أعمال شرط الأخطار المسبق)[٣٢].

ومن جانبه ، اتهم البنك الدولي الخطة الأثيوبية للتوسع في توليد الطاقة ، واصفاً إياها بأنها غير واقعيه ، وانصبت اتهاماته في قطاع الطاقة الى التوسـع في نطاق شـبكات التوزيع ، واصلاح القطاعات الجارية[٣٣].

خامسا:- موقف مصر من قيام سد النهضة

حرصـت اثيوبيـا بقيادة ميلس زينـاوي ، على احاطـت امر انشـاء السد بتكتم شـديد ، الى ان تـم وضع حجـر الاسـاس للسد فـي الثاني من نيسـان ٢٠١١، أي بعـد قيام ثـورة ٢٥ كانون الثانـي٢٠١١ فـي مصر وتحديداً بعد شـهرين اثنين فقط. وكان من الواضح ان هذا قد تم بقصد وبتخطيط واعٍ، يهدف الى السعي لاستغلال حالة الارتباط الداخلي ، وحالة السيولة السياسية التي تمـر بها مصر، لكي تستطيع اثيوبيا تمرير هذا المشروع، لتحقيق اهداف سياسية واستراتيجية بالأساس ، قبل ان تكون اهدافاً تنموية[٣٤].

وبالرغم مـن ان مصر لاتقف ضد أي مشروع

تنمـوي في حوض النيـل ، بل وتسعـى لتقديم يـد العون والمساعدة ، شـريطة الا يحدث ذلك ضـرراً بمصر التـي تعتمد علـى ٩٥٪ تقريباً مـن مواردهـا المائية على نهر النيـل، الا انها وقفت ضد مشروع سد النهضة لما له من تأثير كبيـر على امن مصر المائـي .وقد مر الموقف المصـري بثـلاث مراحـل اساسـية، المرحلة الاولـى كانت اثنـاء المرحلـة الانتقالية الاولى التـي كان يريدها المجلس العسكري الانتقالي ، والتـي كانت مصر مشغولة فيهـا بمحاولة بناء نظامها السياسـي الجديـد ، واتسمت بمجموعة هائلة من التفاعـلات الداخلية التي كانت تشغل وتعوق مصر عن الالتفات الجدي الى أي امور اخرى[٣٥] .

وفـي هـذه المرحلة وافقت مصـر على تشكيل لجنة ثلاثية لتقييم السد وتحديد مدى تأثيره على حصـة مصر والسـودان من ميـاه النيل جراء بناء ذلك السد. وشـكلت تلك اللجنة من خبيرين من اثيوبيـا . وخبيرين من السودان ، وخبيرين مـن مصـر، فضلاً عـن اربعة خبـراء دوليين في مجالات هندسـة السـدود وتخطيط الموارد المائيـة، والاعمـال الهيدرولوجيـة ، والبيئة ، والتأثيـرات الاجتماعيـة والاقتصاديـة للسدود مـن المانيا وفرنسا وجنـوب افريقيا. وقد صدر تقرير عن هذه اللجنة واحتوى على ٤ تحفظات تتعلـق بسلامـة السـد والتأثيـرات الاجتماعية والاقتصاديـة علـى الفئات الفقيـرة في مناطق انشـاء السد[٣٦]. وكذلك تحفظـات تتعلق بتأثيره علـى المـوارد المائيـة لدولتي المصـب وقلة تدفـق المياه اليهما، وهذه امور تحتاج الى مزيد مـن الدراسـات التفصيلية من جانـب الحكومة الأثيوبية ،لمنع الاثار السلبية للسد، ولكن اثيوبيا لـم تلق بـالاً لتقرير اللجنة وشـرعت في تكملة اعمـال التشييـد والبناء مما وتـر العلاقات بين البلدين[٣٧].

وفـي المرحلـة الثانية التـي تولى فيهـا محمد مرسـي رئاسـة الجمهورية ، تعامـل الاخوان مع أزمـة السد بطريقة تتسم بالارتباك والتخبط ، إذ بـدأ عهد الاخوان بمحاولـة التهويد الشديد مـن الازمـة . ومـن اضـرار السـد . وكانت تصريحـات الدكتـور محمد بهـاء الدين وزير الـري في حكومة هشـام قنديـل تتمحور حول ((اننـا لا نستطيع الجزم بـرأي او موقف حول مـا اذا كـان السد يشكل ضـرراً او خطراً على الامن المائي المصـري. في والوقت الذي كان يدرك فيه وجود الضـرر على مصر)) ، ومما زاد الامـر تعقيـداً قيام اثيوبيـا بتحويل مجرى النهر فـي ٢٨ أيار/ مايو ٢٠١٣ ، عقب زيارة مرسـي لأديس ابابا مباشـرة ، فـي لفتة حملت الاسـتخفاف الشديد به ، اسـتشعر الـرأي العام المصـري ومعظـم شـرائح النخبـة بتنوعاتها المختلفـة ، وجود خطر هائل يتهدد مصر، وان السلطـة الاخوانية بحكـم التكويـن الايدلوجي ، لا تعطـى هـذا الامر ما يسد حقـه من اهتمام او اولويـه الأمر الـذي دفع الأخـوان وتحديداً الرئيس المصري محمد مرسي الى عقد اجتماع مع بعض حلفائه السياسـين حمل هذا الاجتماع اسـاءات وتجاوزات بالغة تجاه القارة الافريقية ككل ، واسـاءه الى مصر . وتاريخها ومكانتها ودورها ووظفته اثيوبيا بطبيعة الحال في خدمة مخططهـا الرامـي الى كسـب الوقـت فقامت بترجمـة الحـوارات التي دارت فيـه ووزعتها

على نطاق واسع وزعمت ان هذا يعد دليلاً على وقوف مصر ضد تنميه اثيوبيا ، وانه بمنزلة تهديد بالعدوان ، في مسعى واضح لحرف القضية عن مجراها الاساس[٣٨].

وقد ادى هذا الامر الى توتر العلاقات وزيادة العداء مع دول حوض النيل . بل وكسبت اثيوبيا المعركة لصالحها مرحلياً، من خلال حصولها على المزيد من التأييد لبناء السد ، إذ بين الامين العام للحركة الشعبية في جنوب السودان ((باقان آموم)) عن عزم بلاده الانضمام الى الاتفاقية الاطارية لتقسيم مياه النيل ((اتفاقية عنتبي)) مؤكداً دعم بلاده لبناء سد النهضة الاثيوبي[٣٩].

اما المرحلة الثالثة والاخيرة ، فقد بدأت بعد انتخاب عبد الفتاح السيسي رئيساً لمصر بأغلبية كاسحة، فبدأ في وضع استراتيجية جديدة تسعى بالأساس الى الحفاظ على الاطار التعاوني والبحث عن الحلول الوسط. على قاعدة لا ضرر ولا ضرار ، وكان يهدف من ذلك كسر حالة الجمود التي اعترت تناول الازمة ، ووصولها الى طريق مسدود ، وقد نتج عن ذلك التوصل الى اعلان مالابو على هامش القمة الافريقية المنعقدة في غينيا الاستوائية في اواخر حزيران / يونيو ٢٠١٤ فعقب لقاء مطول بين الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي ، ورئيس الوزراء ايثوبي ، هايلي مريم ديسالين صدر هذا الاعلان في ٢٨ حزيران / يونيو ٢٠١٤ على هيئة بيان مشترك نص على:-» ان الطرفين قد قررا تشكيل لجنة عليا تحت اشرافها المباشر لتناول كافة جوانب العلاقات الثنائية والاقليمية في المجالات السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والامنية»،كافة كما «اكد الطرفان محورية نهر النيل كمورد اساس لحياه الشعب المصري ووجوده وكذلك ادراكها لاحتياجات الشعب الاثيوبي التنموية»[٤٠].

وتنبع الاهمية الرئيسة لهذا البيان المشترك من انه اعاد الازمة الى حيز التفاوض ، والبحث عن التفاهمات المشتركة. بعد ان كادت تنزلق الى الصراع ، بحيث يتحقق لأثيوبيا ما تريده من تنمية ، وفي الوقت نفسه ترفع او تخفف من الاضرار المترتبة على مصر الى الحد الذي يمكن قبوله او التعايش معه ، وتحافظ على التعاون لمصلحة شعوب حوض النيل.

وبالرغم من ذلك ، فان هناك بعض التحفظات بالنسبة للموقف المصري ، إذ لا تعترف اثيوبيا ولا تقر بالحصة المصرية الحالية (٥,٥٥ مليار م^{٣}) ، اذ انها ليست طرفاً في اتفاقية ١٩٥٩ بين مصر والسودان التي اقرت تلك الحصص[٤١].

كما ان المشاورات التي جرت في العاصمة السودانية الخرطوم في اب ٢٠١٤ والتي تمخضت عن تشكيل لجنة ثلاثية تحمل اسم ((اللجنة الوطنية للدول الثلاث)) وتتكون هذه اللجنة من اربعة اعضاء من كل دولة ، وتقوم بالأشراف على الدراسات الفنية الخاصة بسد النهضة، التي حددتها توصيات اللجنة الدولية لتقييم سد النهضة أيار / مايو ٢٠١٣ : وتم حصرها اثناء اجتماعات الخرطوم في دراستين: الدراسة الاولى هيدرولوجية عن تأثيرات سد النهضة في ايراد النهر لكل من السودان ومصر.

واثـر السد علـى توليـد الكهرباء مـن السدود السودانية ، ومن السد العالي[٤٢] . اما الدراسـة الأخيـرة .فهي عـن الاثار البيئـة والاقتصادية والاجتماعيـة لسد النهضـة على الدول الثلاث اثيوبيا ،ومصر ،والسـودان . وتم الاتفاق على آليات حسم الخلافـات التي قد تظهر بين الدول الثلاث، من خلال الاستعانة بخبراء دوليين.

ويبـدو ان الاجتماعـات الخاصـة باسـتكمال الدراسـتين اللتيـن تم الاتفاق عليهمـا اصابهما التعثر وكثرة الخلافات حولهما . لم تتمكن اللجنة التي تم تشكيلها من وضع حد لتلك الازمة[٤٣].

سادســا:- تأثيــر ســد النهضة علــى مصر والسودان :

ان قيـام سـد النهضة الاثيوبي سـتتمخض عنه الكثير من المخاطر التـي تحيط بالامن القومي المصـري منها على سـبيل المثـال لا الحصر ، تأثيـر السد على حصة مصـر والسودان من الميـاه ، إذ ان بنـاء اثيوبيا لسـد النهضة وحده سيؤدي الى نقص حصة مصر من المياه بنسبة ٩الـى ١٢ مليار متر مكعب فـي العام ، اما اذا قـررت اثيوبيا بنـاء حزمة السـدود كاملة فان ذلك سـيؤدي لنقص مالايقل عن ١٥ مليار متر مكعب من المياه سنوياً ومن ثم سيتسبب ذلك في بـوار من ٤ الى ٥ مليون فدان ، وتشريد من ٥ الى ٦ مليون فلاح[٤٤].

وهـذا يعنـي ان تقليـل حصـة مصـر السنوية من ميـاه النيل سـيترتب عليه نقـص المساحة الزراعيـة بصفـة عامه ، ومن ثـم تأثر القطاع الزراعي بالشكل الذي يؤدي الى[٤٥]:-

١- تقليل مساحـات الزراعات المستهلكة للمياه مثل القصـب وبالتالي زيادة فجوة السكر بنسبة ٣٢٪

٢- تملـح مساحـات كبيـرة مـن الاراضـي الزراعية المصرية بسبـب نقص كميات المياه المخصصـة للزراعـة. وايضـاً نقـص كميات الميـاه المخصصة. لغسل تراكمات الاملاح من الاراضي الزراعية.

٣- ايقاف جميع مشروعات استصلاح الأراضي و التوسع الزراعي في مصر ، فضلا عن نقص كبير في كميات مياه المصارف الزراعية .

٤. زيـادة الفجـوة الغذائية المصريـة الى نسبة ٧٥٪ مـن اجمالـي احتياجات مصـر بدلا من ٥٥٪ في الوقت الحالي

٥. تحميـل الاقتصاد المصري اعبـاء اضافية لأنشـاء محطات تحليـة على البحر المتوسـط تخصـص للاسـتهلاك المنزلـي و الصناعـي والسياحي في المدن الساحلية

٦. ارتفـاع نسب البطالة في مصر بسبب نقص المساحـة الزراعيـة لا سـيما فـي الحاصلات التي تتبعهـا صناعات عديدة مثل قصب السكر وصناعة العسل الاسود ...الخ

٧. تراجع معدلات الدخل القومي بسبب النقص الناتج الزراعي، و تراجـع معدلات التنمية في الريف ، و توقف برامج محاربة الفقر .

الى جانـب ذلك ، فان اقامة السد سـوف يؤدي أيضا الى [٤٦] :-

١-اغـراق بعض المناطـق التعدينيـة الواعدة

بكثير من المعادن المهمة مثل الذهب و البلاتين والحديد و النحاس وكذلك بعض مناطق المحاجر

٢-تهجير نحو ٣٠ الف مواطن من منطقة البحيرة .

٣-قصر عمر سد النهضة والذي يتراوح بين ٥٠ – ١٠٠ عاماً نتيجة الاطماء الشديد (٤٢٠ الف متر مكعب سنويا) وما يتبعه من مشاكل كبيرة لتوربينات توليد الكهرباء وتناقص في كفاءة السد تدريجيا .

٤-انخفاض كفاءة سد النهضة في انتاج الطاقة الكهربائية و التي تتراوح بين ٢٨،٥ الى ٣٠ ٪

٥-زيادة فرص تعرض السد للانهيار نتيجة العوامل الجيولوجية وسرعة اندفاع مياه النيل الازرق والتي تصل في بعض ايام (اغسطس) الى ما يزيد على نصف مليار متر مكعب يومياً ومن ارتفاع يزيد على ٢٠٠٠م نحو مستوى ٦٠٠ م عند السد واذا حدث ذلك فان الضرر الاكبر سوف يلحق بالقرى و المدن السودانية ولاسيما الخرطوم التي قد تجرفها المياه بطريقة تشبه السونامي .

٦-فقد السودان للطمي الذي يخصب الاراضي الزراعية حول النيل الازرق والذي يعد المصدر الرئيس لتغديه النباتات ، وعدم تعود السودانيون على استخدام الاسمدة الزراعية.

٧-تلوث مياه بحيرة السد نتيجة تخزينها اعلى صخور غنية بالمعادن والعناصر الثقيلة .

٨-التوتر السياسي بين مصر و اثيوبيا بسبب هذا المشروع .

٩-فقد مصر و السودان لكمية المياه التي تعادل سعة التخزين الميت لسد النهضة والتي تتراوح من ١٥ الى ٢٥ مليار م^{3} حسب سعة التخزين الميت ومن ثم فان مياه سعة التخزين الميت يمكن حجزها على مدار ثلاث سنوات . وهذا الفقد يستوجب معرفة مصر والسودان به من حيث الكمية وموعد التشغيل لأخذ الاحتياطات اللازمة لتفادي ازمة نقص المياه في سنوات المليء [٤٧].

الخاتمة

يمكن القول ان أهم النتائج التي تترتب على بناء سد النهضة هي:-

١-أن إصرار الجانب الإثيوبي على المضي قدماً في بناء مشروع السد بالمواصفات الحالية، سيقود حتماً إلى نتائج خطيرة تمس الأمن القومي لكل من السودان ومصر.

٢-في حاله المساس بسد النهضة الأثيوبي أو انهياره لأي سبب كان سيعني ذلك فناء لكل السدود على امتداد النهر ، فضلاً عن المياه الهائلة التي ستدفق على مصر والسودان فإن انهيار السد يعني ببساطه حدوث كارثة من شأنها أن تؤدي إلى غرق اجزاء من شمال السودان وجنوب مصر، وتسبب في تشريد الملايين من جراء ذلك الانهيار.

٣- كما ان مشكله ندره المياه والجفاف لن تكون شيئاً يذكر بجانب " الترتيبات الأمنية" اللازم اتخاذها، فمصر ستجد نفسها مضطرة لحماية سد النهضة كما تحمي السد العالي تماما.

٤-اذا كان من الصعوبة ان تقوم اي دولة مستقبلا مثلا بتوجيه ضربة للسد العالي، فبإمكانها اليوم ضرب سد النهضة بمنتهى البساطة، وبالتالي فان انهيار سد النهضة سيتكفل بتدمير السد العالي.

لذا لابد من:-

١-التحرك السياسي لمحاصرة اثيوبيا اقليميا ودوليا من خلال الترويج لمقولة: ان السلوك الاثيوبي في ازمة سد النهضة يخالف القواعد القانونية في شأن تنظيم الانهار الدولية. والاساءة الى دول الجوار والحاق الضرر بهما. وهو ما يهدد الامن والسلم الاقليمي والدولي.

٢-الاستفادة من تقرير اللجنة الدولية لبحث اثار سد النهضة، وذلك من خلال خلق رأي عام اقليمي ودولي في مختلف المحافل وعلى الاصعدة الرسمية كافة وغير الرسمية لدعم الموقف المصري. وخلق جبهات رفض للسد بموصفاته الحالية التي من شأنها الحاق الضرر بمصر والسودان.

٣-التحرك السياسي للحيلولة دون توافر التمويل اللازم للسد، وذلك من خلال مخاطبة الجهات المانحة وشرح وجهة النظر المصري والشواغل المصرية ومنعهم من تقديم تمويل للسد بمواصفاته الحالية.

٤-اعادة احتواء السودان وكسب تأييدها. فالسودان هو الشريك السياسي والاستراتيجي في المفاوضات الرسمية ،كما يشكل العمق الاستراتيجي لمصر. ومن ثم فان توحيد الجبهة المصرية-السودانية في التفاوض هو الضمان لقوة مصر واستقرار السودان والمحافظة على كيانه.

المصادر

١- محجوب الباشا، التنوع العرقي والسياسة الخارجية في السودان، دار هايل للطباعة، مركز الدراسات الاستراتيجية، السودان، ١٩٨٨،ص ٢٣٩ .

٢- محجوب الباشا ، المصدر السابق، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .

٤- تم الاتفاق في اجتماع القمة العربية المنعقد في القاهرة في ٢٢تشرين الاول ٢٠٠٠ على جعل منطقة حلايب منطقة تكامل بينهما . لمزيد من التفاصيل انظر عبد العظيم اسماعيل ، تأثير الاسلام السياسي في العلاقات السودانية المصرية ١٩٨٩-٢٠٠١ مجلة دراسات دولية ، العدد ١٩ ، مركز الدراسات الدولية ، جامعة بغداد، كانون الثاني ٢٠٠٣ ، ص١٩٦ .

٥- ممدوح انيس فتحي ، القوة العسكرية المصرية واثر التحولات الاستراتيجية على الدور المصري الاقليمي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهرام، ١٩٩٧، ص٨٨.

٦- المصدر نفسه، ص٨٨؛ صحيفة الحياة ، العدد ١٢٧٤٥، ١٩٩٨/١/٢٣ .

٧- حسن ابو طالب ، مأزق الحل السياسي في السودان ، السياسة الدولية، العدد ١٣٨، القاهرة، تشرين الاول ١٩٩٩، ص١٦١ .

٨- صحيفة الحياة ، العدد ١٤٣٨٦، ٢٠٠٢/٨/٩

٩- الزين ابراهيم حسين ، الغارة على السودان ، الخرطوم، اذار ١٩٩٧،ص١٢-١٣؛ صحيفة بابل ، العدد ٣٤٥ ، ٩/١٢/ ٢٠٠٢.

١٠- هاني رسلان ، الموقف المصري في إطار ماشاكوس، السياسة الدولية ، العدد١٦٠، القاهرة، نيسان ، ص١٥ .

١١- هاني رسلان ، المصدر نفسه، ص١٥

١٢- اماني الطويل ، الادوار الخارجية في الازمة السودانية، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٦٣، القاهرة كانون الثاني ٢٠٠٦، ص١٢

١٣- المصدر نفسه ، ص٢١٥ .

١٤- فاطمة إبراهيم محمد مصطفى، مستقبل التكامل السوداني المصري بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١،معهد الدراسات الاسيوية والافريقية،جامعة الخرطوم ،ص١٤.

١٥- المصدر نفسه،ص١٤-١٥

١٦- المصدر نفسه ١٥-١٦.

١٧- فيصل حسن الشيخ، مستقبل العلاقات البينية لدول حوض النيل الشرقي على ضوء الواقع المائي لمرحلة ما بعد قيام سد النهضة الاثيوبي، مجلة دراسات افريقية، د.ت ،ص١٦.

١٨- فاطمة إبراهيم محمد مصطفى،ص١٧

١٩- المصدر نفسه ،ص١٧

٢٠- المصدر نفسه ،ص١٦-١٧.

٢١- مركز هردو لدعم التعبير الرقمي ، اتفاق الخرطوم وضياع حقوق المصريين على ابواب سد النهضة، القاهرة،٢٠١٥،ص١٢

٢٢- مركز هردو ، المصدر نفسه،ص١٢-١٣.

٢٣- المصدر نفسه،ص١٣.

٢٤-عباس محمد شراقي ، سد النهضة الأثيوبي ، اعتبارات التنمية والسياسية التقرير الاستراتيجي الافريقي ٢٠١١ -٢٠١٢ ، الاصدار الثامن ديسمبر ٢٠١٢ ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية . ٢٠١٢ ، ص ٨١.

٢٥-عباس محمد ،مصدر سابق ، ص ٨٢.

٢٦- محمد سالمان طايع ، مشروع سد النهضة الاثيوبي من منظور هيدروبوليتيكي ، مجلة السياسية الدولية ، العدد ٢٠٤ ، ابريل ٢٠١٦ ، الاهرام القاهرة ، ص ٣١.

٢٧-عباس محمد شراقي ، مصدر سابق ص ٨٢-٨٣

٢٨- ضياء الدين القوصي معادلة مراوغة : دوافع اثيوبيا لبناء السدود على نهر النيل

، مجلة السياسية الدولية ،العدد ١٩١ ، يناير ٢٠١٣ ، ص ٦٦.

٢٩- مصطفى عبد الكريم مجيد ، اثر متغير المياه في العلاقات المصرية الاثيوبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، ٢٠١٨ ، ص ١٧٠.

٣٠-عباس محمد شراقي ، مصدر سابق ، ص٨٦.

٣١- محمد سالمان طايع ، مصدر نفسه ، ص ٣٢.

٣٢- محمد سالمان طايع ، مصدر سابق ، ص ٣٢.

٣٣- المصدر نفسه ، ص ٣٢.

٣٤- هاني رسلان ، رؤية نقدية لإدارة ازمة سد اثيوبيا مجلة السياسية الدولية ، العدد ١٩٩ يناير ٢٠١٥، المجلد ٥٠ ، ص ١٣٢.

٣٥- المصدر نفسه ، ص ١٣٣.

٣٦- ايهاب ابراهيم ابو عيش ، الاستراتيجية المصرية تجاه جنوب السودان : دراسة في اثار الانفصال ومحاور التحرك المقترحة للمكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، ٢٠١٨ ، ص ١٧١

٣٧- ايهاب ابراهيم ابو عيش ،المصدر السابق ، ص١٧٢.

٣٨- هاني رسلان مصدر سابق ، ص ١٣٣ – ١٣٤.

٣٩- ايهاب ابراهيم ابو عيش ، مصدر سابق ، ص١٧٢.

٤٠- هاني رسلان مصدر سابق ، ص ١٣٤.

٤١- هاني رسلان ، المصدر نفسه ، ص ١٣٤.

٤٢- المصدر نفسه ، ص ١٣٤ – ١٣٥

٤٣- المصدر نفسه ص ١٣٥.

٤٤- ايهاب ابراهيم ابو عيش ، مصدر سابق ، ص ١٧٣.

٤٥- محمد سالمان طايع ، مصدر سابق ، ص٣٥.

٤٦- عباس محمد شراقي ، مصدر سابق ، ص ٨٦-٨٧.

٤٧- المصدر نفسه ، ص ٨٧.

الدبلوماسية الشعبية الأمريكية: إدارة السمعة واسترجاع الصورة في منطقة الشرق الأوسط

أ.م.د. عبد الأمير عبد الحسن إبراهيم(*)

المقدمة

الدبلوماسية الشعبية هي إحدى أشكال الدبلوماسية المعاصرة التي تجسد ما يمكن أن يؤديه تحرك أوساط شعبية في دعم وحدة القرار السياسي الخارجي في محاولة لكسب رضا وتأييد الرأي العام بالمواقف الدبلوماسية الرسمية عبر عرض مقاربات، ذات طبيعة إنسانية إغاثية، أو تجارية، أو معرفية ثقافية، لم تتمكن وسائل الدبلوماسية الرسمية من تحقيق أهداف السياسة الخارجية في مناطق النفوذ المستهدفة، بهدف تكريس الصورة الذهنية الإيجابية، والتأثير في المجتمعات الأخرى واستمالتهم، لإحداث تحول في السلوك الخارجي المقابل.

وهناك نوعان أساسيان من الدبلوماسية العامة. الأول: ويتم عبر التواصل الإعلامي إذ تحاول الحكومة تحسين صورتها لأي هدف سياسي فوري، أو تعزيز صورة أفضل عن سياسات الحكومة في العالم، والعمل على تقويض دعاية العدو.

أما النوع الثاني من الدبلوماسية العامة، فيشتمل على استراتيجيات متنوعة للتأييد السياسي تهدف الدول منها تحقيق نتائج أبعد مدى، ترسخ أسس التعاون مع الحلفاء، وتعمل على كسب حلفاء جدد للانضمام إلى المعسكر المؤيد لسياستها.

وفي ضوء المتغيرات التي انتتجت صراعات دولية، لم تعد الدبلوماسية التقليدية قادرة على الحد من تفاعلاتها من خلال الاقتراب المباشر من المؤسسات الرسمية، لتتحول إلى الاقتراب غير المباشر قادرة على تطوير رموز ثقافية توظف فيه رموز ثقافية وحضارية قادرة على تطوير مستوى السلوك السياسي الخارجي في بيئة دولية تجعل من الدبلوماسي يبدو أكثر انسجاماً مع قيم وأعراف وعادات المجتمع الآخر، وقادراً على التأثير فيه.

وفي أثناء الحرب الباردة استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية الدبلوماسية الشعبية لإقناع شعوب دول أوربا الشرقية بالأسس التي تقوم عليها الديمقراطية وحقوق الإنسان ، والتعريف بالمؤسسات الرأسمالية التي كانت متفوقة على بدائلها في المعسكر الشيوعي عبر بث مباشر

(*) جامعة الإمام جعفر الصادق

لإذاعة «صوت أمريكا»، وذلك لتبديد مخاوفها تجاه الغرب، وفي الوقت ذاته، قامت وزارة الخارجية الأمريكية ببناء مكتبات في دول الحلفاء احتوت على كتب عن التاريخ والثقافة الأمريكية، كنافذة لتعزيز التعرّف على المبادئ والأفكار الأمريكية لكسب دعم واسع للسياسات الأمريكية.

غير أن تطبيقات الدبلوماسية الشعبية للولايات المتحدة الأمريكية في العراق، بشكل خاص وفي منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، قد تعثرت في إحداث الأثر المطلوب في جذب التأييد لأهداف السياسة الخارجية الأمريكية نتيجة لما آلت إليها الحرب التي شنت على أفغانستان، وغزو العراق، والميل الواضح للسياسة الخارجية الأمريكية في دعم سياسات الاحتلال الإسرائيلي الاستيطانية، ومنع الشعب الفلسطيني من نيل حقه في العيش الكريم في إطار دولة مستقلة عاصمتها القدس الشريف.

الدراسات السابقة: استند البحث إلى مجموعة من المصادر التي تناولت موضوع الدبلوماسية الشعبية والقوة الناعمة الأمريكية وتوظيفهما في إدارة السمعة وتحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية وكانت في أغلبها مصادر أجنبية، ندرج أهمها:

جوزيف س ناي، مفارقة القوة الأمريكية والتساؤل الذي طرحه، لماذا لا تستطيع القوة العظمى الوحيدة في العالم في ممارسة قوتها، ٢٠٠٢. وفي كتابه الثاني القوة الناعمة بوصفها وسيلة نجاح في السياسة الدولية، ٢٠٠٤.

نيكولاس كول، الدبلوماسية الشعبية، دروس من الماضي، ٢٠٠٩.

يان ميليسان، الدبلوماسية الشعبية بين النظرية والتطبيق، ٢٠٠٥.

برايـن هوكنـج، إعـادة التفكير، الدبلوماسية الشعبية الجديدة، ٢٠٠٥.

هيكلية البحث: وزع البحث إلى مبحثين، الأول: وتناولنا فيه مدخل مفاهيمي وتاريخي للدبلوماسية التقليدية والدبلوماسية الأمريكية. وفي المبحث الثاني، تم تفصيل علاقة الدبلوماسية الشعبية الأمريكية مع القوة الناعمة، والتحديات التي تواجهها الدبلوماسية الشعبية الأمريكية التي أدت إلى التراجع في الصورة والسمعة والقدرة في التأثير في مجتمعات دول منطقة الشرق الأوسط. وانتهي البحث إلى عدد من التوصيات.

المبحث الأول :

الدبلوماسية: أداة تحقيق أهداف السياسة

تعد الدبلوماسية الأداة السلمية التي تمتلكها الدول في تنفيذ سياستها الخارجية، فعن طريق الدبلوماسية يتم تسوية المنازعات الدولية، وإشاعة علاقات التعاون الودية، ودرء حالات الصراع التي تنشأ بسبب وجود تعارض في مصالح الدول الاقتصادية، أو السياسية، أو العسكرية، وعن طريقها تستطيع الدولة أن توطد مركزها، وتعزز نفوذها في مواجهة الدول الأخرى. وإذا كانت الدبلوماسية بمفهومها التقليدي تعني التمثيل والتفاوض، فإن الدبلوماسية الشعبية، أو الدبلوماسية العامة، أو دبلوماسية المسار الثالث، أو الدبلوماسية غير السياسية باختلاف مسمياتها، كنوع من أنواع الدبلوماسية المعاصرة، إنما هي أداة لكيفية التعامل مع الآخر المختلف ثقافياً في تعامل هادف يتمثل في سعي الدولة للاتصال بهدف خلق حالة من الجذب نحو أهداف سياستها

الخارجيــة، وتحسيــن الصورة لــدى الجمهور المستهدف.

المطلب الأول

الدبلوماسية – مدخل مفاهيمي :

ليــس ثمة تعريــف محدد متفق عليــه لمصطلح الدبلوماسية عند علماء علم السياسة والباحثين، إذ تعــددت التعريفات وتفــاوت نواحي التركيز فيها. فتستخدم للدلالة على المهنة التي يمارسها الدبلوماســي. (هيف، ١٩٨٧)، أو أنها الموهبة والنباهــة، والكياســة والمهــارة والحذاقــة في تسيير المفاوضات والمحادثات الدولية. (زكي، ١٩٩٢) . وقد عرفها الأســتاذ (إرنست ســاتو) فقد عرف الدبلوماســية أنها» اســتعمال الذكاء والكياســة فــي إدارة العلاقــات الرســمية بيــن الحكومــات المستقلة» (صابرينــي، ٢٠٠٢) ، وهــو ما ينسجم المفهوم التقليدي للدبلوماســية ، الذي يعد الدول وحدها التي تملك صفة شخص القانون الدولي.

أمــا الأســتاذ (هارولــد نيكلســون) فعــرف الدبلوماســية، بالاتساق مع التعريف الذي قدمه قاموس اكسفــورد، بأنها إدارة العلاقات الدولية عــن طريــق المفاوضــات " (Nicolson, ١٩٦٩)، وعرفهــا (ريفيه) بأنهــا " علم تمثيل الــدول وفــن إجــراء المفاوضــات" ، (زكي، ١٩٩٢) ، فيما عرفها الأســتاذ (ريمون آرون) على أنها " فن إدارة التعامل مع الدول الأخرى" ، ونظــر إلــى الوظيفــة الدبلوماســية على أنها عملية أساســها الكفاءة في تمثيل الدول وحماية مصالحهــا وتحقيق أهداف السياســة الخارجية. (فتحية النبراوي و محمد نصر مهنا، ١٩٨٥)

وعرفها سموحي فوق العادة بأنها " مجموعة القواعــد والأعــراف الدوليــة والإجــراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين أشــخاص الفانــون الدولي..." (ســموحي، ١٩٧٣)

وجــاء في تعريــف (محمد ســليم السيد) بأنها " الأدوات والمــوارد التــي تستخدمهــا الدولــة في تمثيل ذاتهــا إزاء الوحدات الدولية الأخرى والتفاوض معها بما في ذلك شرح سياستها إزاء القضايــا الدولية وحمايــة مواطنيها وممتلكاتهم فــي الخــارج وتنظيــم تعاملهم مــع الأجانب". (ســليم، ١٩٩٨) ، وقــد أعطى تعريفاً واســعاً، أخرج الدبلوماســية من مفهومهــا التقليدي إلى مفهوم آخر طابعه شمولي، ولا سياسي ، في أنها المنهــج الذي تسير بمقتضاه الدولة في علاقاتها في الشؤون السياســية والتجاريــة والاقتصادية والمالية مع الدول الأخرى. (فودة، ١٩٨٩)

وفــي تعريفات حديثة للدبلوماســية جــاء فيها.. أنها إدارة العلاقات الدولية عن طريق التفاوض وليــس عــن طريــق الدعايــة أو اللجــوء إلــى اســتخدام الأدوات القتالية، وبالوســائل السلمية الأخرى بما فيها توافــر حسن النوايا التي تدفع نحو التفاوض، وفــي تعريف آخر .. أنها إدارة العلاقــات بين الدول وبين غيرها من الأطراف الفاعلة من غير الدول. (Barston, ١٩٧٧)

والتعريف الأخير وقد أعطى الأطراف الفاعلة من غيــر الدول أهمية، في مقاربــة جديدة، في ممارسة الدبلوماسية. وبالرغم من أن تعريفات الدبلوماســية التــي أوردهــا كل مــن الأســتاذ (ســاتو)، والأســتاذ (نيكلسون) قد ركزت على الدولة بوصفهــا الطرف الوحيــد الذي يمارس الدبلوماســية، واســتندت إلــى فلسفــة لا عنفية فــي إدارة العلاقــات الدوليــة، فــإن التعريفات

المعاصرة قـد خرجت عن الإطـار الحصري للدولة وأعطت الأطراف الفاعلة من غير الدول مساحة واسعة في ممارسة الوظيفة الدبلوماسية.

وقد عرضت (مادلين أولبرايت) تعريفاً موسعاً للدبلوماسـية بالقول: " الدبلوماسـية لا تمارس من أجل الدبلوماسية؛ إنها وسيلة لإحداث تغيير فـي النظام القائم، سـواء بإقامة صداقات جديدة أم إصـلاح الخلافـات مع الأصدقـاء القدامى، أم إيجاد طرق سـلمية لاسـتيعاب قوة صاعدة، لكن قـد تكون أكثر فائدة عندمـا يكون الطريق أكثـر وعـورة؛ فتمهـد الطريق لكـي يتعايش المتخاصمون". (أولبرايت، ٢٠٠٨)

وبالرغم من الترابط بين وظيفة الدبلوماسـية والأدوات السلمية في تنظيم العلاقات بين الدول، فإن الدبلوماسـية والحرب ليسا منفصلين تماماً، وحسب (كوفيس رايت)، " إن الدبلوماسية تعمل لخلق ظـروف ملائمة للحـرب وللمساعدة في كسب الحرب واسـتخلاص أقصى ميزة لكسب الحـرب أو تقليل ما قد يترتب على خسارتها"، وسـتخلص"الى أن الدبلوماسية مكملة للحرب، وهي أيضاً، وفي بعـض الظروف بديل عنها" (شلبي، ١٩٩٧) ، أو كما عبر(ريتشارد هاس) " إن الدبلوماسـية يمكن أن تصنع الفارق ، لكن إذا أصبحت دولة ما قوية ، وراغبة في استخدام قوتها ، وإذا أصبحت دولة أخرى ضعيفة، وأقل قـدرة علـى اسـتخدام القوة ، أو أقـل رغبة في اسـتخدام ما يتوفر لها من قوة ، سوف يتضاءل بشكل ملحوظ قدرة الدبلوماسـية على ممارسـة دور فاعل" . (هاس، ٢٠١٨)

وتستمد الدبلوماسـية محتواها أيضاً من خلال إطار مؤسسي مثل ميثاق الأمم المتحدة، واتفاقية فيينـا للعلاقـات والحصانات الدبلوماسـية لعام ١٩٦١التي تقـوم على مبادئ السيـادة وتقرير المصيـر والديمقراطيـة. (العطيـة، ١٩٨٧) ، يطلـق عليهـا " الدبلوماسـية البرلمانية " أو " دبلوماسـية المنظمـات الدوليـة ، وهـي أقرب الدبلوماسيات إلى الرأي العام وإلى مزاجه بحكم العلنيـة التي تسود أعمالها وهي تعمل في نطاق الدبلوماسية ، و تخاطب الرأي العام الدولي.

والتعريفات المختلفة التي قيل بها للدبلوماسية، وإن اختلفـت حسـب الزاوية التـي يركز عليها صاحـب التعريـف، إلا أنهـا تتفق فـي تحديد مفهوم الوظيفة الدبلوماسـية بالأشـخاص الذين يتولونها وواجباتهم التي ترتكز على عنصرين، الأول: أن العلاقـات الدوليـة لا تقـوم إلا بيـن الدول، ويترتب على ذلك أن القواعد التي تحكم الوظيفـة الدبلوماسـية تخضع لأحكـام القانون الدولـي العام. أمـا العنصر الثانـي: فيتمثل في مبدأ المساومة والتوفيق بين مصالح أشـخاص القانون الدولي العام بطرق سـلمية. (سـرحان، ١٩٦٨)

وفـي مقارنة في الأسـاليب بين الدبلوماسـية التقليدية والدبلوماسية المعاصرة، يقول (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكي الأسبق: " وإذا كانت الدبلوماسـية القديمة قد أخفقت أحياناً في توفير الدعم لقوى سياسية جديرة أخلاقيات، فإن الدبلوماسـية الجديـدة تخاطر بتدخل مطلق دون تمييـز غير معطوف على الاسـتراتيجية، تعلن شعارات أخلاقية مطلقة لجمهور عالمي". (كيسنجر، النظام العالمي - تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، ٢٠١٦)

لقـد اقتـرن دخول القـرن العشريـن بعوامل مستجـدة أثرت تأثيـراً على أسـاليب التفاوض الدولـي ونظرياتـه، كان في مقدمهـا نمو روح

المصالـح المشتركة بين الأمـم وازدياد التقدير للرأي العام، والزيادة السريعة في وسائل وطرق المواصلات، ورسائل الاتصالات الحديثة التي قربت المسافات، ووسـعت من قنوات التواصل بين الشعوب والأمم. (نيكلسون، ١٩٥٧)

والحـق، إن فكـرة المصالـح المشتركة بين الأمـم التي نشأت فـي القـرن العشرين جاءت في أعقـاب مرحلة كانت فيهـا الحقوق القومية المطلقة الأسـاس في بناء النظرية الدبلوماسية، إذ تم إعطـاء الرأي العام المكانـة والتقدير في مشاركتـه للسلطة في صناعة القرار السياسـي الخارجي، والمصادقة علـى الاتفاقيات الدولية التي تبرمها، وإخراجها من طابعها السري إلى سـمتها العلنية. ولم يقتصر التحول في محتوى النظرية الدبلوماسية في تركيز الاهتمام بالرأي العام المحلي حسب، بل وتعداه إلى الرأي العام العالمي بعد أن وجدت الحكومات أن سياسـاتها الخارجيـة تتوقـف علـى كسـب تأييـد الرأي العام العالمـي، فنشأت ما يسمي بالدبلوماسـية المعاصـرة التـي امتلكـت سـمات وخصائص أساسـية في (العلنية، الجماعية ، لا سياسـية ، الشاملة ، والشعبية) ، لها من الأهداف والأساليب التي تختلف عن الدبلوماسية التقليدية التي كانت أرسـتقراطية فـي طبيعتها وأهدافها وأسـاليبها (زكي، ١٩٩٢، الصفحات ٧٠ -٧٢)، وهو ما سنتناوله بالبحث في المطلب الثاني.

المطلب الثاني :

الدبلوماسية الشعبية – إطار مفاهيمي ونظري

تفترض الدبلوماسية الشعبية عملية اتصال مفتوحـة، تقـوم على مبـدأ الدعايـة ومخاطبة الجمهـور، تتوزع أنشطتها فـي مجال الإعلام والتعليـم والثقافة، بهـدف التأثير على سـلوك الحكومـات الأجنبيـة مـن خـلال التأثيـر في مواطنيها.

إن الدبلوماسـية الشعبيـة التـي تعـد إحـدى أشـكال الدبلوماسـية المعاصـرة، تعبـر عـن نشاط هـادف غير حيادي مركـب له مضامين ثقافيـة وحضاريـة وأيدولوجية، يرتبـط بأبعاد اسـتراتيجية فـي ممارسـة وظيفـة الاتصال، وبمصالح سلطوية تتعلق بممارسة عمل يرتبط بنمـاذج إدارة السمعـة بهـدف تحسين صورة الدولة، وكسب التأييد والقبول لأهداف سياستها الخارجية لدى مجتمعات الدول الأخرى.

أولاً: نشـأة الدبلوماسية الشعبية الأمريكية – مدخل تاريخي.

لا يوجـد اتفـاق بين خبراء السياسـة والباحثين حـول تعريف محـدد، جامع مانع للدبلوماسـية الشعبيـة، هل هو عملية حشد التأييد لسياسـات الدولـة من قبل الجماهيـر الأجنبية؟ أو هل هو الترويج لصـورة بلد ما في الخـارج؟ وما هي الأنشطة التي تمارس في الدبلوماسـية الشعبية؟ قـد يتبادر إلـى الذهن برنامجـان معروفان في ممارسـات السياسة الخارجية الأمريكية كانا قد عبرا عن معنى الدبلوماسية الشعبية هما: إذاعة صـوت أمريكا، وبرنامج فولبرايت، أوكليهما. وإذ أن مصطلـح الدبلوماسـية الشعبيـة قد نشأ فـي الولايات المتحـدة الأمريكية، وهو متداول العمـل بـه في عمـوم دول العالم، فـإن تطوره التاريخي سيوفر خلفية تعريفه الصحيح وتقدير دوره الحيـوي فـي إنجاح السياسـة الخارجية. (Roberts, Fall ٢٠٠٧)

يعـد مصطلـح " الدبلوماسـية الشعبية" حديث

فـي نشأتـه، قديم فـي اسـتخدامه كفكـرة، فقد أطلـق هـذا المصطلـح لأول مـرة مـن قبـل الدبلوماسـي الأمريكـي السابـق، وعميـد كلية القانـون والدبلوماسـية فـي جامعـة (توفتس) (إدموندغيليـون). وبعد إنشاء مركـز (إدوارد مورو) للدبلوماسـية الشعبية في كلية (فيلتشر) صـدر منشـور ورد فيـه تعريف للدبلوماسـية الشعبيـة على أنها " الأداة التـي تتناول التأثير فـي المواقف الشعبيـة في عملية إعـداد وتنفيذ السياسـة الخارجيـة، تتضمـن أبعـاد مستجدة للعلاقـات الدولية بشكل يتيـح تدفق المعلومات عبـر الحـدود الوطنيـة ". وفي عـام ١٩٩٧، قامت مجموعـة التخطيط والتكامـل في وكالة المعلومات الأمريكيـة بالتفريق بين مفهومي " الدبلوماسـية الشعبيـة" و" العلاقـات العامة"، ففيمـا يتجه غـرض الدبلوماسـية الشعبية نحو السعي لتعزيز المصالح القومية من خلال إعلام وفهم المجتمعات الأجنبية الأخرى والتأثير فيها، فـإن " العلاقات العامة" تعنـي العلمية التي يتم فيها التواصل مع وسـائل التواصل الاجتماعي والمؤسـسات الإعلامية للتأثير في الرأي العام المحلـي". (Charles Wollf and Brain Rosen, ٢٠٠٤)

وفـي جانـب اسـتخدام فكـرة الدبلوماسـية الشعبيـة، جـاءت أفكـار الرئيـس الأمريكـي (وودرو ويلسون) التي عبـر عنها في المبادئ الأربعة عشر في ٨ كانون الثاني ١٩١٨ لتعلن عـن مغـادرة الدبلوماسـية السريـة التي كانت تمارسها فرنسا وبريطانيا في إطار نظام توازن القـوى قبـل نشوب الحـرب العالميـة الأولى، ولتعـزز (قيم الديمقراطيـة، والأمن الجماعي، وعلنية المعاهدات الدولية، وحق تقرير المصير للشعوب، وفض المنازعـات الدولية قضائياً)، ولتؤسـس أحد أسـس نشـأة فكرة الدبلوماسـية الشعبية لاحقاً. وفي القرن العشرين الذي ارتقت فيه الولايات المتحدة الأمريكية المسرح الدولي، فقد أوقعت نفسها بيـن موقفين متناقضين حيال الدبلوماسـية، أولهما: إنها ستستخدم قيمها على أحسن وجه عبـر تطبيقها للديمقراطية في عقر دارهـا، وثانيهمـا: إن القيـم الأمريكية تفرض علـى البـلاد التزاماً فـي نشرها حـول العالم، الأمر جعـل الفكر السياسـي الأمريكي يتذبذب بين الانعزال والتدخل. (كيسنجر، ١٩٩٥)

لقـد شـكل انتهاء الحـرب العالميـة الأولى إيذانـاً بمولد تطـور جديد في نطـاق العلاقات الدبلوماسية أطلق عليها الدبلوماسية الحديثة بعد أن اعترى الضمور الدبلوماسـية التقليدية التي كانت سائدة قبل الحرب العالمية الأولى، نتيجة لما أصبح لزامـاً على الحكومات أن تأخذ بعين الاعتبـار الرأي العام المحلـي قبل الإقدام على رسم السياسـة الخارجية، فظهرت الدبلوماسية العلنيـة أو المفتوحـة ، وعلنيـة المعاهـدات وتسجيلها لدى المنظمات الدولية التي تم التعبير عنه في المادة (١٨) من عصبة الأمم ، والمادة (١٠٢) مـن ميثاق الأمم المتحـدة ، إذ لا يكون لأي اتفاق دولي قوة إلزامية قبل أن يتم تسجيلها وذلك لضمان التمسك بالاتفاق أمام أي فرع من فروع الأمم المتحدة (سرحان، ١٩٧٤، صفحة ٢٢) ، وهـو مـا دفـع الحكومات إيـلاء الرأي العـام أهميـة متزايدة، بهدف إضفـاء الشرعية علـى عملية اتخاذ القرار، وأن تتسم سياسـاتها بالمصداقية والشفافية. (شتال، ٢٠١٩)

يقـول (هانـس مورغنثـاو)، أبرز منظري منهج القـوة في العلاقات الدوليـة، في إظهاره لأهميـة ودور الدبلوماسـية الشعبيـة: " حتـى

تكون الحكومة ناجحة في السياستين الخارجية والداخلية، ينبغي أن تعترف بأن التنازع بين متطلبات إعداد سياسة خارجية ناجحة وتفضيلات الرأي العام، حالة طبيعية، من غير الممكن تفاديها" (Morgenthau, ١٩٩٣)

ونتيجة للتشوهات التي أصابت صورة الولايات المتحدة الأمريكية وسمعتها ومكانتها العالمية بسبب اعتقاد طيف واسع من شعوب العالم عما الحقته سياسات التفرد الأمريكية من أضرار كبيرة أكثر مما حققته من منافع ، وبأن حافز التغيير في شكل الدبلوماسية الشعبية جاء ليوافق ما ذهب إليه (مورغنثاو) الذي عد الرأي العام عاملاً أساسياً في عملية إعداد وتنفيذ السياسات سواءً كانت خارجية أم داخلية ، على افتراض أن الدبلوماسية الشعبية هي عملية اتصال سياسي تتم بين حكومة أو منظمة غير حكومية مع جمهور أجنبي يكون موضوعها في الغالب مرتبطاً بالصراعات حول السياسة الخارجية الأمريكية بعد أن انغمست الولايات المتحدة الأمريكية في سياساتها بتفصيلات تتعارض مع تفضيلات دول أجنبية قد تضررت بسببها.

وفي اثناء حقبة الحرب الباردة سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى التأثير في الرأي العام في دول آسيا و أوربا الغربية في مواجهة المد الشيوعي، فقد شكل الرئيس الأمريكي (دويت إيزنهاور) في آب من عام ١٩٥٣ (وكالة الاستعلامات الأمريكية USIA) ، كانت وظيفتها تنشيط (الدبلوماسية الشعبية) ،التي واستمر عملها للمدة بين عامي ١٩٥٣ لغاية ١٩٩٩ ، إذ تم إلغاؤها وتحويل وظائف في تبادل المعلومات إلى وكيل الوزارة لشؤون الدبلوماسية الشعبية في وزارة الخارجية. (United States Information Agency، ٢٠١٩)

وبعد أحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١، واجهت الولايات المتحدة الأمريكية انتقادات شديدة حتى من أقرب حلفائها من الأوربيون بسبب سياستها الخارجية ومقاربتها في التفرد في اتخاذ القرارات في الشأن العالمي (Go- it alone -) ، ما عدا إدارة الرئيس (جورج ووكر بوش) ، لترميم صورة الولايات المتحدة الأمريكية ، واسترجاع مكانتها في القيادة العالمية للإعلان " من أن العالم بعد ١١ أيلول أصبح عالماً آخر ، وأن الدبلوماسية التقليدية لم تعد دائماً الاستراتيجية الملائمة" ، وما عبرت عنه وزيرة الخارجية الأسبق (كوندوليزا رايس) من أنه " بات من الواضح عدم ملائمة العقيدة الأمريكية وسياساتها في مواجهة التهديدات الجديدة " . (Rice, ٢٠٠٧)

وبعد إلغاء وكالة الاستعلامات الأمريكية، تم دمج أنشطة الدبلوماسية الشعبية ضمن مهام وزارة الخارجية. وبموجب رؤية الوزيرة (رايس) في إطلاق مفهوم (الدبلوماسية التحويلة)، فقد أصبحت الدبلوماسية الشعبية جزءً مكملاً من الأخيرة، وليتضمن إطارها الاستراتيجي مجموعة من الأهداف تتمثل في: (تعزير الشعور بأهمية المصالح والقيم المشتركة مع شعوب البلدان الأخرى، عزل وتهميش الجماعات ذات الأفكار المتطرفة، وتعزيز الأمل والرؤية الإيجابية بالقيم الأمريكية في المساواة، والكرامة والقيمة العليا للإنسان).

Kennon H. Nakamura and Susan) (B. Epstein, ٢٠٠٧)

والحـق، ومـن خـلال اسـتعراض الوقائع التاريخيـة، فإنـه يمكـن ملاحظة وجـود صلة قوية بين الحروب العالمية والبرامج الإعلامية الأمريكيـة التي نفذتهـا الوكالات المتخصصة، فقد أنشأت لجنة إعـلام ((Committee CPI of Public Information للفتـرة مـن عـام (١٩١٧ -١٩١٩) فـي الحرب العالمية الأولى. وشـكل مكتب معلومات الحرب ((The OWI Information Office of War للفتـرة من عام (١٩٤٢– ١٩٤٥) في الحرب العالمية الثانيـة، فضلاً عن تأسـيس وكالـة المعلومات الأمريكيـة (UAIA) للفترة مـن عام (١٩٥٣ – ١٩٩٩) فـي الحرب البـاردة التي تم دمجها بوزارة الخارجية بعد حوالي عشرة سنوات من انهيـار الاتحاد السوفيتي، إذ باشـرت خطواتها الأولـى لتوسـيع أنشطتها في العالم الإسـلامي كجزء من جهود الولايات المتحدة الأمريكية لما تم تسميته (الحـرب على الإرهاب). وتاريخياً، كان الغرض المعلن من هذه البرامج الإعلامية يتمثل في عرض ما توصف بـ (الحقائق) حول الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها الخارجية فـي مواجهة حـالات التشويـه والتضليل التي تصدر عن خصومها. (John, ٢٠٠٢)

ثانياً: الدبلوماسـية الشـعبية الأمريكية – مقاربات مفاهيمية.

تعـد الدبلوماسـية الشعبيـة مجـالاً جديـداً وواسعاً، وهي مفردة تعني اصطلاحاً بأنها البعد العام والتفاعلي للدبلوماسـية، ليس بأشـخاصها التقليدين من الدول حسب، بل أنها تشمل العديد من الأطراف الفاعلة والشبكات غير الحكومية، وهـي آلية رئيسة تقوم من خلالها الدول بتعزيز الثقة المتبادلة والعلاقات المنتجة التي أصبحت حاسـمة في بنـاء بيئة عالمية آمنة. لقد شـهدت العلاقات الدولية المعاصرة، تحت تأثير العولمة، تغيراً ملموسـاً تمثل فـي إزالة احتكـار الدولة للسياسة الخارجية بعد أن امتلكت أطراف فاعلة غير حكومية قدرة التأثير في صورة الدولة في الخـارج بما توفر لهم تكنولوجيا المعلومات من آليات اتصال مختلفة.

والحـق، إن عـدم وجود تعريـف واحد متفق عليـه للدبلوماسـية الشعبيـة، والنقـص فـي الإجمـاع، يثبـت حداثة هـذا المصطلـح، وإن كانت له استخدامات قديمة في السياسة الدولية. والتأثيـر فيه". فقـد عرفـت وزارة الخارجية الأمريكيـة الدبلوماسـية الشعبيـة بأنه " برامج تمولهـا الإدارات الأمريكية تهـدف إلى إعلام الـرأي العام في الخارج ". وسـرعان ما بسط هذا المصطلح هيمنته على السياسـة الخارجية الأمريكيـة ووفر الأسـاس النظـري للأنشطة الخارجيـة لوكالـة الاسـتخبارات الأمريكيـة، ووكالة الاسـتعلامات الأمريكيـة التي عالجت نشـر المعلومـات، والبث الإذاعـي الذي تولته إذاعة (صوت أمريكا) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيـة، التي تم تعريفها لـدى الرأي العام على أنها شـكل من أشـكال الدعاية، اكتسب دلالات سـلبية، مـا أدى بالوكالة المذكـورة أن تعترف بـأن مصطلح الدبلوماسـية الشعبيـة يعد وصفاً لنشاطها الرسمي. (Charles Wolf Jr. and Brain Rosen، ٢٠٠٤) . وعرفهـا (ميشيـل ماك كليـلان) بأنها " التخطيط الاسـتراتيجي، وتنفيذ البرامـج المعلوماتية والثقافية والتعليمية للدولة المبادرة، في سبيل إيجاد رأي عام مؤيد، في البلد أو البلدان المستهدفة، قادر على التأثير السياسـيين في الزعماء السياسيين تدعم أهداف السياسـة الخارجية للبلد المبادر تتجاوز مفهوم الدعاية". (McClellan, ٢٠٠٤)

وفي سياق التعريف السابق، فإنه يمكن رسم هرم تشكل قمته النقطة الحاسمة التي يتخذ القادة السياسيون، في البلد المستهدف، إجراءات ملموسة داعمة لأهداف السياسة الخارجية للبلد صاحب المبادرة التي هي بحاجة إلى قدر معين من الدعم السياسي من بيئة الرأي العام المحلي المستند إلى استراتيجية الدبلوماسية الشعبية التي هي قاعدة الهرم.

ويصف الدبلوماسي (جون براون) الدبلوماسية الشعبية الأمريكية على أنها « عملية تنطوي على ثلاثة أدوار» المعلومات والتعليم والتبادل الثقافي». (Elena Gurgu and Arștide Dumitru, ٢٠١٦)

وقدمت (كارين هيوز) وكيلة وزارة الخارجية الأمريكية في إدارة الرئيس (جورج ووكر بوش) تعريفاً بأنها" برامج إشراك، وإعلام، والتأثير في الجماهير الدولية المستهدفة وجذب تأييدها نحو السياسة الخارجية الأمريكية"، وحددت (هيوز) معايير تحقق ما أسمته (لحظة الدبلوماسية الأمريكية) عندما يرغب أفراد مجتمعات الدول الأخرى في الاستماع والدخول في حوار مع الولايات المتحدة الأمريكية. (Brown, ٢٠١١)

وجاء في تعريف المجلس الاستراتيجي لبريطانيا العظمى للدبلوماسية الشعبية على أنها " نشاط يسعى للتأثير إيجابياً عن طريق إيجاد علاقات وشراكات وتصورات للأفراد والمنظمات في الخارج حول المملكة المتحدة". وفي الواقع أن الدبلوماسية الشعبية تتعلق ببناء العلاقات، وفهم احتياجات الدول وثقافات الشعوب الأخرى، وإيصال وجهات النظر، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، والبحث في إيجاد قضايا مشتركة، وأن ما يميز الدبلوماسية الشعبية أنها تضم مجموعة أوسع بكثير من الأفراد لدى كلا الجانبين، ومجموعة أوسع من المصالح تتجاوز مصالح الحكومة. (Mark Leonard , Catherine Stead , Conrad Smewing, ٢٠٠٢)

وتوصف الدبلوماسية الشعبية بأنها انعكاس لتأثير المواقف العامة في تشكيل وتنفيذ السياسة الخارجية، وتتضمن أيضاً) القدرة على تشكيل الرأي العام في بلدان أخرى، التفاعل بين مجموعات المصالح من مختلف الدول، إطلاع أفراد المجتمع على الشؤون الدولية وتأثيرها في السياسة الداخلية، التواصل بين الدبلوماسيين والصحفيين الأجانب، التواصل بين الثقافات). (Elena Gurgu and Arștide Dumitru, ٢٠١٦, p. ١٢٦)

وطرح (بوريس غريغوري) مفهوماً واسعاً للدبلوماسية الشعبية، فهي كما يراها، " أداة تستخدمها الدول وبعض الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية لفهم المواقف والسلوك، وبناء وإدارة العلاقات، والتأثير في الأفكار وتعبئة الإجراءات لتعزيز مصالهم وقيمهم. أنه استعارة لإضفاء الطابع الديمقراطي على الدبلوماسية، إذ تمارس جهات فاعلة متعددة دوراً، كان ذات يوم مقتصراً على بعضها بشكل أصبح التعاون مع من هم خارج الحكومة في هذا المجال شرطاً ضرورياً لنجاح الدبلوماسية ". (Gregory, ٢٠١١)

وجادل (كريستوفر رووس) في أهمية الإنصات كعنصر أساس في عمل الدبلوماسية الشعبية من قبل الطرف المستهدف والآخر صاحب الرسالة أو الخطاب في سبيل تحقيق الأثر المطلوب في

معادلة التأثير، إذ قال: " إن على الدبلوماسيين أن يدركوا أنه ليس المهم ما يسمعه المرء، بقدر ما يسمعه الآخر في النهاية"، فضلاً عن ذلك أن ما يسمعه الناس والطريقة التي يسمعون بها، هي غالباً ما تحدد تصوراتهم عن الرسائل التي توجه إليهم. (Ross, Spring ٢٠٠٢)

أما (ماثيو أرمسترونغ)، فيقول: " أن الدبلوماسية الشعبية لا تعني إحداث تغيير في الرأي العام بشكل انفرادي، ولكن، في إشراك استباقي لجمهور عالمي لإسناد السياسة الخارجية، الذي يبقى وحده قادراً على التأثير في الرأي العام ". (HAYDEN, ٢٠١٢)

وجاء وصف وزارة الخارجية الأمريكية لحدود مهمة الدبلوماسية الشعبية، في أن " مهمتنا الواسعة في الدبلوماسية الشعبية هي فهم الجماهير الأجنبية وإعلامها وإشراكها والتأثير فيها. كل هذه الأنشطة تعمل بشكل أفضل عن طريق الحوار، بدلاً عن الإملاء، وهي أكثر من مجرد تفاعل، إنها نهج كلي وموقف. (Glassman, ٢٠٠٨)

وتشير عدد من الدراسات في حقل الدبلوماسية أنه لا يمكن فهم الدبلوماسية الشعبية إلا إذا تم تحليلها في سياق التغيير في العملية الأوسع في ممارسة الدبلوماسية. وأنها أصبحت فيه أقل تمسكاً بأهداف وطنية، ليس فيما يتعلق بالجهات الفاعلة المعنية، ولكن حتى عند النظر في الموضوعات التي تختارها الدول التي لم تعد تؤكد دائماً على المصالح الخاصة، بل أنها أخذت في التأكيد بشكل متزايد على المصالح المشتركة والمنافع العالمية العامة. ومن المثير للاهتمام أن الدبلوماسية الشعبية في بداية القرن الحادي والعشرين أخذت بالابتعاد عن المنظور الترويجي المباشر وبات ينظر إليها على أنها شكل من أشكال المشاركة الدبلوماسية، وجزء من تعاون أوسع مع أطراف فاعلة أخرى من غير الحكومات، بالرغم من أن العمل مع البعض هو أسهل من مزامنة الأهداف والأنشطة مع آخرين. (Melissen, Beyond the New Public Diplomacy, ٢٠١١)

لقد شعرت الولايات المتحدة الأمريكية، اثناء حقبة الحرب البادرة، بالحاجة إلى تنفيذ برنامج خارجي موجه للإعلام في عهد الرئيس (ترومان)، تم توسيعه وتصحيحه، في وقت لاحق، في عهد الرئيس(إيزنهاور)، إذ شمل التحول الانتقال من هدف قصير الأجل يتعامل مع مواقف معينة، إلى هدف طويل الأجل يسعى إلى تعزيز النوايا الحسنة في التنمية ونشر مفاهيم الديمقراطية والحريات الفردية تجاه شعوب الدول الأخرى المستهدفة في أوربا الغربية والشرق الأوسط. وكانت الأساليب المعتمدة قد ركزت على فئتين من الجمهور هما: قادة المجتمع المتعلم، في المقام الأول، من ناحية، وبقية أفراد المجتمع من ناحية أخرى، كخيار ثان. إن برامج الدبلوماسية الشعبية الأمريكية التي أطلقت خلال حقبة الحرب الباردة، وتم إحياؤها بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ جاءت في سبيل الحد من موجة العداء الذي كانت تواجهه الولايات المتحدة الأمريكية. (Cross, ٢٠١٥) ولعل من بين أهداف الدبلوماسية الشعبية الأمريكية، لتحقيق التأثير في مجتمعات الدول الأخرى، العمل بفكرة " كسب القلوب والعقول". غير أن هذا المفهوم لم يقتصر استخدامه في ميدان العمل الدبلوماسي، إذ انتقل بذات الصياغة والأهداف إلى ميدان العمل العسكري عندما قام الجنرال

(جيمس ماتيس) وزير الدفاع الأمريكي السابق، والجنرال (ديفيد بيترايوس) قائد العمليات العسكرية في كل من أفغانستان والعراق بصياغة عقيدة عسكرية لمواجهة عمليات جماعة طالبان المعارضة للاحتلال الأمريكي في أفغانستان. فبحلول عام ٢٠٠٦ أنتجت التدخلات الأمريكية انتصارات أسمية ضد طالبان، غير أن أقوى جيش على هذا الكوكب وجد نفسه غارقاً في بناء الدولة وسط ارتفاع التمرد المسلح. ورداً على ذلك قام (ماتيس) و(بترايوس) بتطوير الدليل الميداني لعمل القوات الأمريكي الذي أضفى طابعاً رسمياً على عقيدة أكدت على كسب قلوب وعقول المدنيين، بدلاً من مجرد هزيمة الأعداء في ساحة المعركة. (Sexton, ٢٠١٧)

وكان الرئيس الأمريكي (ليندون جونسون) قد استخدم عبارة " كسب القلوب والعقول" بالقول: " يجب أن نكون مستعدين للقتال في فيتنام، ولكن النصر النهائي سيعقد على كسب قلوب وعقول الناس الذين يعيشون بالفعل هناك"، وأصبح أخيراً شعاراً لسياسة لم يطبقها الجيش الأمريكي في فيتنام، فيما كان الرئيس (باراك أوباما) يخوض حربين موروثتين، وكان يمارس مهمة شاقة في التواصل مع المسلمين، ولم يكن هذا المفهوم أكثر أهمية على الإطلاق، بعد أن فقد الكلمات كل معنى. لقد أصبح لعبارة " كسب القلوب والعقول"، في السنوات الأخيرة، مرتبطة بشكل، لا يمكن إغفاله، بتحديات السياسة الخارجية الأمريكية التدخلية، بعد أن كانت له حياة طويلة ودائرية ارتبطت لأول مرة بالديمقراطية في القرن التاسع عشر، وكانت تعبر عن دعوة للتضامن الوطني في فترة الكساد الكبير في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين.

لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تنظيم روافد تصب في نهر معركتيها الرئيستين في أفغانستان والعراق، وكان من تلك الروافد المؤسسات الثقافية والإعلامية، غير أنها كانت تشكو من الجفاف والعجز عن تقديم أي خدمة، أو التأثير في المجتمعات التي عملت فيها رغم الأموال الكبيرة التي أنفقت عليها بسبب اعتمادها على شخصيات أمريكية ومحلية فاشلة وفاسدة في البلدين. (DiCKINSON, ٢٠٠٩)

إن الولايات المتحدة الأمريكية ليست بحاجة إلى تعديل في آليات تنفيذ السياسات الخارجية، بقدر احتياجها لتعديل السياسات الخارجية ذاتها، وأن الغرض ليس في توسيع المقبولية الشعبية في الخارج، ولكن المصلحة القومية الأمريكية هي من تتطلب عمل ذلك، إذ في الإجمال، أن مشكلة تشوه صورة وسمعة الولايات المتحدة الأمريكية، لم تعد إقليمية في حدود نطاقها المكاني، وإنما اتسعت إلى النطاق العالمي، وهو ما يعني ضرورة حصول تكامل لمتطلبات الدبلوماسية الشعبية مع أسس السياسة الخارجية في المقام الأول. (Peterson, ٢٠٠٢)

والسؤال الذي يمكن طرحه هو، ماهي النتائج التي يمكن توقعها من الدبلوماسية الشعبية بوصفها نشاط إنساني لا يمكن تقدير فاعليته بدقة بالاستناد إلى الإحصاءات والبيانات الأولية التي تعرض ما أنجزته الدبلوماسية الشعبية في تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية، وما تضمنته من تناقضات؟ إذ يكشف تحليل محتوى المقالات والدراسات المنشورة في وسائل الإعلام الأجنبية عن مشاعر مناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، فيما تؤشر الانطباعات التي

يعبر عنها الدارسين في الجامعات الأمريكية ، والمشاركين في المؤتمرات والندوات وورش العمل وزائري المهرجانات والمعارض الفنية المتخصصة عن انطباعات إيجابية مغايرة لمدى التأثير الذي تحدثه الدبلوماسية الشعبية في قناعات الشعوب الأخرى تجاه الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها الخارجية. (Brown, The Purpos and Cross Purpose of American Public Diplomacy, ٢٠٠٢) ، وهو ما سنتناوله في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

الدبلوماسية الشعبية الأمريكية وتحديات تراجع الصورة والمكانة العالمية :

تتابع الدول مصالحها الوطنية في السياسة الخارجية. وتتحدد الخيارات على أساس اتساع أو ضيق المصالح الوطنية. وتعتمد جاذبية الولايات المتحدة الأمريكية بشكل كبير على القيم التي تعبر عنها من خلال السياسة الخارجية وأسلوبها. وتعتمد القوة الناعمة في تحقيق عنصر الجذب على حشد وتعاون الآخرين من دون اللجوء إلى استخدام وسائل القوة، وأن قياس فاعلية الدبلوماسية الشعبية يعتمد في القدرة على توظيف القوة الناعمة أداة جذب الآخرين في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية.

المطلب الأول

القوة الناعمة واستراتيجية القوة الذكية الأمريكية :

تعاني الولايات المتحدة الأمريكية من مشاكل كبيرة في صورتها الخارجية وتدهور في سمعتها لدى الرأي العام في دول منطقة الشرق الأوسط، إذ ينظر إليها أنها بلد مهيمن رغم أنها تسعى إلى نشر الثقافة والعولمة، فهي تدعم أنظمة غير ديمقراطية، وقامت باحتلال بلد عربي هو العراق بزعم امتلاك أسلحة دمار شامل، والعمل على بناء نموذج للديمقراطية في المنطقة تحت غطاء من الفوضى الخلاقة. لقد أدت كل هذه التحديات إلى شل فاعلية الدبلوماسية الشعبية الأمريكية، وتعذر تحقيق هدف كسب العقول والقلوب، ما أضطر الولايات المتحدة الأمريكية إلى إطلاق برامج تبدو جاذبة في مظهرها، ومتعثرة في خطواته لأسباب تتعلق بالوسائل والآليات والموارد المالية المطلوبة لتنفيذها.

أولاً: الدبلوماسية الشعبية الأمريكية والقوة الناعمة.

لم يعد سعي الدولة في تحسين صورتها في البيئة الدولية بالشيء الجديد، غير أن توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية قد أحدث تحولاً كبيراً في مسار العلاقات الدولية بعد وصلت الدول إلى قناعة بأن نموذج التنافس المستند إلى الدعاية، الذي كان سائداً بين القوتين العظميين اثناء حقبة الحرب الباردة، لم يعد مناسباً كدليل للدبلوماسية الشعبية، وذلك لافتقاده إلى معلومات تتصف بالدقة والصدقية في مخاطبة مجتمعات الدول الأجنبية، في ظل ظروف تبدو فيها السياسة الدولية تتسم

بالغموض والاضطراب، وحالة من عدم اليقين.

توصف القوة الناعمة بأنها « قدرة الدولة على حشد تعاون الآخرين»، وأن قياس فاعلية القوة الناعمة تعتمد على الرأي العام المتشكل في الدول الأخرى عن السياسة الخارجية الأمريكية. (Benjamin Goldsmith and Yusaku Horiuchi, ٢٠١٢)

وتعتمد القوة الناعمة للولايات المتحدة الأمريكية على ثلاثة موارد تتمثل في: الثقافة الأمريكية التي تعني مجموعة قيم عالمية وممارسات ومصالح يشارك فيها الآخرون. وتأتي القيم السياسية التي تمارس في الداخل والخارج، كمصدر ثان للقوة الناعمة، وعناصر جاذبة كالحالة مع دعم حقوق الإنسان وترويج قيم الديمقراطية. أما السياسات الحكومية الداخلية والخارجية، فينظر إليها على أنها مصدر لتعزيز القوة الناعمة عندما تبدو منسجمة مع القيم السياسية، ويراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية وأخلاقية مؤثرة، أو أنها عنصر لتقويض القوة الناعمة عندما تكون سياسات منافقة أو متغطرسة. (ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الخارجية، ٢٠١٢)

وتمتلك الدبلوماسية الشعبية للولايات المتحدة الأمريكية تاريخاً طويلاً بوصفها أداة لتعزيز القوة الناعمة التي كانت ضرورية في كسب الحرب الباردة، فيما يوصف الصراع في مواجهة الإرهاب العابر للحدود بأنه صراع لكسب العقول والقلوب على عكس القوة الصلبة التي لا تعد بالمسار الصحيح لتحقيق النجاح في السياسة (Nye, Public Diplomacy and Soft Power, ٢٠٠٨)

ونظراً لأهمية تحسين صورة الدولة في البيئة الدولية الخارجية، بالرغم بأنها ليست بالشيء الجديد، فإن ظروف توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية قد أحدثت تحولاً كبيراً في السنوات الأخيرة بسبب أن نصف دول العالم توصف بأنها دولاً ديمقراطية بشكل جعل من التنافس الدولي الذي شهدته الحرب الباردة غير مناسباً كدليل للدبلوماسية الشعبية، وذلك لاحتياجها إلى معلومات دقيقة وصدقية عالية عند مخاطبتها الشعوب، وإذا كانت سمعة الدولة مسألة ذاتية، فإن مصداقية السياسات أصبحت مورد قوة مهم في السياسة الدولية. (Nye, Public Diplomacy and Soft Power, ٢٠٠٨, pp. ٩٩ -١٠٠)

وحسب وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق (مادلين أولبرايت)، في وصفها لفن الإقناع في السياسة الخارجية بالقول: « تعلمت في الجامعة أن هدف السياسة الخارجية إقناع الآخرين بعمل ما نريد، أو الأفضل أن يريدوا ما نريد. وتعلمت منذ ذلك الوقت أن على الرئيس ان يستخدم عدداً محدوداً من الأدوات في محاولة ذلك، بعضها إكراهي، وبعضها بعرض المكافئات، وبعضها يتلمس المصالح والقيم المشتركة. ونظراً لأن العلاقات بين البلدان معقد جداً، فإن الإدارات الأمريكية عادة ما تستخدم ائتلافا من هذه الأدوات «. (أولبرايت، ٢٠٠٨، صفحة ٥٥)

ويعتمد معيار قياس فاعلية الدبلوماسية الشعبية على قدرتها في إحداث تغيير في العقول، وليس بقدر الإنفاق المالي. وتؤدي السياسات الداخلية والخارجية إلى تفعيل دور القوة الناعمة في التأثير عندما تستند إلى مواقف تتسم بالصدقية، أو تقويض القوة الناعمة عندما تبدو منافقة، أو

متعجرفــة، أو غيــر مبالية بــآراء الآخرين، أو أنهــا تستند إلى مفهوم ضيــق للمصالح الوطنية يــؤدي إلى انخفاض حــاد في جاذبية السياســة الخارجية واتسامها بعدم الشعبية كما حصل في تنامي رأي عالمي معارض لسياسات الولايات المتحــدة الأمريكية فــي حرب فيتنــام في العام ١٩٧٠، وبعــد غزو العراق فــي العام ٢٠٠٣. (Nye, America Soft Power After Trump, ٢٠١٩)

إن مــا يميز الدبلوماســية الشعبية أنها متعددة الأوجــه، الأول: هرمي مركــزه الدولة يتم فيه التركيز مجددا على الدبلوماسية الشعبية ضمن الصــورة التقليدية للعلاقات الدولية الرســمية، والآخــر نمــوذج شــبكي، يستند إلــى ارتباطها بالقــوة الناعمة في ســياق اتجاهــات أكثر عمقاً بناءً على الطبيعة المتغيرة للدبلوماســية في بيئة السياســة العالمية التي تعمل بها. (Hocking, ٢٠٠٥, pp. ٢٨ -٢٩)

والحق، أن القوة الناعمة لبلد ما لا تعتمد على سياساتها الرسمية فحسب، بل وتعتمد أيضا، على جاذبية مجتمعها المدني. فعندما كان المحتجون خارج الولايات المتحــدة الأمريكية يتظاهرون ضــد سياســة الرئيس (لينــدون جونســون) لم ينشــدوا للشيوعية ، ولكنهم أنشدوا في كثير من الأحيان بنشيد حركة الحقوق المدنية الأمريكية " سنتغلب"، وحتى عندما بدت سياسات الرئيس (ترامــب) لا تتســم بالجاذبية، فإن الأشــخاص خــارج الولايات المتحــدة الأمريكية لا يزالون منجذبيــن إلى الأفلام والجامعات والمؤســسات الأمريكيــة ، فضلاً عن انجذاب كثير منهم إلى ما تتمتع به المحاكم الأمريكية من استقلالية في إصــدار أحكامها، والصحافة الحــرة التي تقف بوجه السلطــة الرئاســية. (Nye, America Soft Power After Trump, ٢٠١٩, p. ٥٢)

وفي إطار الملازمة والترابط بين الدبلوماسية الشعبيــة والقوة الناعمة، يؤكــد (جوزيف ناي) على أن " الدبلوماسية الشعبية ليست بالضرورة تجسيــداً ملازماً للقــوة الناعمــة، إذ يعتمد ذلك على نــوع الموارد والأصــول المخصصة لها مــن الثقافــة والقيم والأصــول، فحتــى أفضل الإعلانات لا يمكنها بيع منتج لا يحظى بشعبية ". (Nye, Public Diplomacy and Soft Power, ٢٠٠٨, p. ١٠٣)،

وبالطبــع، فإن القوة الناعمــة ليست قوة ثقافية حسب، بل إن القيــم التي تدافع عنها الحكومات في الداخل (كالديمقراطية)، وفي (الإنصات إلى المؤســسات الدولية)، وفي السياســة الخارجية (تدعيــم الســلام وحمايــة الآخريــن حقــوق الإنسان)، وهي في مجملها تؤثر في تفضيلات الآخرين التي تمارســها الدبلوماســية الشعبية. (ناي، مفارقة القوة الأمريكية ، ٢٠٠٣)

إن من المهم ملاحظة أن الدبلوماسية الشعبية يمكــن أن تنتج مجموعة واســعة من الأهداف، تتــراوح بيــن أهداف القــوة الناعمــة في مجال التفاوض السياســي، إلى أهــداف القوة الصلبة كالحالــة مــع إدارة التحالف ومنــع النزاعات، والتدخل العسكري. وبغض النظر عن ذلك، فإن الدبلوماســية الشعبية تعد أداة مهمة في ترســانة السلطة السياســية، تتطلب موارد وأصولاً ذات صدقيــة حتــى تتمكــن مــن النجاح فــي تحقيق الأهداف المرجوة. (Melissen, The New Public Diplomacy, ٢٠٠٥, p. ١٤)

ولكـي تحقـق الدبلوماسـية الشعبيـة أهدافها وتحسيـن إداءهـا، فإنه يتوجب على ممارسـي السلطـة السياسـية والحكومـات، العمـل على تعظيـم المـوارد المخصصـة للقـوة الناعمة، وزيادة التركيز على التبادلات الثقافية والتعليمية عبر وسـائل التواصل الاجتماعي والمؤسسات غيـر الحكومية، وأن الأهـم من ذلك، أن تدرك الحكومـات العواقـب التي تنتج عـن عندما لا تفي مـوارد قوتها الناعمـة بمعاييرها. (Nye, Soft Power and American Foreign Policy, ٢٠٠٤)

فـي عصر المعلومـات تنتقل فيها المعلومات على مسـارات غير دبلوماسـية، وتمنح فرصاً لأطراف فاعلة كالشركات العملاقة، ومنظمات المجتمع المدنـي، ومراكز الفكـر التي تتنافس فيهـا مـع الحكومـات للتصرف بشكـل مستقل عنها، أو تسبقها، أو بالتنسيق معها في مسارات الدبلوماسـية غيـر الرسـمية. (Stanzel, Novmber ٢٠١٨)

لقد شـهدت مرحلة مـا بعد الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣ حالة من ازدياد مشاعر العداء للولايات المتحدة الأمريكية. وشـكلت ما أطلـق عليها "الحرب علـى الإرهاب" ضربة مكلفـة لصدقية السياسـات الأمريكية، إذ سـائد اعتقاد واسـع في أوسـاط الرأي العـام الدولي مـن أن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة هي في الغالب قوة إمبريالية، تتسامح مع نفسها، وتتأثر بحساسـية تجـاه الآخريـن. وأظهرت سـلسلة من الاسـتطلاعات التـي أجريـت مؤخراً عن وجود علاقة قوية بيـن القوة الناعمة الأمريكية وسياستها الخارجية. ووفقاً لتلك الاستطلاعات، فـإن خسائر القـوة الناعمـة الأمريكية هي إلى حـد كبير كانت نتيجة لسياسـتها الخارجية غير الجاذبة. فقد أشـار اسـتطلاع معهد (غالوب) ، لحقبـة ما بعد احتلال العـراق، إلى أن ١٥ من أصـل ٢٤ دولـة تـرى أن السياسـة الخارجية الأمريكيـة كـان لهـا تأثير سـلبي على صورة الولايات المتحدة الأمريكية وسمعتها. (Hukil، ٢٠٠٨)

ويعتقـد الباحثـون فـي الدبلوماسـية الشعبية بأن القـوة الناعمة تختنق عندما يتم خنق الثقافة والقيـم والسياسـات، وأن هـدف الدبلوماسـية الشعبيـة لإنتـاج القـوة الناعمة أمـر غير قابل للتحقـق طالما كان ذلك يتعارض مع السياسـة الخارجيـة للدولة، فضلاً عـن أن محتوى ثقافة البلد وقيمه وسياساته إذا كانت تبدو غير جاذبة، فـإن الدبلوماسـية الشعبيـة لا يمكنهـا أن تنتج قـوة ناعمة، وقد ينتج العكـس تماماً. (Hukil, ٢٠٠٨, p. ١٣)

لقـد أدت تراجع مـوارد القوة الناعمة ضمن تخصيصـات وزارة ا لخارجيـة الأمريكيـة إلـى تولـد رأي عـام أوربـي مشكـك بأهداف السياسة الخارجية الأمريكية، إذ أظهرت نتائج اسـتطلاعات الرأي لمؤسـسة (إيروباروميت) فـي أن أغلبية الأوربييـن يعتقدون أن الولايات المتحدة الأمريكية باتت أكثر ميلاً إلى ممارسـة دور سـلبي في محاربـة الفقر، وحمايـة البيئة من التلـوث، وفي صون السلم والأمن العالمي. (Nye, Soft Power and American Foreign Policy, ٢٠٠٤, p. ٢٥٥)

ومـع كل ما تتمتـع القوة الناعمـة من عناصر جاذبـة جعلت مـن الدبلوماسـية الشعبية إحدى مكوناتها، فإنها لم تنجو من سهام النقد، فقد جادل عـدد من النقاد بأن القـوة الناعمة مفهوم مربك

يعاني من عدد من أوجه القصور النظرية، فهي ليست نوعاً من القوة على الإطلاق، إذ إن أي مورد، حتى القوة العسكرية، يمكن أن تكون ناعمة عند تطبيقه في أعمال الإغاثة وفي تقديم المساعدات الإنسانية في الكوارث الطبيعية، على سبيل المثال. كما وأن الرأي الإعلامي، والجمهور الأجنبي، التي غالباً ما تكون أهداف رئيسة للقوة الناعمة، ينظرون إلى القوة على أنها القوة الصلبة ولا يرون وجود تضارب بين الإثنين. وبالنسبة للدول، تعتمد القوة الناعمة إلى حد كبير على القوة الصلبة، وأن جاذبية القوى العظمى في النظام السياسي العالمي بسبب امتلاكها قوة عسكرية كبيرة وقوة اقتصادية وبنية تحتية تكنلوجية. وقد تكون القوة الناعمة لمجتمع ما تكون على العكس تماماً بالنسبة لمجتمع آخر. فالقيم الأمريكية تكون موضع تقدير في أستراليا وكندا ولكن يتم رفضها تماماً في إيران. وإذا كانت لا تزال القوة الناعمة لا تزال مفهوماً صالحاً، فإنه قد يؤدي إلى الطرد بدلاً من الجاذبية، لأن القوة الناعمة تعني "الهيمنة التكنولوجية" و" الإمبريالية الثقافية" التي تزعم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي من تمارسها في العالم، وتؤدي إلى إثارة حالة من الاستياء وحتى الغضب. (Giloba, ٢٠٠٨)

ولعل الضعف في صدقية المواقف الأمريكية قد انعكس سلباً في تحقيق أهداف السياسة الشعبية، إذ افتقرت إلى قابليتها في التصديق والثقة، فقد أثير جدل في أوساط الأكاديميين والسياسيين حول الدور المحوري لصدقية السياسات في نجاح القوة الناعمة التي تعد جزء لا يتجزأ من الدبلوماسية الشعبية، فالمجتمعات تميل نحو القوى الجديرة بالثقة (Nawawy, ٢٠٠٦, p. ١٩٤)، وهو ما افتقدت إليها السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، فقد برر احتلال العراق بامتلاكه أسلحة دمار شامل، وهو تبرير لم يتم إثبات صدقيته.

ثانياً: الدبلوماسية الشعبية الحديثة وإدارة السمعة :

بدأت أدبيات علم السياسة تطرح في السنوات الأخيرة مصطلح الدبلوماسية الشعبية الجديدة. وبالرغم من وجود توافق في مفهوم المصطلح مع التعريفات السابقة للدبلوماسية الشعبية، إلا أنه أستطاع في جذب الانتباه إلى بعض الاختلافات التي شابت النهج في المقاربة الجديدة من حيث العدد المتزايد من الأطراف الفاعلة الدولية غير التقليدية، أو المنظمات غير الحكومية، أو في آليات نقل المعلومات، وفي استبدال المفاهيم التقليدية للدعاية إلى أخرى تعتمد على إدارة السمعة وتوظيف القوة الناعمة ، كأداة رئيسة، بدلاً من التركيز على الهيبة وتحسين الصورة الدولية، والانتقال من النموذج الذي كان يركز على شكل الاتصال العمودي من أعلى إلى أسفل إلى مقاربة اتصالات أفقية (الناس مع الناس).، (Elena Gurgu and Aristede Cociuban, ٢٠١٦)، ,إذا كانت الدبلوماسية الشعبية تعني بإيجاز ، أنها الدعاية ، وإدارة السمعة ، والعلاقات الثقافية الخارجية ، فإن الدبلوماسية الشعبية الحديثة هي مجمل الممارسات الدبلوماسية التي هي أكثر من الدعاية التي يمارسها الدبلوماسيون. (Melissen, The New Public Diplomacy: Soft Powe in International Relations, ٢٠٠٥)

وقد أورد مساعد وزير الخارجية الأمريكية

للدبلوماسية الشعبية (جيمس كلاسمان) تعريفاً للدبلوماسية الشعبية الجديدة، على أنها "عملية توظيف استخدام تقانات الاتصالات الحديثة في عمل الدبلوماسية الشعبية"، بشكل أصبحت غير مقيدة بتعزيز الاتصالات الحكومية المباشرة مع الجمهور العالمي، بقدر قيامها بالتركيز على فتح قنوات حوار وتسهيل التواصل بين أطراف رئيسة غير رسمية داخل البلد وخارجه. (Glassman, ٢٠٠٨). ومن أجل فهم الدبلوماسية الشعبية الجديدة بشكل صحيح، فليس من المفيد التمسك بالصورة السابقة التي كانت سائدة، واحتوتها العديد من الدراسات في موضوع الدبلوماسية، والتي كانت تتساوى فيها الدبلوماسية الشعبية مع الدعاية التقليدية، إذ ستكون الدبلوماسية الشعبية الجديدة مكوناً قياسياً موسعاً للممارسة الدبلوماسية الشاملة التي هي أكثر من مجرد شكل من أشكال الدعاية التي يقوم بها الدبلوماسيين لمصلحة بلدانهم. صحيح أن وزارات الخارجية لاتزال تكافح من أجل وضع هذا المفهوم موضع التنفيذ في بيئة دولية تضم جهات فاعلة متعددة، وتقوم الدوائر الدبلوماسية ببناء دبلوماسيتها الشعبية على تقاليد هائلة من صيغ الدعاية، غير أن الدبلوماسية الشعبية الجديدة تتطلب مهارات وتقنيات ومواقف تفتقر إليها الدبلوماسية التقليدية، فالمناطق التي تتميز بقدر كبير من الترابط الاقتصادي والتوافق السياسي، ومستوى عال من الترابط على مستوى المجتمع المدني، أصبحت الدبلوماسية الشعبية الجديدة ضرورية لتعزيز علاقاتها الدبلوماسية. (Melissen, The New Public Diplomacy, ٢٠٠٥, p. ١١)

وتوصف الدبلوماسية الشعبية الجديدة بأنها البديل المتحول عن الدبلوماسية الشعبية في شكلها التقليدي، وقد بدأ المختصون في الدراسات الدولية، تناول موضوع الدبلوماسية الشعبية الجديدة بالدراسة بوصفه تطوراً في مفهوم الدبلوماسية الشعبية يركز على التحول الذي طال العناصر الأساسية في ممارسة الدبلوماسية الشعبية الممثلة فيما يأتي: (Cull, ٢٠٠٥)

تزايد الفاعلين الدوليين وبروز أطراف فاعلة غير حكومية.

إن الآليات المستخدمة من الفاعلين الدوليين للتواصل مع السياسة العالمية أخذت باستخدام التقنيات الحديثة في الاتصال التي قربت من المسافات في خطوط الاتصالات والانتقال السريع للأخبار والوقائع من مصادرها المحلية إلى الفضاء العالمي.

تعتمد الدبلوماسية الشعبية التقليدية في مصادرها على نظرية الدعاية في الدفاع والترويج للسياسات الخارجية، فيما تستخدم الدبلوماسية الشعبية نظريات الاتصالات الحديثة واستخدامات إدارة السمعة.

تستخدم الدبلوماسية الشعبية التقليدية مفردات صورة الدولة في الفضاء الدولي، والمكانة الدولية، على عكس الدبلوماسية الشعبية الحديثة التي تتبنى استخدام شكل القوة الناعمة والسمعة الوطنية.

في الهيكلية النظام الدولي، يكون ترتيب مراتب الفاعلين الدوليين تنازلياً من القمة إلى القاعدة في التعامل والاتصالات مع الجمهور الأجنبي، على خلاف الدبلوماسية الشعبية الجديدة، إذ يكون الاتصال بين الفاعلين الدوليين أفقياً.

تعتمد طبيعة ممارسة الأدوار في الدبلوماسية الشعبية التقليدية في التواصل على أساس الرسائل المستهدفة ذات الأمد القصير، أما النمط الحديث فإنه يعتمد، منظور مستقبلي في آلياته، على تنمية وبناء علاقات دولية.

وينظر إلى إدارة السمعة ((Nation Branding على أنها توأم للدبلوماسية الشعبية الجديدة في تحقيقهما لأهداف السياسة الخارجية، فمن ناحية، تبدأ الدبلوماسية الشعبية الحديثة من قبل من يتولون ممارستها من أطرافها الرسميين وغير الرسميين، فإن أدارة السمعة تدور حول تعبئة جميع قوى الدولة التي يمكنها أن تسهم بالنتيجة في تعزيز صورتها في الخارج. (Melissen, The New Public Diplomacy, ٢٠٠٥, p. ١٩)

ويذهب (برايـن هوكينـج) ، في بحث نشره تناول فيه إدارة سمعة الدولة ، إلى أن الدول تسعى دائماً إلى بناء وتحسين سمعتها على نحو يحقق لها الولاء على مستوى السياسة الداخلية والتأثير في السياسة الخارجية ، إذ تعد إدارة السمعة حاجة ضرورية وحتمية ، ولو أنها لا تؤتي أوكلها إلى بعد حين في المدى البعيد. ويرى (هوكينج) أيضاً، إلى وجود ترابط وثيق بين سمعة الدولة ومفهوم القوة، فالسمعة والصورة الذهنية تعكس مدى قوة الدولة وقدرتها على بناء العلاقات وإقامة الأحلاف، والتأثير في التطورات الدولية، والتأثير في اتخاذ القرارات لدى الآخرين. (Hocking, ٢٠٠٥)

المطلب الثاني

الدبلوماسية الشعبية الأمريكية في محاربة الإرهاب :

أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية حرباً أسمتها (الحرب العالمية على الإرهاب) بعد أحداث ١١ أيلول من عام ٢٠٠١ وجدت تعاطفاً من الكثير من الدول، وبالأخص الدول الأوربية كان من نتائجها الغزو الأمريكي لأفغانستان واحتلال العراق في تحالف دولي قادته الولايات المتحدة الأمريكية. وقد فشلت الولايات المتحدة الأمريكية في الحربين تحقيق أهدافها في بناء الدولة وتتبنى منهج الديمقراطية، وتحقق الاستقرار السياسي. وكان لابد لها من أن تبحث عن مقاربة أخرى في فتح قنوات حوار واتصال مع الأطراف الفاعلة غير الحكومية.

أولاً: تحديات تراجع صورة الولايات المتحدة الأمريكية.

إن محاولات الحكومات على نشر صورة إيجابية عن بلدانهم ليس بالشيء الجديد، غير أن ما استجد في عصر المعلوماتية، هو كيفية استخدام القوة الناعمة كعنصر محفز لتحقيق أهداف السياسة الخارجية لإيجاد عناصر جذب وتأييد لها، تعمل بالنتيجة على تحسين صورة وسمعة الدولة في البيئة الدولية.

وبعد أشهر قليلة من أحداث ١١ أيلول، وفي شهر كانون الثاني عام ٢٠٠٢، أجرى معهد (غالوب) استطلاعاً للرأي، أظهرت نتائجه، الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من مشكلة في صورتها عالمياً، وتتركز في دول الشرق الأوسط والدول ذات الأغلبية المسلمة. لقد شمل الاستطلاع ١٠٠٠٠ شخص مقيم في تسع دول

إسـلامية ذكر في المتوسـط واحد من كل إثنين وجهات نظر غير مواتية. وكانت أكثر وجهات النظـر غير المواتية في إيـران، وهو أمر غير مفاجـئ بسبب العلاقـات العدائية مع إيران منذ الثـورة الإيرانيـة في عـام ١٩٧٩. لكن الآراء الأكثـر إثارة هي تلك التي تـم التعبير عنها في الـدول الخليجية، ففي المملكة العربية السعودية أظهرت النتائج أن ١٦٪ من المستطلعة آراءهم قـد عبروا عن آراء إيجابية على أسـاس وجود تحالـف الطويـل الأمد مـع الولايـات المتحدة الأمريكيـة في المنطقة، بينمـا عبر نسبة ٦٤٪ عـن آراء غيـر مواتيـة. وفـي الكويـت التي خاضت الولايات المتحـدة الأمريكية حرباً من أجـل تحريها، فكانت النتائـج أكثر إثارة، إذ أن أكثر من ربع الذين شـملهم الاسـتطلاع عبروا بآراء إيجابية فقط (Charles Wolf, Jr. and Brain Rosen, ٢٠٠٤, p. ١). وهو ما يدلل على عمق أزمة الصورة الأمريكية.

وقـد اعتمـدت وزارة الخارجيـة الأمريكية، في عام ٢٠٠٨ اسـتراتيجية جديدة للدبلوماسية الشعبية تضمنت التركيـز على حرب الأفكار، وتكريـس الجهـود الدبلوماسـية لبنـاء صورة إيجابيـة عـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وذلـك من خلال تصميم برامـج للتبادل الثقافي والتعليمـي طويلة الأجـل، والقيام بنشـر القيم والمبادئ السياسـية الأمريكية. (Glassman, ٢٠٠٨)

وفـي إطار دراسـة الحالـة لنموذج السياسـة الخارجية الأمريكية، فقد أسـتمر تراجع صورة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة بشكل حـاد بعد احتـلال العـراق بالرغم من إطـلاق مبادرات الدبلوماسـية الشعبيـة والدبلوماسـية التحويلية التي أطلقتها وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق (كوندليـزا رايس). وقد طرأ تغيـر محدود في إدارة الرئيس (أوباما)، إذ تحسنت فيه الصورة نسبيـاً ولاسـيما لـدى الحلفـاء نتيجة لسياسـة المشاركة والتعاون التي مارسـتها تلك الإدارة التـي بـدأت بالانتكـاس بشكل حاد مجـدداً بعد تولي الرئيس (دونالد ترامب) مهامه الرئاسـية في شـهر كانون الثاني من عام ٢٠١٧ شـملت الحلفـاء والشركاء والمنافسيـن (ناي، ٢٠١٢، صفحة ١٥٧)

وبعـد مـرور عـام على تراجع الـرأي العام العالمـي تجـاه سياسـات الولايـات المتحـدة الأمريكية التي بدت تميل نحو الانكفاء والعزلة والتخلـي عـن الحلفـاء، ظلت وجهـات النظر الإيجابيـة عند أدنـى مستوياتهـا التاريخية في عديـد من الدول، فقد سـاءت العلاقات الثنائية، والعلاقـات متعـددة الأطـراف مـع الشركـاء والحلفـاء نتيجـة لما تولد من تصـور لدى تلك الأطـراف من أن الولايات المتحـدة الأمريكية لـم تأخذ بنظـر الاعتبار مصالـح الآخرين في عمليـة صنـع القرار فـي السياسـة الخارجية، وأنهـا تصعد أكثر مما تشـارك في إيجاد حلول للأزمـات الدوليـة. (Ritchard Wike and Others, ٢٠١٨)

وفـي اسـتطلاع للـرأي عـام ٢٠١٨ أجرته مؤسـسة (Pew) الأمريكية، أظهر وجود تباين واختلافـاً كبيـراً فـي الآراء لدى شـرائح من المجتمـع في دول مختلفة من العـام، إذ جاءت التقييمات متحمسة في كوريا الجنوبية والفلبين، ودرجـات غيـر متحمسة فـي ألمانيا وروسـيا والمكسيـك. وكانـت الآراء متباينـة وأكثـر وضوحاً في أوربا، إذ تراوحت الآراء الإيجابية

من سبعة إلى عشرة في بولندا، إلى ثلاثة من كل عشرة في ألمانيا. كما وعبر نصف المستطلعين بآراء إيجابيــة في المملكة المتحــدة و٣٨٪ في فرنســا. وفي عشرة دول أوربيــة، كانت مثلت الآراء المواتية نسبة ٤٣٪ في مقابل نسبة ٥٢٪ آراء معارضــة. (Ritchard Wike and Others, ٢٠١٨)، وفيما يخص اســتطلاعات الــرأي المحلي حيــال سياســتها الخارجية، فقد أنقسم الجمهور بالتساوي حول ما إذا كان ينبغي على الولايات المتحــدة الأمريكية أن تنشط في الشؤون العالمية، غير أن النسبة التي تعبر عن وجهات نظر إيجابية حول المشاركة الأمريكية في الشؤون العالمية قد ازدادت منذ عام ٢٠١٤. فضلاً عــن، أن المزيد من الأمريكيين يطالبون تأخذ في الاعتبــار مصالح حلفائها عند صياغة سياســتها الخارجيــة. وكــان هنالــك تغير أقل فــي الــرأي العام حول مبــدأ" السلام من خلال القــوة" كما كان في الماضــي، إذ بدأ الكثير من الأفــراد يعتقــدون أن أفضــل طريــق لضمات السلام يتحقــق أثناء الدبلوماســية الجديدة، بدلاً مــن القــوة العسكرية. وفيمــا يتعلــق بوجهات النظر حول مكانــة الولايات المتحدة الأمريكية فــي العالم، فــإن غالبيــة المستطلــع آرائهم ما زالــوا ينظرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية على أنهــا " واحدة من أعظــم دول العالم، إلى جانب غيرها، فيما تقف نسبة أقل تساند مقاربة انفرادية (Foreign Policy, ٢٠١٧)، أو كما قالــت به وزيــرة الخارجية الأمريكية الأســبق (مادلين أولبرايت) " أمريكا أمة لا غنى عنها". (Zinco, ٢٠١٤)

وفــي إطــار انعكاســات الــرأي العالميــن العربــي والإســلامي، أصــدر معهــد ((Pew اســتطلاع للرأي فــي العــام ٢٠١٤ كشف فيه أنــه بالرغــم وجــود حركــات سياســية مؤيدة للديمقراطيــة تمثلت في ثورات الربيع العربي، فإنها لــم تؤدي إلى حصــول تحسن في صورة الولايات المتحدة الأمريكية، واستمرت وجهات النظر السلبية حيالها في الدول العربية الرئيسة وغيرهــا من الدول ذات الأغلبيــة المسلمة كما كانــت قبل عقد من الزمان، وهو ما جسده واقع الأمــر فــي تركيــا والأردن والباكستــان. وفي إدارة الرئيس (أوباما)، أظهر الاســتطلاع أنه، باســتثناء إندونيسيــا، ظلت سياســات (أوباما) غيــر مرغوب فيهــا في الدول الإســلامية التي شــملها الاســتطلاع ، إذ إن معظــم شــعوبها لا يوافقون على الطريقــة تعامل بها مع الدعوات إلــى التغيير السياســي التي كانــت تجتاح دولاً في منطقة الشرق الأوســط، فضــلاً على ذلك، فإن المخــاوف التي دفعت العداء تجاه الولايات المتحــدة ألأمريكيــة فــي السنــوات السابقــة للاســتطلاع لا تــزال موجودة التــي تمثلت في التصرف الأحادي الأمريكي في البيئة الدولية، والمعارضة للحــرب الأمريكية على الإرهاب ، والمخــاوف المتجــددة من الولايــات المتحدة الأمريكيــة كتهديــد عسكــري. وفــي دول مثل الأردن والباكستــان ولبنــان، أبــدى المستطلعة آرائهم التخوف من التعاون الواســع لحكوماتهم مع الولايات المتحــدة الأمريكية. (Obama's Challenge in the Muslim World, ٢٠١١) ، " فشعوب هذه الدول يسودها شعور بعــدم الثقة تجــاه الولايات المتحــدة الأمريكية، وهو شــعور من اليأس والقدريــة عندما يتعلق بإمكانيــة بناء شــراكة حقيقية دائمــة تقوم على المصالــح المشتركــة". (كلينتــون، ٢٠١٥). يقــول (ريتشــارد ارميتاج) نائــب رئيس وزير الخارجيــة فــي إدارة الرئيــس (جــورج ووكر

بوش) ما مفادها" إن الصورة الأمريكية والنفوذ الأمريكي قد انحدرا في غضون السنوات الأخيرة، وأن الولايات المتحدة الأمريكية لا بد لها إن تتحول من تصدير الخوف إلى بث التفاؤل والأمل". (Nye, Recovering America›s « Smart Power», ٢٠٠٧)

وفي تقديرنا، أن صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى شعوب دول منطقة الشرق الأوسط والدول الإسلامية الأخرى، هي في حالة تراجع مستمر وحالد نتيجة للسياسات الأمريكية المنحازة إلى جانب الكيان الصهيوني التي تمثلت في قرارات إدارة الرئيس (ترامب) الأخيرة التي تمثلت بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة للكيان الصهيوني، والإبقاء على وضع المستوطنات الصهوينة كواقع حال دون المساس بها في أية تسوية مستقبلية محتملة، فضلاً عن المشروع الذي أطلق عليه بـ (صفقة القرن).

جدول رقم(١): تراجع صورة الولايات المتحدة الأمريكية في إدارة الرئيس (ترامب) عالمياً.
Source: Pew Research Center, Foreign Policy, 2017.

U.S. Favorability and Confidence in Obama

% Favorable

	2009 %	2010 %	2011 %	*Change 10-11**
Jordan	25	21	13	*-8*
Turkey	14	17	10	*-7*
Pakistan	16	17	11	*-6*
Indonesia	63	59	54	*-5*
Lebanon	55	52	49	*-3*
Egypt	27	17	20	*+3*
Palest. ter.	15	--	18	*+3*

% A lot/Some confidence

	2009 %	2010 %	2011 %	*Change 10-11**
Turkey	33	23	12	*-11*
Palest. ter.	23	--	14	*-9*
Indonesia	71	67	62	*-5*
Lebanon	46	43	43	*0*
Egypt	42	33	35	*+2*
Pakistan	13	8	10	*+2*
Jordan	31	26	28	*+2*

* Change from 2009 to 2011 in the Palestinian territories.
PEW RESEARCH CENTER Q3a & Q48a.

جدول رقم ٢: تطور صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى عدد من الدول العربية والإسلامية.
Source: Pew Research Center, Image Arab Spring Fails to Improve U.S. Image, 2011.

Little overall change to U.S. image in Trump's second year, but in most countries a dip from Obama era

Favorable views of U.S.

	End of Obama presidency* %	2017 %	2018 %	*'17-'18 Change*	*Obama-'18 Change*
Mexico	66	30	32	+2	**-34**
Netherlands	65	37	34	-3	**-31**
Germany	57	35	30	-5	**-27**
Canada	65	43	39	-4	**-26**
Sweden	69	45	44	-1	**-25**
France	63	46	38	**-8**	**-25**
Italy	72	61	52	**-9**	**-20**
Indonesia	62	48	42	**-6**	**-20**
Brazil	73	50	55	+5	**-18**
Spain	59	31	42	**+11**	**-17**
UK	61	50	50	0	**-11**
Argentina	43	35	32	-3	**-11**
Philippines	92	78	83	+5	**-9**
Australia	60	48	54	**+6**	**-6**
Japan	72	57	67	**+10**	-5
Tunisia	42	27	37	**+10**	-5
South Korea	84	75	80	+5	-4
Poland	74	73	70	-3	-4
Nigeria	66	69	62	**-7**	-4
South Africa	60	53	57	+4	-3
Greece	38	43	36	**-7**	-2
Hungary	62	63	63	0	-1
Israel	81	81	83	+2	+2
Kenya	63	54	70	**+16**	**+7**
Russia	15	41	26	**-15**	**+11**

*Obama presidency figures are based on the most recently available data for each country between 2014 and 2016.
Note: Significant changes in **bold**.
Source: Spring 2018 Global Attitudes Survey. Q17a.
PEW RESEARCH CENTER

ثانياً: تقييم أداء الدبلوماسية الشعبية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

في أعقاب هجمات عام ٢٠٠١، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية سلسلة من البرامج المصممة في إطار خطة للدبلوماسية الشعبية واسعة النطاق لتحسين صورة الولايات

المتحـدة الأمريكية في الشرق الأوسـط وكسب قلوب وعقـول المجتمعات في الـدول العربية. وكان المميـز من بين هذه البرامج أطلاق البث الإذاعي لراديو (ساوا) وقناة (الحرة) الفضائية التـي كانت تستهدف التأثير فـي الجيل العربي الجديد من صغار العمر الذين سيكونون صناع القـرار غـداً مـن خـلال المساعدة في شـرح الجوانب المختلفة للسياسة الخارجية الأمريكية وتوفيـر معلومات حول الخصائص الأساسـية للمجتمـع الأمريكي للتعـرف عليها وفهمها من خلال الجمهور العربـي في وقت يتميز بوجود اسـتياء عربي متزايـد من الوجـود الأمريكي فـي العـراق والموقف الأمريكي فـي الصراع العربي– الصهيوني. (Nawawy, ٢٠٠٦)

وفي شـهادة له أمام لجنة العلاقات الخارجية فـي مجلـس الشيـوخ، ذكـر الدكتـور (إدمون غريب) الأسـتاذ فـي الجامعـة الأمريكية، إن الغـزو الأمريكي للعراق شـكل مصـدراً آخر لمعـاداة الولايات المتحـدة الأمريكية في العالم العربـي، إذ أن العرب يسألـون، وهم ينظرون إلى ما آلت إليه الأوضاع السياسية والأمنية في هذا البلد، ويسألون ما إذا كانت تلك الحرب هي حـرب الحرية والديمقراطيـة، أم أنها قتال من أجل النفط والهيمنة؟ (Ghareeb, ٢٠٠٤)

ومهمـا أطلـق علـى الدبلوماسـية الشعبية من تسميـات، فـإن تحديـد حقيقـة الحـرب علـى الإرهاب في أذهان أكثر من مليار مسلم سيكون ذا أهميـة حاسـمة وتاريخيـة. (Halbrooke, ٢٠٠١)، إذ سـرعان ما أصبح هـذا النهج من العناصر الأساسية في مقاربة الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب على الإرهاب، بعد أن تم إدراك حقيقـة مفادها من أنـه لا يمكن قتل هذه الأفكـار بالقنابل مهمـا كانت دقيقـة وموجهة. (Beers, ٢٠٠٣)

لقد صدم كثير من الأمريكيين عن حجم الكراهية العنيفـة الموجهة إلى بلدهم وسياسـتها وقيمها، وهـو ما دعـى الأمريكيون إلى السـؤال، لماذا يكرهنـا الناس كثيراً؟ وهو سـؤال سـرعان ما أصبـح هاجس ليس للأمريكيين العاديين، ولكن لصانعي السياسة أيضاً. (Hoffman, ٢٠٠٢)

لقـد خلصـت وزارة الخارجيـة الأمريكية إلى اسـتنتاج، بعد أحداث ١١ أيلول، في أن الجزء الأكبـر من مشكلـة العـداء للولايـات المتحدة الأمريكية يعود إلى صورتها المشوهة المستقرة فـي أذهـان المجتمعـات فـي منطقـة الشـرق الأوسـط، وبناءً على ذلك، بدأت إدارة الرئيس (بـوش) بأطلاق سـلسلة مبـادرات هدفت إلى وصـف الولايات المتحدة الأمريكية بأنها قوة " مهيمنة متعاطفة" بدلاً من أنها " فتوة عالمية". (Ham, ٢٠٠٣)

إن الجهود المكثفة التي بذلتها الولايات المتحدة الأمريكية فـي مجال الدبلوماسـية الشعبية بعد أحـداث ١١ أيلـول قد اتبعت تقليداً راسـخاً في اسـتخدام موارد القوة الناعمة كأدوات سياسية، ومـع ذلك، فإن النصر الـذي تحقق في الحرب

الباردة قد دفع بالولايات المتحدة الأمريكية لعقد من الزمن إهمال استخدام القوة الناعمة في سياستها الخارجية اعتقاداً منها بأن نموذجها الاجتماعي لم يعد يواجه تحدياً خطيراً، فجاءت أحداث ١١ أيلول بمثابة تذكير فظ من أن النموذج الاجتماعي لا يزال ضعيفاً، وأن الجهود المستمرة لازالت مطلوبة لتحييد الانتقادات والشكوك حيال السياسة الخارجية الأمريكية، ولينظر إلى الدبلوماسية الشعبية على أنها مفتاح للتعويض عن هذا العقد من الرضا على النفس من خلال تنشيط القوة الثقافية الأمريكية غير المستمرة بشكل كاف. (Neier, ٢٠٠١)

وتطمح الدبلوماسية الشعبية الأمريكية إلى الدخول في حوار مع العالم الإسلامي، وهو حوار بالكاد يكون موجوداً في الوقت الحالي. لذلك يجب التمييز بين بين الدبلوماسية الشعبية والحرب المعلوماتية، فالأولى، أقل تركيزاً على هيمنة تدفق الاتصالات، وهي تركز، بدلاً عن ذلك، على خطاب ديمقراطي يهدف إلى إيجاد افتراضات وقيم مشتركة على عكس الدبلوماسية الشعبية القديمة في العقود الماضية التي كان فيها الحوار مستحيلاً، والاتصالات ذات اتجاه واحد. لقد أثبتت الوقائع أنه من الصعب تطوير منهج متوازن للدبلوماسية الشعبية تجاه منطقة الشرق الأوسط في مواجهة الحقائق الدافعة للحرب والعنف السياسي التي تمت ممارستها في كل من العراق وأفغانستان. (Mark Leonard and Conrad Smewing, ٢٠٠٣)

إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تخوض حرباً ضد الإرهاب الدولي بالوسائل التقليدية والعسكرية فحسب، بل وتخوض أيضاً معركة كسب العقول. وأنه بالرغم من أن الدبلوماسية الأمريكية هي عنصر أساس، إلا أنها لا تزال متخلفة، وأقل من قيمتها الحقيقية، فهي تتطلب إحداث تحسيناً لصدقية سياسات الولايات المتحدة الأمريكية وصورتها لدى العالم الإسلامي. وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد في نشر رسالتها على وسائل الإعلام، فإن رسالتها بدت مشوهة بدرجة كبيرة على نطاق وسائل الإعلام الجماهيري، كنتيجة لضعف إداء الدبلوماسية الشعبية الأمريكية. (Ham, ٢٠٠٣, pp. ٤٢٧ , ٤٣١)

وفي أفغانستان والعراق بعد الاحتلال الأمريكي، فإن هنالك حاجة إلى إعادة التفكير في جهود الدبلوماسية منفصل بشكل عن النموذج العسكري الأمني الذي سيطر على العلاقات الدولية مع البلدين، فمع وجود عسكري أجنبي محدود، يمكن للدبلوماسية الشعبية أن تحقق أداء أفضل في كسب القلوب والعقول. (Kamminga, June ٢٠١٣)

ويعد التوظيف والاستخدام الفعال لوسائل الإعلام الذي يعد أحد التحديات التي أدت إلى تراجع أداء الدبلوماسية الشعبية الأمريكية، إذ كان التركيز على الإعلام قصير الأجل، بدلاً من استخدام أنشطة تعليمية ثقافية طويلة الأجل. (Botes, ٢٠٠٧) ، إذ ليس لدى الولايات

المتحدة الأمريكية شبكات تلفزيونية أو إذاعية موثوقة للتواصل مع النخب والشعوب العربية، فقناة (الحرة) التي تم إنشاؤها في شباط من العام ٢٠٠٤ لا أحد يشاهدها، وراديو(سوا) ينقل القليل من المحتوى، وتم إلغاء خدمة بث إذاعة (صوت أمريكا) باللغة العربية، وهو ما يشير إلى وجود خطأ ما في المشهد الإعلامي. (Peter Krause and Stephen Van Evera, ٢٠٠٩)، وهو ما أدى إلى أن تجد الولايات المتحدة الأمريكية رسالتها الإعلامية مشوهة بدرجة كبيرة على نطاق وسائل التواصل الجماهيرية. (Zahrana, ٢٠٠١) ، وأنها فشلت في تحقيق هدف تحسين صورة الولايات المتحدة في العالم والعالم العربي بشكل خاص.

إن على الولايات المتحدة الأمريكية،العمل لضمان نجاح دبلوماسيتها الشعبية، أن تحقق حالة من الموائمة بين التعاون مع الأمم الأخرى، وبين مغادرة الاتجاهات التي تقول " أنه ليس أمام أمريكا، في سياستها الخارجية إلا أن تختار بين الحرب والانعزال". (Thornton, ٢٠١٧) ، وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد عالم أقل عدائية تجاهها، فإن دبلوماسيتها يجب إن تكون أقل تركيزاً على الدعاية، وأكثر تركيزاً على تقديم المنافع. (Seib, ٢٠١٠)

الخاتمة

شكل احتلال العراق وموجة الفوضى التي أعقبت ما سمي بالربيع العربي أهم سمات حالة عدم الاستقرار التي شهدتها المنطقة العربية في مطلع القرن الحادي والعشرين. وفي ظل أوضاع جيوسياسية غير مستقرة يغلب عليها الطابع العسكري، وكان استخدام الأدوات القتالية إلى جانب تفعيل الدبلوماسية الشعبية أهم ركيزتي الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة لما تتمتع به من مزايا موقع جيو ستراتيجي مؤثر في مصالح القوى العظمى.

لقد مارست الدبلوماسية الشعبية الأمريكية، فضلاً عن وظيفتها الاتصالية، القيام بجهد استراتيجي أمني داعم لمركز القوة الأمريكية في بسط نفوذها وهيمنتها على العالم العربي. وإذا كانت تجربة الولايات المتحدة الأمريكية في حقبة الحرب الباردة قد ركزت على مفهوم الدعاية، فإن التحديات الجديدة التي واجهتها قد دفعت إلى إطلاق شكل محدث للدبلوماسية الشعبية أطلق عليه بالدبلوماسية الشعبية الجديدة، تم فيه التركيز على مفهوم إدارة السمعة بدلاً عن تحسين الصورة تفاعلت فيه البنى السياسية والأمنية الأمريكية، واستثمرت فيه فضاءات جديدة من القوة الناعمة ضمن استراتيجية ذكية، فضلاً عن برامجها التقليدية في ميادين الإعلام والثقافة والتعليم وبناء القدرات.

لقد أدت مرحلة الانتقال من نمط الدبلوماسية الشعبية التقليدية التي كانت تقود بناها الدولة كفاعل رئيس، إلى نمط جديد تراجع فيه دور الدولة لصالح بنى غير رسمية كمراكز الفكر والمنظمات غير الحكومية والفاعلين الاقتصاديين في إطار مؤسسي لخصخصة الفاعلين لممارسة أدوارها في تحقيق أهداف الدبلوماسية الشعبية الجديدة بالخروج عن حالة الاستعصاء التي فرضتها الأجهزة البيروقراطية في مؤسسة وزارة الخارجية الأمريكية ، فكان استحداث منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الدبلوماسية الشعبية أحد أوجه التغيير الاستراتيجية السياسية الأمريكية لمرحلة ما بعد ٢٠٠١ أحداث ١١ أيلول في مخاطبة التحديات الجديدة مثلت بإطلاق برامج للدبلوماسية الحديثة في مواجهة ما سمي الإرهاب العالمي الذي كانت أحد ساحات مواجهته في المنطقة العربية.

وإذا كانت مفاهيم الاتصال والاستعلامات هي من طغت على التسميات المؤسسية لإدارة الدبلوماسية الشعبية بشكلها التقليدي، فإن الخطاب الدبلوماسي قد أخذ باصطلاح الاتصال الاستراتيجي لينسجم مع هدفي الدبلوماسية الشعبية الاستراتيجي والاتصالي.

ومع كل التطورات التي شهدتها الدبلوماسية الشعبية الأمريكية، وما تم إغناؤها بالمقاربات الفكرية من مراكز البحث، غير أنه من العسير التحدث عن تحقيقها لأهداف خطط لها عبر ما قام به الفاعلون الرسميين وغير الرسميون من أدوار بسبب غياب معايير وأدوات القياس، فما قام به فواعل الدبلوماسية الشعبية في إطار العلاقة التفاعلية مع الجمهور العربي هو التركيز على هدفي تحسين الصورة وإدارة السمعة دون التعامل الحقيقي مع معالجة أسباب ترديها وتراجعها، وهو ما شكل عائقاً أمام تصحيح إطار العلاقات التي يطبعها التوتر واهتزاز المصداقية حيال السياسات الأمريكية في المنطقة العربية ، وهو ما دفع بالإدارات الأمريكية إلى توظيف الاتصال الاستراتيجي للدبلوماسية الشعبية لتحقيق التأثير في الجمهور العربي وتعديل قناعاته ، في المدى القصير ، والعمل على تقليص التهديدات للمصالح الأمريكية على المدى البعيد.

وفي ضوء محتوى البحث، فقد انتهى البحث إلى عدد من الاستنتاجات، نوردها كما يأتي:

١- أدى تنامي موجة العداء نحو الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها الانفرادية، التي شكلت تهديداً للأمن القومي، قيام الإدارات الأمريكية بتعزيز عمل الدبلوماسية الشعبية.

٢- نتيجة لأوجه القصور التي اعترت السياسات الأمريكية والضعف في التنسيق والتنظيم بين الوكالات الحكومية ، والبيروقراطية ، استمر التراجع في تحقيق استجابة مواتية للولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها.

٣- بالرغم من جهود الدبلوماسية الشعبية

الأمريكية في محاولته " كسب العقول والقلوب، استمرت حالة العداء الموجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بسبب وجود حالة التعارض بين السياسات والقيم الأمريكية.

٤- أظهرت إدارة الرئيس (باراك أوباما) اهتماما أكبر، في توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية الأمريكية، من سلفه الرئيس (جورج بوش)، وكانت أكثر قدرة في عرض صورة إيجابية للولايات المتحدة الأمريكية عالمياً، أعقبها تراجع كبير خلال السنوات الثلاث من عمر إدارة الرئيس (دونالد ترامب).

٥- تطمح الولايات المتحدة الأمريكية إلى تطوير استراتيجية تعيد سمعتها وصورتها وتضع إطاراً استراتيجياً وتنسيقياً يجعل للدبلوماسية الشعبية أولوية حقيقية في أدوات تنفيذ السياسة الخارجية.

٦- إن أحد أهم المشكلات العملية للدبلوماسية الشعبية الأمريكية، هي كيفية تنسيق السياسة الخارجية والدبلوماسية في إطار استراتيجية متماسكة لإدارة السمعة.

٧- إن الدبلوماسية الشعبية التي تعد أداة القوة الناعمة الأساسية في الحرب العالمية على الإرهاب، لازالت غير فاعلة، وتتطلب اتصالات أفضل لمعالجة تراجع مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية وصورتها في منطقة الشرق الأوسط.

٨- يعد قرار الولايات المتحدة الأمريكية استخدام أصول ومهارات الصورة والاتصالات والعمل على تجفيف المنابع المالية والفكرية للإرهاب العالمي، استجابة عينية للحرب غير المتماثلة التي بدأت في ١١ أيلول التي تم فيها استهداف المجتمعات الغربية في أضعف نقاطهم.

٩- لم تحقق الدبلوماسية الشعبية الأمريكية نتائج إيجابية لأسباب لوجستية، واستراتيجية وتمويلية انعكست سلباً على المجتمعات في دول الشرق الأوسط، بسبب تلقيها رسائل متضاربة.

١٠.بعد أن أخفقت الدبلوماسية الشعبية الأمريكية في تحقيق أهدافها، تبدو مقاربة استراتيجية بناء العلاقات أكثر فاعلية من استراتيجية بناء الرسائل والصور.

١١. بدلاً من إعطاء صورة أمريكية أكثر إيجابية ، يبدو أن الدبلوماسية الشعبية لم تنجح في كبح ولادة المزيد من المشاعر المعادية.

١٢.أصبحت منطقة الشرق الأوسط مركزاً محورياً للعديد من المبادرات للدبلوماسية الأمريكية في منطقة عدت فيها الرسالة الأمريكية مشوهة أو مفقودة تماماً.

المصادر

أولاً: المصادر الأجنبية.

Modern .(١٩٧٧) .Barston, R. P
٢nd ed.). London:) *Diplomacy*

.Longman

.(٢٧ February ,٢٠٠٣) .Beers, C. L American Public Diplomacy and Islam. (T. C. Senate, Interviewer) Washington. Retrieved December ١٠, ٢٠١٩

Benjamin Goldsmith and Yusaku July). In Research ,٢٠١٢) .Horiuchi of Soft Power - Does Foreign Public Opnion Matter for US Foreign .٥٥٥ ,(٣)١٤ ,Policy? *World Poliitics* Retrieved December ٥, ٢٠١٩

.(١٧ Augest ,٢٠٠٢) .Brown, J The Purpos and Cross Purpose of American Public Diplomacy. *American Public Diplomacy Publisher*.

.(٢٣ Septemper ,٢٠١١) .Brown, J *Sinking in the Poll, Karen Hughes Public Diplomacy*. Retrieved from www. ,١٧ November ,٢٠١٩ .huffpost.com

.Charles Wolf Jr. and Brain Rosen Public Diplomacy: How to .(٢٠٠٤) Improve It and Think About. *RAND* .٤ .- *INTENDED RESEARCH*, p

.Charles Wollf and Brain Rosen Public Diplomacy : How .(٢٠٠٤) to Think about and Improve It. Retrieved .٤-٣ .*Ocational Paper*, pp ١٠ November ,٢٠١٩

A .(١٥ April ,٢٠١٥) .Cross, C. M Battel for Hearts and Minds : U. S. Public Diplomacy in the Cold Pennsylvania: .١ .war Middle East Ursinus University. Retrieved ١٩ November ,٢٠١٩

Public .(٢٠٠٥) .Cull, N. J Diplomacy : Lessons From the Past. *CPD Perspective on Public Diplomacy*, .١٤

Augest ,٢٠٠٩) .DiCKINSON, E A Bright Shining Slogan : .(٢٢ How : "Hearts and Minds": Come to be. *Foreign Policy*. Retrieved from ,٢٠١٩ ,١٩ November Foreignpolicy.com

.Elena Gurgu and Aristede Cociuban New Public Diplomacy .(٢٠١٦) and its Effects on International Relations Level. *Economand PeopleDevelopment, Enviroment ic*, ١٥(٣), ٤٨.

.Elena Gurgu and Arstide Dumitru (٢٠١٦). The Role of Public Diplomacy in International Relations in Full Process of Globalization. *Annals of Spiru University - Economic Seiries*, (٢) ١٢٧.

(٢٠١٧). *Foreign Policy.* Pew Reserch Center, U.S. Politics& Policy. Pew Organization. Retrieved December ٥, ٢٠١٩

(٢٩ April ,٢٠٠٤). Ghareeb, E Hearing Testimony. *Hearing on Finding Media for Message on Middle East.* (S. c. Relations, Interviewer) Washinfton. Retrieved from foreign. , ١٢ December ,٢٠١٩ senate.gov

(١ March ,٢٠٠٨). Giloba, E Searching for a Theory of Public Diplomacy. *ANNAlAS of American Academy*, ١١٦, ٦٢.

(٢٠٠٨), Glassman, J Public Diplomacy: A New Approach to Global Engagement, U.S. State Department.

(٦ March ,٢٠١١). Gregory, B American Public Diplomacy: Enduring Charcteristics, Elusive Transformation. *THe Hague Journal Diplomacy*, ٦(٣ - ٤), p. ٥٣.

(٢٨ October ,٢٠٠١). Halbrooke, R Get the Message out. *Washington Post*.

(٢٠٠٣, December). Ham, P. V Public Diplomacy and USA's War on Terrorism. *SAGE*, ٣٤(٤), ٤٢٨. Retrieved December ٩, ٢٠١٩

Harold, N. (n.d.). *Diplomacy* ١٩٩٣-١٩٨٨. Washington: Institute for study for study of diplomacy-Goergtown University.

(٢٠١٢). HAYDEN, C *Public Diplomacy in Global Contexts.* Lanham , Boulder, New York, Toronto,Plymonth,UK: Lexington Books.

(٢٠٠٥). Hocking, B Rethiking ' New ' Public diplomacy. (J. Mellsen, Ed.) *Palagrave*, pp ٢٣-٣١.

(٢٠٠٢). Hoffman, D Beyond

,(٢)٨ ,Diplomacy. *Foreign Affairs*
.pp ١١٥ - ١٢٧.

Is Public Policy .(٢٠٠٨) .Hukil, S Inherently a Manifestation of Soft Power? *Gelndon Jourof International Studiesnal*, ١١٦, ١٥. Retrieved December ٤, ٢٠١٩.

The .(١٧ Augest ,٢٠٠٢) .John, B pUrposes and Cross Purpose of American Public Diplomacy. *American Diplomacy Publisher*. Retrieved November ١٤, ٢٠١٩, from www. american diplomacy. org

.(.Josef S> Nye Jr. (n.d

Public .(٢٠١٣ Kamminga, J. (June Diplomacy in Afghanstan Beyond Transition. *Netherland* ٢٠١٤ the *Institute of International Relations*(١٢٦), ١.

Kennon H. Nakamura and Susan .(٢٠٠٧) .B. Epstein *The Diplomacy* ٢١*st. Century:Transformtional for Diplomacy.* Washington D.C: Congressioal Research Service. Retrieved November ١١, ٢٠١٩

Mark Leonard , Catherine Stead , .(١٧ June ,٢٠٠٢) .Conrad Smewing *Public Diplomacy.* London: The .Foreign Policy Center

Mark Leonard and Conrad .(٢٠٠٣) .Smewing *Public Diplomacy and Middle East.* .London: foreign Policy Center

Public .(٢٠٠٤) .McClellan, M Diplomacy in the Context of Tradinational Diplomacy. *Vienna* Veinna. .(١ .*Diplomatic Academy*, (p Retrieved November ٢١, ٢٠١٩, from http://www.publicdiplomacy htm.٤٥/.org

February). ,٢٠٠٥) .Melissen, J The New Public Diplomacy. (J. Melissen, Ed.) *The New Public Diplomacy between Theory and Practice in the Soft Power in .International Relations*

The New (٢٠٠٥) .Melissen, J Public Diplomacy: Soft Power in International Relations, Palgrave .Macmillan

October). ,٢٠١١) .Melissen, J

Beyond the New Public Diplomacy. *Clingendael -Papers No* .٣.

Politics .(١٩٩٣) .Morgenthau, H. J *Among Nations: The Struggle for Power and Peace* (Brief Ed. ed.). .Boston: MCGraw Hill

US Public .(٢٠٠٦) .Nawawy, M. e Diplomacy In the Arab World. *,Global Media and Communication* ٢(٢), pp. ١٨٥ -١٨٦.

.(٩ October ,٢٠٠١) .Neier, A Warning Aganist Modernity. *Washington post.* Retrieved ٩ December ,٢٠١٩

Diplomacy .(١٩٦٩) .Nicolson, H ٣rd ed.). London and New York:) .Oxford University Press

Soft Power and .(٢٠٠٤) .Nye, J. S American Foreign Policy. *Political* .٢٦٦ ,(٢)١١٩ *,Science Quarterly*

Recovering ,(٢٠٠٧ .Nye, J.S(Dec America's " Smart Power, Project .Syndicat

March). Public ,٢٠٠٨) .Nye, J. S Diplomacy and Soft Power. *Academy of International and scoial* ٦*NNALS of American ,sciences Academy of Political Diplomacy in* .٩٤ ,*Changing World*

The Soft Power .(٢٠١٩) .Nye, J. S *A Global Ranking of Soft power* -٣٠ J. Mcclory, Ed.) South) .٢٠١٩ California: USC Center on Public .Diplomacy

Peter Krause and Stephen Evera, Public Diplomacy: Ideas for War of Ideas, Belfer Center, University of .٦.p ,٢٠٠٩ .Harvard, Sept

Sep. -Oct.). ,٢٠٠٢) .Peterson, P. G Public Diplomacy and War on ,(٥)٨١ ,Terrorsim. *Foreign Affairs* .٧٥ .p

Pew Organization, Global Attitudes & Trends. Pew Research Center *Arab Spring Fails to* .(٢٠١١) *Improve U.S. Image.*. Retrieved .٢٠١٩ ,٦ December

Interview. .(٢٠ April ,٢٠٠٧) .Rice, C (T. F. Times, Interviewer) Retrieved ٢٠١٩ ,١٢ November

.(٢٠١٨) .Ritchard Wike and Others *Trump's International Rating Remain Low, Especialy Among Key Allaies.* Pew. Pew Research Center. from ,٢٠١٩ ,٦ Retrieved December Pewresearch.org

What is .(٢٠٠٧ Roberts, W. R. (Fall Public Diplomacy? Past Practcies, Present Conduct, , Possible Future. *Mediterrnean Quarterly*, ١٨(٤), ٣٦ -٣٧. Retrieved December ٣, ٢٠١٩

Public .(٢٠٠٢ Ross, C. (Spring Diplomacy Come of Age. *The Washington Quarterly*, ٢٥(٢), p. ٧٨.

R.S. Zahrana, American Public Diplomacy and Arab and Muslim World, In Focus Policy Report, American University, Nov ٢٠٠١, p. ٤.

.(٦ January ,٢٠١٧) .Sexton, R Did U.S Aid Win Hearts and Minds in Afghistan? Yes and NO. *The washington Post*. Retrieved from ١٩ November ,٢٠١٩, washington.com

Seib Philip, Public Diplomacy and Obama Moment, Perspectives, Washington, ٣ Vol. I I, Issue March٢٠١٠, p<١.

.(٢٠١٨ Stanzel, V. (Novmber New Reality in Foreign Affers : ٢١st Century Diplomacy in ٩.

Thornton, B, Should America Choose More Intervention Abroad , or More Isolation, Newsweek ١٧/٢/٩.

United States Information Agency. October). Retrieved ,٢٠١٩) from https:// ,١٢ November ,٢٠١٩ en.wikipedia.org/wiki/United_States_Information_Agency: Wikipedia A

The Theory and .(١٩٩١) .William, O *Practice of International Relations.* .New Jersey: Prentice Hall

.(٦ November ,٢٠١٤) .Zinco, M The Muth of the Indispensible Nation. *Foreign Policy*. Retrieved ٥ December ,٢٠١٩.

ثانياً: المصادر العربية.

العـــادة, س. ف. (١٩٧٣). **الدبلوماســـية الحديثة**. دمشـــق: دار اليقظة للتأليف والترجمة و النشر.

العطية, ع. (١٩٨٧). **القانون الدولي** (الرابعة ed.). بغداد: الشركة العراقية للطباعة الفنية.

أولبرايـــت, م. (٢٠٠٨). **مذكرة إلـــى الرئيس المنتخـــب - كيـــف يمكننـــا اســـتعادة ســـمعة أمريكا ودورها القيادي**. (ع. الأيوبي, Trans.)

البكري, ع. (١٩٨٥). **العلاقات الدبلوماســـية والقنصلية**. الكويت: كاظمة للنشـــر والترجمة والتوزيع - دار الشرع للنشر.

بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

سرحان, ع. م. (١٩٦٨). **قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية**. القاهرة: جامعة عين شمس.

سرحان, ع. م. (١٩٧٤). **قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية**. القاهرة: مطبعة جامعة عين شمس.

سليم, م. ا. (١٩٩٨). **تحليل السياسة الخارجية** (٢ ed.). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

شتال, ب. (٢٠١٩). **فهم السياسة الدولية**. (ب. م. بودريش, Trans.) برلين و تورنتو: دار النشر باربارا بودريش.

شلبي, ا. أ. (١٩٩٧). **في الدبلوماسية المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب.

صابريني, غ. ح. (٢٠٠٢). **الدبلوماسية المعاصرة - دراسة قانونية**. عمان: الدار العلمية الدوليةللنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع.

فودة, ع. ا. (١٩٨٩). **النظم السياسية**. القاهرة: مكتبة الآداب.

كلينتون, ه. (٢٠١٥). **خيارات صعبة**. (م. يونس, Trans.) بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

كيسنجر, ه. (١٩٩٥). **الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة**. (م. ف. البديري, Trans.) عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

كيسنجر, ه. (٢٠١٦). **النظام العالمي - تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ**. (ف. جكتر, Trans.) بيروت: دار الكتاب العربي.

محمد, ف. ز. (١٩٩٢). **الدبلوماسية في عالم متغير**. بغداد: كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد.

ناي, ج. س. (٢٠٠٣). **مفارقة القوة الأمريكية** . (م. ت. البجيرمي, Trans.) الرياض: العبيكان.

ناي, ج. س. (٢٠١٢). **القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الخارجية** (٢ ed.). (محمد, Trans.) الرياض: العبيكان.

نيكلسون, ه. (١٩٥٧). **الدبلوماسية**. (م. م. الزقزوقي, Trans.) القاهرة: مكتبة الأنكلو المصرية.

هيف, ع. ص. (١٩٨٧). **القانون الدبلوماسي**. الأسكندرية : منشأة المعارف جلال حزي وشركاه.

هاس، ر،(٢٠١٨) عالم في حيص بيص: السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم، ت: إسماعيل بهاء الدين سليمان، بيروت.

فتحية النبراوي و محمد نصر مهنا. (١٩٨٥). **أصول العلاقات السياسية الدولية**. الإسكندرية: منشأة المعارف.

التسامُح والإصلاح في العصر الحديث
جون لوك أنموذجاً

د. رسول محمَّد رسول(*)

شهدت أوروبا في القرن السابع عشر ولادة جديدة لفكر التسامح الحديث في وقت كان الفكر الفلسفي فيه يفكِّك المنظومات الفلسفية الميتافيزيقية الكبرى نسبياً، ويشذِّب حمولات العقل البشري الماورائية، ويدفع بالخرافة خارج بنية العقل البشري، ويهمُّ بفصم العلاقة الموروثة بين الدِّين والدولة التي أحالت (الدِّين المسيحي) إلى مجرَّد أداة لتشويه جوهر العقيدة الإيمانية والإلهية وفق مصالح بشرية لم تؤد إلاّ إلى مزيد من الظلم والحرمان وغياب العدالة البشرية، فضلاً عن الحروب الدِّينية التي راح ضحيتها مئات الآلاف من البشر ومن ضمنهم فلاسفة ومفكرون.

في الواقع، ما كانت بلاطات الملوك في الغرب الحديث خالية من إرادات إصلاحية تتمثل بأشخاص أدركوا الطريق المسدود الذي بات يحاصر البشر في حياتهم. ولم تكن إنجلترا بعيدة عن كل ذلك؛ إنجلترا التي ولد وعاش وتوفي فيها الفيلسوف جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤)، الذي ربطته علاقات صداقة منذ سنة ١٦٦٦ مع رجل البلاط الملكي (أريل شفتسبري)، ذلك اللورد الذي كانت "فكرة الإصلاح" تلوح في ذهنه وسط شعور حقيقي بفداحة الصراع الدائر في أوروبا وإنجلترا جرّاء الانشقاقات الدِّينية بين أتباع الدِّين المسيحي أنفسهم وبمختلف مذاهبهم، والتي كانت تنعكس على البلاط الملكي. شفتسبري الذي يستبطن قدراً من التطلُّع لضرورة إحلال التسامح (Toleration) كخيار فلسفي بين أولئك الأتباع لتكون الطريق الآمن للخلاص، إلاّ أن تلك التطلُّعات بدت تهدِّد مكانة (شفتسبري) في البلاط بالويلات ممّا اضطر، هذا الأخير، في سنة ١٦٨٢ إلى الفرار نحو (هولندا) بعد إدراكه الباكر بأنه سيكون المتهم بالعداء للملك تشارلز الثاني.

في تلك الأجواء، شعر جون لوك، وهو المقرَّب من صديقه شفتسبري، بأنه سيتعرَّض إلى التهديد أو الاعتقال، ففرَّ من جانبه إلى (هولندا) ليلتحق بصديقه الشريد، فصار الفيلسوف في مواجهة تنذر بالخطر مع السلطة السياسية التي تتغلَّف برداء الدِّين لتحقيق مصالح عُليا، ما دعاه إلى وضع "فكرة

(*) أستاذ سابق في (جامعة عجمان - الإمارات)

التسامح" على مسطرة التفكير الفلسفي، لاسيما أن صديقه الهولندي المقـرَّب إليه "فيليب فان لمبـورش"، كان يحثّه على كتابة شـيء من هذا القبيـل، وكذلك بتحريض من اللورد أريل شفتسبري شخصيًا.

لذلك، شـرع جون لـوك بكتابة (رسـالة في التسـامح) باللغة اللاتينية وليست الإنجليزية، لينشـرها فـي سـنة ١٦٨٩ مـن دون إيراد حتى "توقيعه" أو "اسـمه" عليها خشية التلقِّي السَّـلبي الذي قد يودِّي بحياته في ظلِّ اتسـاع رقعـة الارتياب الدِّينـي والحكومي بأيّة كتابة إصلاحية أو تسـامحية تدعو الدولة والكنيسة معاً إلى الإصـلاح بالانطلاق من إحلال مبدأ التسـامح الشـامل في المجتمع أو ما أسماه بـ "السبب الكلي للتسامح"[1].

في غضون ذلك، كان بعض قراء (رسـالة في التسامح) يحدس أن جون لوك هو كاتبها، فقام هذا الأخير بكتابة رسالة أخرى في (التسامح) سـنة ١٦٩٠؛ بل وقام أيضاً بكتابة رسالة ثالثة عن (التسامح) في سنة ١٦٩٢، لكن لوك، وفي الرسـائل الثلاث، بقي عند أفـكاره الجوهرية حول فكرة التسامح والإصلاح.

ولعلنا نلاحظ هنا تلك الثورة التي كانت تعتمل روح جون لوك بإصراره على كتابة أفكاره في التسـامح رغم المخاوف التي كانت تحيق به، فبدا أنموذجاً للفيلسوف الشجاع الذي يدافع عن أفكاره، وهـو الداعي إلى ضرورة وجود فكر تسـامحي إصلاحي يُنقذ البشرية من جهالات اسـتثمار الدِّين لتحقيق مصالح الملوك ورجال الدِّين في تلك الأزمان.

كانـت العلاقة مـع لوك، من جهـة، واللورد أشـلي الذي أصبح اسمه تالياً "أرل شفتسبري" بعد أن أصبح مستشـار الدولة الأول، وفيليب فان لمبورش، من جهة أخرى، مجرَّد أسـباب قريبة، كما يقال، لظهور فكرة كتابة (رسـالة في التسـامح)، أما الفكرة البعيدة أو الجوهرية لكتابة رسالة من هذا النوع فتكمن في الخطاب الفلسـفي لجون لوك نفسه، ذلك الخطاب الذي أخـذ على عاتقه الدعوة إلـى إصلاح وضعية الفكر الإنساني برمته، وهو ما كشف عنه لوك في عدد وافر من كتاباته ورسائله ومؤلَّفاته منذ أحبَّ الدرس الفلسـفي وتعلَّق به، وراح يُغامر في مناقشة تفاصيله برغبة عارمة، وفي خضم ذلك شـغلته مسـألة المعرفة البشرية والبحث الاسـتباقي في إمكانات العقل البشـري ليضع رسـالة صغيرة كان رسـم خطوطها الرئيسة في هولندا بعنوان (في العقل الإنساني)، وهي الرسـالة التي كانت عماد تفكيره في مسـائل المعرفة على مدى عقدين من الزمان تقريباً؛ بل كانت "مقدِّمة" أو "مدخلاً" لكتابه ذائع الصيت (مبحث في الفهم البشـري) سنة ١٦٨٩ بداية، ويطوِّره وينقِّحه، فـي طبعة أخرى، صدرت سـنة ١٦٩٠ تالياً، ومن ثـم يُظهره في طبعة جديدة في سنة ١٦٩٤.

كانت دراسـة جون لوك للاهوت في (مدرسة وستمنسـتر) ذات النزعة الدِّينية البروتستانتية وهـو فـي الرابعة عشـر من عمـره والتي استمرت حتى سنة ١٥٥٢، وكذلك التحاقه في كليـة (Christ Church) من أعمال (جامعة أكسفورد) أثرهما الجلي في كتابة نصه (رسالة في التسـامح)، فقارئ هذه الرسالة يجد تضلُّع

هذا الفيلسوف بالنَّصوص الدِّينية، اليهودية والمسيحية والإسلامية، من النواحي الفقهية والعقائدية والتاريخية، ومعرفته الشاملة بالحركات الدِّينية والملل والفرق والمذاهب الكنسية (Church).

ويعتقد الدكتور ماجد فخري في تقديمه وترجمته لكتاب لوك (في الحكم المدني) بأنه "كان لجامعة أكسفورد، والنزعات الفكرية والسياسية التي كانت تتصارع فيها، أكبر الأثر في تحوُّل جون لوك، شيئاً فشيئاً، عن النزعة الدِّينية المتزمتة التي درج عليها منذ حداثته في سومرست وفي وستمنستر، وجنوحه إلى الأخذ بالتساهل الدِّيني كشرط لازم لاكتناه الحقيقة"[٢]، لا سيما في ظل وجود أشخاص تأثر بهم لوك، ومنهم "إدوارد بوكوك، أستاذ العربية والعبرية الذي كان شديد الولاء للملكية، وجون أوين، عميد كلية Christ Church، الذي كان يصدح بضرورة التساهل الدِّيني"[٣].

على الصعيد العربي، حظيت (رسالة في التسامح) بترجمتين عربيتين لها، ففي سنة ١٩٨٨ ترجم الفيلسوف المصري الراحل الدكتور عبد الرحمن بدوي (رسالة في التسامح) عن لغتها اللاتينية إلى العربية، ونشرها في دار الغرب الإسلامي ببيروت في تلك السنة، وتالياً في سنة ١٩٩٧ صدرت ترجمة الرسالة نفسها عن الإنجليزية نهضت بها الأستاذة منى أبو سنه، بتقديم الفيلسوف المصري مراد وهبة عن المركز القومي للترجمة في القاهرة.

لقد تضمَّن نص الرسالة ١٢ فقرة داخلية كتبها جون لوك بلغة لاتينية واضحة تمكَّن الفيلسوف المصري عبد الرحمن بدوي من تمثيلها وترجمتها بلغة ترتقي إلى روح الكتابة الفلسفية عن لوك، والأمر نفسه نجده لدى الأستاذة منى أبو سنه وهي تترجم نص الرسالة، لكنّنا سنعتمد، في هذه الدراسة، على ترجمة الدكتور بدوي لما تتضمَّنه من إشارات مقارنة بالنَّص اللاتيني مع التأكيد على اعتزازنا الشديد بالجهد الذي بذلته الأستاذة المترجمة منى أبو سنه في صنيعها الترجمي الرائع.

تبدو أفكار جون لوك عن التسامح محصورة في تجربته النَّقدية للتسامح مع الممارسة الدِّينية في الغرب الحديث، فمعالجة إشكاليات التطرُّف الدِّيني لا تتم إلاّ من خلال "التسامح" الذي هو طريقة للخلاص من مشكلات عدّة بات أمرها يثير التعقيد في الحياة الدِّينية والسياسية وأثرها في علاقات أبناء المجتمع، ,ولاسيما أن التسامح يجد أصوله في الدِّين المسيحي نفسه، وكذلك يجدهُ في العقل.

وهذا ما دعا لوك إلى القول: إن "التسامح بين أولئك الذين يعتقدون عقائد مختلفة في أمور الدِّين هو أمرٌ يرضي الإنجيل والعقل حتى إنه لأمرٌ غريبٌ عند الناس أنْ يكون المرء أعمى في ضوء ساطع كهذا"[٤]. وهذا لعمري موقف كفيل بتأصيل التسامح في هذين المصدرين؛ في (الكتاب المقدَّس) = (Gospel)، وفي (العقل البشري) = (Human Mind)؛ في (النقل) وفي (العقل) بلغة الفقهاء والفلاسفة المسلمين.

إن تقويض (التعصُّب) = (Zealotry)، وكذلك (التطرُّف) = (Extremeness)، ومعرفة حدود الكنيسة والدولة والفرد، يبدأ

من تحديد المعنى الحقيقي للدِّين؛ فالدِّين الحق، يقول لوك: "لم يوجد للفخفخة المظهرية External Pomp، ولا لسيطرة الإكليروس، ولا للعنف؛ بل وجد لتنظيم حياة الناس وفقاً للفضيلة والتقوى"(٥). إن الاقتراب من الدِّين الحق يوجب على الإنسان "أن يبدأ بإعلان الحرب على رذائله واستكباره وشهواته، وإلاّ فإنه بدون طهارة الحياة، وصفاء الأخلاق، والشفقة ووداعة النَّفس"(٦).

وفي ضوء ذلك، وجد لوك أن معالجة التطرُّف وعدوى التعصُّب والهرطقة وتأصيل التسامح في المجتمع يبدأ من إصلاح حال دور (الحاكم المدني) = (Civil Magistrate) أو الملك أو رئيس الدولة أو الوزير وما أشبه من التسميات المنخرطة تحت نظام الحكم المدني، وتعبير "الحاكم المدني" سيكون له شأن كبير في رؤية لوك السياسية لاحقاًP فهو وبوصفه فيلسوفاً يستبطن بذرة الفصل بين الدِّين والدولة، إذ ليس الحاكم هو رجل الكنسية أو رجل الدِّين الذي يقضي بأمر الله في شؤون الرعية، إنما هو رجل لا بد وأن يمارس مهنته بعيداً عن المرجعيات اللاهوتية التي تسوّغ لرجل الدِّين حكم الآخرين.

السلطة المدنية :

ومن هنا، وضع لوك استراتيجية لدور (الحاكم المدني) في الدولة والمجتمع، إذ ينحصر واجبه في أن "يؤمِّن للشعب كله بواسطة قوانين مفروضة بالتساوي على الجميع، والامتلاك لكل الأشياء التي تخص الخيرات المدنية Public Good كالحياة، والحرية، وسلامة البدن وحمايته ضد الألم، وامتلاك الأموال الخارجية مثل: الأرض، والنقود، والمنقولات. إنَّ كل تخصُّص الحاكم المدني يقتصر فقط على هذه الخيرات المدنية، وأن حقوق السُّلطة المدنية تنحصر في المحافظة على تلك الخيرات، وتنميتها، ولاسيما دون غيرها، ولا ينبغي أو لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تمتدَّ إلى نجاة النُّفوس"(٧) أو الأرواح، ما يعني أن "السُّلطة المدنية لا ينبغي لها أن تفرض عقائد الإيمان بواسطة القانون المدني، سواء تعلَّق الأمر بالعقائد أو بأشكال عبادة الله"(٨). كما أن "كل سُلطة الدولة لا تتعلَّق إلاّ بالخيرات المدنية، وأنّها مقصورة على رعاية شؤون هذه الدُّنيا، وأنه لا يحق لها أن تمسُّ أي شيء يتعلَّق بالحياة الآخرة"(٩)، وكذلك "من العبث أن يرغم الحاكم رعاياه على اعتناق دينه هو بدعوى إنقاذ أرواحهم"(١٠). وإلى جانب ذلك، يرى لوك أن الحاكم "لا يستطيع أن ينهى عن استعمال ما هو مقرّر في الجماعات الدِّينية من طقوس مقدَّسة أو شعائر، لأنه لو فعل ذلك لقضى على الكنيسة نفسها؛ إذ الغرض منها هو عبادة الله بحرية وفقاً لاعتقادها"(١١).

وبشأن تدخُّل الحاكم في شؤون الكنيسة الداخلية، يرى لوك أنه "لا ينبغي للحاكم أن يمنع التمسك أو تعليم أية آراء نظرية في أية كنيسة، لأنّها لا تأثير لها في الحقوق المدنية لرعاياه"(١٢). ومن الجانب الآخر، وبإزاء التطرُّف الدِّيني كالتكفير وانتشار البدع والتعصُّب وعبادة الأصنام، يذهب لوك إلى أن الحاكم "لا يجوز له أن يتسامح مع عقائد تتنافى مع المجتمع الإنساني"(١٣). ولا يحق لأشخاص يعتقدون

بمثل هذه العقائد "أن يتسامح معهم الحاكم"[١٤]، ولاسيما أولئك الذين "ينكرون وجود الله"[١٥]، مثلما ليس للحاكم "إكراه أحد في الأمور الدِّينية بواسطة أي قانون أو قوة قاهرة"[١٦].

ما هو مهم هنا أن لوك يستخدم مصطلحي (نجاة النُّفوس) = (The Salvation of Souls)، وكذلك مصطلح "الحياة بالآخرة" = (The World to Com)، وهما مصطلحان يتعلَّقان بالشؤون الذاتية للإنسان، وتحديداً الشؤون الدِّينية الخاصَّة به أو علاقة الإنسان بالدِّين وبالخالق، والتي لا يحق للحاكم المدني أن يتدخَّل فيها لأنّها محض مسؤولية شخصية وقرار ذاتي، وهو أحد مظاهر فصم العلاقة بين الدِّين والدولة أو بين تديُّن الأفراد والحاكم أو نظام الدولة والحكم وفلسفتهما. ولذلك، يأتي لوك إلى ثلاثة اعتبارات أساسية تحتِّم على الحاكم المدني أو رئيس الدولة ألاّ يتدخَّل، من خلالها، في تديُّن الأفراد والمجتمع، وهي:

١. لأنّه لا الحاكم المدني، ولا أي إنسان آخر، مكلفٌ برعاية النُّفوس (The Care of Souls)؛ فالله لم يكلِّفه بذلك، لأنّه لا يتضح أبداً أن الله قد منح مثل هذه السُّلطة لأحد على آخر بحيث يرغم الآخرين على اعتناق دينه، وكذلك لا يمكن أنْ يكون الناس قد أعطوا الحاكم هذه السُّلطة، لأنه لا إنسان قد تخلى عن رعاية نجاته الأبدية الخاصَّة به بحيث يعتنق بالإكراه عبادة أو إيمان يفرضه إنسان آخر، سواء أكان هذا أميراً أم فردًا.

٢. إنَّ رعاية النُّفوس لا يمكن أن تكون من تخصُّص الحاكم المدني، لأنَّ كل سُلطة تقوم على الإكراه الخارجي، أما الدِّين الحق المنجِّي فيقوم على الإيمان الباطن (Inward Faith) في النَّفس الذي من دونه لا قيمة لشيء عند الله، وإن من طبيعة العقل الإنساني أنّه لا يمكن إكراهه (To be Compelled) بواسطة أيّة قوة خارجية.

٣. إن رعاية النُّفوس لا يمكن أن تكون من تخصُّص الحاكم المدني، لأنّه حتى لو أقررنا أن سُلطة القوانين وقوة العقوبات قادرة على تحقيق تحويل النُّفوس، فإنّها لا تفيد شيئاً في نجاة النُّفوس[١٧].

يتضحُ من هذه الاعتبارات الثلاثة أن لوك يرفض مبدأ الوصاية؛ وصاية شخص على غيره في مسائل الدِّين والعقيدة والإيمان أو رعاية النُّفوس أو الأرواح، لأنّها شأن الله في عباده الذين تحصَّلوا على حرية التديُّن من الذات الإلهية مباشرة من دون وسيط سوى (الكتاب المقدَّس) و(الرسول أو النبي) في ظل حرية خصَّ بها الله البشر من عباده.

إن نقد مبدأ الوصاية سيظهر تالياً لدى الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) في رسالته (ما هو التنوير؟)[١٨] في نهاية القرن الثامن عشر، ولاسيما الوصاية الخارجية على العقل البشري، مثلما هو الأمر لدى فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) من ذي قبل عندما رفض مبدأ الوصاية[١٩]. كما أن لوك يرفض مبدأ الإكراه؛ فالحاكم المدني ليس من شأنه إكراه الرعية على نمط التديُّن والعبادات أو التدخُّل في شكل وطريقة النَّجاة من مشكلات الدُّنيا للظفر بنعيم الآخرة. وكل ذلك يعني أن

نجـاة الأرواح أمر يتحكَّم به الفرد بعينه سـواء عبْـر الكنيسـة أو من دونهـا، ولا أحد يستطيع أن يتدخَّل، ولاسـيما رجل الدولـة أو الحاكم أو الدولـة نفسها، فـي تحديد المسار الـذي يتخذه الإنسان للظفر بشكل الجزاء في عالم الآخرة.

يبدو نقداً لوك مزدوج المسار؛ ففي الوقت الذي نقـد فيه علاقـة الدولة والحاكـم المدني بطبيعة تديُّـن الأفـراد أو الرعيّة، كذلـك توجَّه إلى نقد المؤسـسة الدِّينية المتمثلة بـ (الكنيسة)، ومثلما نظـر لـوك إلى الحاكـم بأنه لا يعـدو أن يكون مجرَّد إنسان من بين بقية البشر، كذلك نظر إلى رجال الدِّين، فهؤلاء ليسوا سوى بشر انخرطوا في الكنيسة بمحـض إرادتهم؛ فلا أي أحد منهم بوصفهـم بشراً "ولـد عضواً فـي كنيسة"[٢٠]، إنما هـم مجرَّد "جماعـة أقامتهـا الطبيعة بين النـاس"[٢١]؛ جماعـة "حـرة ذات إرادة"[٢٢]، مـا يعنـي أن لوك لم يؤمـن بنظريـة التوريث البيولوجي ولا المفارق في مسائل القيادة الدِّينية أو العمـل في المجـال الكنسـي والدِّيني إلاّ من بـاب التمهُّن والتعلُّـم والرغبة الفرديـة بإرادة حـرَّة؛ يقول لوك عـن الكنيسـة: "الكنيسة هي جماعة حرة مؤلَّفـة من أناس اجتمعوا بإرادتهم لعبادة الله علنـاً وعلى النَّحو الذي يرونه مقبولاً عنـده وكفيـلاً بتحصيلهـم للنّجـاة"[٢٣]. كما أن هـذا الفيلسوف لـم يمنح الكنيسة أيّة سُـلطة في الأمور الدّنيوية من شأنها تحطيم الآخرين؛ ذلك أن "السيف والنـار ليسا أداتين صالحتين لتنفيذ الأخطاء أو تعليم الناس وهدايتهم"[٢٤].

السلطة الدينية :

ولهـذا، يرى لوك أن سُـلطة رجـال الكنيسة لا ينبغـي أن تمتـدّ خـارج حدودها المؤسـساتية، فمهما كان "المصدر الذي عنه تصدر سُـلطتهم مـا دامـت كنسيَّـة، فإنّهـا يجـب أن تنحصـر داخـل حدود الكنيسـة، ولا يمكـن أن تمتدّ إلى الشـؤون المدنيـة، لأن الكنيسـة نفسها منفصلة تمامـاً ومتميزة من الدولـة، وكذلك من الأمور المدنية"[٢٥]. وإذا كان أحد رجال الكنيسة "خليفة للرسُـل، وأخذ علـى عاتقه مَهمـة التعليم، فهو ملزم أيضاً بأن ينبِّه سامعيه إلى واجبات السلام والإرادة الخيـرة تجاه كل النـاس؛ تجاه الضال كما هو تجاه المستقيم العقيدة على السواء؛ تجاه من يخالفونه في الإيمان والعبادات كما تجاه منْ يتفقون معه"[٢٦].

نلمـح في هذه النُّصوص دعـوة لوك إلى حرية المعتقـد والاعتقـاد الدِّيني وغيـر الدِّيني داخل المجتمع الواحد، ولذلك نجده يؤكِّد على أنه "لا يستطيع أحد، مهما كانـت وظيفته في الكنيسة، أنْ يحـرم أي إنسـان آخـر ينتسب إلـى كنيسة أخرى أو إلى إيمان آخر، من حياته أو حريته أو أي جزء من خيراته الدنيوية، بسبب الدِّين"[٢٧].

وانطلاقـاً من مفهوم "التسامـح المتبادل" الذي تصدَّر رسالته، يرى لوك أن "لا سُلطان لواحدة مـن الكنائـس على أخرى حتى لـو كان الحاكم المدني يتبـع واحدة منها، ومـا دامت الدولة لا تستطيـع أن تمنـح حقـاً جديداً للكنيسـة، كذلك لا تستطيـع أن تمنح الدولة حقـاً جديداً؛ إنها لا تكتسـب قوة السيف بانضمـام الحاكم إليها، كما أنه، وإذا تركها، فإنها لا تفقد بذلك سلطتها التي كانت لها من قبل" [٢٨].

ومثلمـا طالب لـوك بفصل الدولة عن شـؤون

التديُّـن، كذلك نراه يدعو في (رسـاله التسامح) إلى فصـل الكنيسة عن الدولة والمجتمع؛ فليس من شأن الجماعة الكنسية أن تمارس القوة تجاه الدولـة والمجتمـع، فذلك حق الدولـة فقط، ولا شأن لها بتداول خيرات المجتمع المدني، فالأمر رهـن الدولة والمجتمـع، وأن مَهمـة الجماعة تنحصـر في داخلها: "إنَّ غاية كل جماعة دينية هي العبادة المقامة لله، وعن هذا الطريق كسب الحيـاة الأبديـة، ولهذا فإن كل نظـام ينبغي أن يهـدف إلى هذه الغاية، ويجـب أن تنحصر كل قوانيـن الكنيسة داخل هذه الجماعة"[٢٩]. وبذلك نتوافـر على قدر من الوضوح الذي من شـأنه توليد التسامح بين الكنيسة والدولة، وبين الكنيسة والفرد، وكذلك بين الدولة والفرد وفق نظام من الحريـة المقرونة بالتسليـم العقلاني القائم على العدالـة في احتيـاز الحقـوق والواجبات. وهذا ما قاد لوك إلى دراسـة واجبـات المجتمع تجاه التسامح من خلال جُملة من التوضيحات التالية:

١. لا يحـق لشخـص خـاص، بـأي حـال من الأحـوال، أن يضر بأموال غيـر المدنية أو أن يدمرها بدعوى أن هـذا غير المؤمن بدين آخر أو يمارس شعائر أخرى.

٢. إن السـلام والعدالة والصداقة أمر ينبغي أن تراعيهـا الكنائس المختلفـة بعضها مع بعض، مثلما يراعيها الأفـراد، من دون مطالبة بهيمنة لوحدة على الأخرى.

٣. مـن الواجب تشـجيع التسـامح فيما بين بعضهم وبعض، وإذا ما تقووا بالسلطة المدنية، فإن في وسعهم أن يتحمّلوا بصبر وثبات عدوى الوثنية - عبادة الأوثان - Idolatry، والخرافة Superstition، والهرطقـة Heresy فـي محيطهم الذي يثير في نفوسـهم الخوف على أنفسهم وعلى دينهم[٣٠].

ويخلص لوك إلى أن الجميع لا بدَّ له أن يكون تحت طائلة المشاركة في التسامح؛ "فلا الأفراد، ولا الكنائس، ولا الدولة، لديها/ لديهم أي مبرّر عـادل للاعتداء على الحقوق المدنية وسـلب الآخرين أموالهم بأنفسهم بدعوى الدِّين"[٣١].

يختم لوك رسالته بدعوة الحاكم المدني ورجل الكنيسـة معاً إلى ممارسة كل منهما تخصُّصه الذي له؛ فمهمة الحكّام المدنيين بوصفهم "آباء لبلادهم يوجّهون كل جهودهم ونصائحهم لزيادة الرخاء المدني لأبنائهم ما عدا منْ كانوا خبثاء أشراراً لا يرعون"[٣٢]، ومهمة رجال الكنيسة "الذين يعلنون عن أنفسـهم أنهم خلفاء للرُّسل، والسائرون على طريق الرُّسـل، لا يتدخَّلون في السياسـة، يكرّسون أنفسهم بسلام وتواضع لرعاية نجاة النُّفوس"[٣٣].

وبهذا، فصل جون لوك بين الدِّين والدولة على نحو واضح ومُضاء بعدد من الحجج والبراهين، وكذلك بقدر واضح من التحليل المدهش، وجعل من (التسـامح) مبدأ تبادلياً شاملاً في المجتمع المسـيحي يتلاقى عنده رجُـل الدولة ورجُل الدِّين وأفراد المجتمع معاً في تواصل تعاضدي معزّز بإدراك واع لـدور كل طرف منهم في الحياة من شأنه حقن دماء الناس، ودرء العنف فيما بينهم على أساس مذهبي أو ديني، وتحقيق مجتمع العدالة والحرية المتبادلة.

الله والعقل

حافظ لوك في خطابه الفلسفي على وجود الله، فهو الذي قال: "لا ينبغي التسامح مع منْ ينكرون وجود الله"[٣٤]، وهذا يعني أن التطلُّعات العلمانية لدى لوك مقرونة بإيمان واضح بالذات الإلهية، وهي التطلُّعات نفسها التي تنطلق من التوزان بين الحياة الدنيا والآخرة، فـ "للإنسان، بجانب روحه الخالد، حياته في هذه الدنيا"[٣٥]، كما أن رؤية التوازن لديه جعلته يميل إلى عدم تكفير أتباع الأديان الأخرى، ومنهم اليهود والمسلمين، فلكُل منهم شأنه في دينه.

لقد أولى لوك "العقل" أهمية كبيرة في رؤيته الخاصَّة بالتسامح الذي وجده "يرضي الإنجيل والعقل" معاً كما أسلفنا القول حتى لتبدو كل معالجته لفكرة التسامح مبنية على رؤية متوازنة تستمدُّ قوتها من العقل نفسه ولكن ليس على طريقة رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) الذي قرأه لوك بإمعان وأعجب به، ويبدو ذلك جلياً في الروح الاستقرائية المقارنة بين الفِرق والمذاهب والأديان وأنظمة الحكم التي أبداها وهو يبحث في مسائل التسامح؛ تلك الروح التي تعاضدت مع نزعته التجريبية المتأتية إليه من مطالعاته الواسعة لمؤلَّفات سلفه الإنجليزي فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦)، وكذلك من دراساته للنَّظريات العلمية (Scientific) التي انكب عليها في حياته الجامعية، والتي نّماها وأصَّلها في وعيه اثناء دراسته الجامعية للطب. وإذا كانت العقائد المسيحية ينطوي صلبها على قدر من التسامح الذي تلوي عنقه بعض القراءات الفقهية المتطرِّفة، فإن العقل السليم ينطوي، وبحسب تكوينه الطبيعي، على ممكنات التسامح من دون أن تكون موروثة فيه، لذلك يُعدُّ العقل، في عُرف جون لوك، صفحة بيضاء يكتسب معارفه تالياً أو بعدياً (a posterioiri) بلغة الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط، لكن لوك يميل إلى اعتبار فكرة التسامح لديه فكرة عقلانية كونها تتفق ومتطلَّبات العيش السليم الذي لا تحركه بذرات التعصُّب المذهبي، ولا روح التكفير الجهوي المؤسَّس على أهواء ومصالح ذاتية مشبعة بالأنانية المؤذية، وبالرغبة الفاحشة بالانقضاض على حياة البشر لدواع مذهبية طائفية يرفضها منطق العقل البشري السوي.

لقد جاءت فكرة لوك لكتابة (رسالة في التسامح) بعد مخاض عسير شهدته أوروبا القديمة وبريطانيا، وتحديداً منذ عصر الإصلاح الذي شهد "انقسامات مسيحية وسيطة كانت تطرح مسألة التعدُّدية الدِّينية في الدولة بحدّة غير معهودة؛ إذ لم تعد الطوائف اللوثرية والزفنغلية والكالفينية والأنجليكانية هي وحدها التي تتصادم في ما بينها ومع الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر؛ بل نشأت في وجهها شيعٌ وحركات دينية مفرطة في التشدُّد تهدِّد بدورها مواقف الإصلاح، بل لنقل، باختصار، إنه عالم من الكنائس والشِّيع التي تطالب بحقوق المواطنية"[٣٦].

بإزاء كل ذلك الصراع الحاد بين تلك الأطراف الدِّينية، وبينها والدولة، يعتقد (جوزيف لوكلير) أن كثيراً من الدراسات التي تناولت التسامح في العصور الأوربية الحديثة، والتي نشطت في اثناء النِّصف الثاني من القرن العشرين كانت "في معظمها أحادية الاتجاه"[٣٧]، لكنه

يحتفظ بهذا النَّقد حتى عندما يأتي إلى ذكر جون لوك في (رسالته في التسامح)، فهو يعتقد بأن المرافعة التي كتبها (روجيه وليامز) في سنة ١٦٥٥ عن حرية الضمير كانت "أكثر اتساعاً في الرؤية وغنى العقيدة ما جعلها تتخطّى بأشواط تلك الرسالة التي كتبها جون لوك نفسه سنة ١٦٨٩، إذ سيقتصر فيها على إظهار المواقف الفكرية المشتركة بين اللاامتثاليين في عصره، بكل ما فيها من قصور ومحدودية، إلى حدّ عدم السماح للكاثوليك بإقامة شعائرهم الخاصَّة"[٣٨]. ولم يكتف لوكلير بذلك فحسب؛ بل وجد في محاولة لوك انتقائية ما دفعت برسالته ألا تكون شاملة في تناولها لصور التسامح الذي درسه في رسالته مركِّزاً على الفرق البروتستانتية دون الكاثوليكية في إنجلترا على أيام آل ستيوارت وكروميل[٣٩] .

ومهما كانت فكرة أحاديّة الاتجاه تنطبق على رؤية جون لوك في معالجة فكرة التسامح؛ بل ومهما كانت طبيعة الانتقادات حادَّة، تلك الموجَّهة إلى تجربته في هذه الرسالة، تبقى تلك التجربة تأسيسيّة في مجالها الفلسفي والفكري كونها جاءت، هذه المرَّة، من فيلسوف تجريبي أدرك أهمية المعالجة الفلسفية للتسامح والإصلاح في عصرٍ تناهت إليه الصراعات الدِّينية رغم وجود حركات إصلاحية متتالية الظهور في العصر الغربي الحديث.

قد يبدو خطاب جون لوك في التسامح والإصلاح ابناً لعصره، إلاّ أن معالجته لهذين الموضوعين تبدو اليوم ذات أهمية فائقة؛ فزمن الفتنة في عصر جون لوك يُعاد اليوم، وتتجدَّد همومه وفظاعاته، وتلك إشكالية تلقي بظلالها اليوم على دور الفلاسفة والمفكِّرين والمثقفين بأن يبروا أذهانهم وعقولهم وإراداتهم من أجل فكر إصلاحي وتسامحي جديد لمواجهة تحديات باتت تعصف بالإنسان في كل حالاته الذاتية والموضوعية.

الهوامش

(١) جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، ص ٣٩٣، مجلة (فصول)، العدد (٨١/ ٨٢)، القاهرة، ربيع ٢٠١٢. أما النَّص الإنجليزي للرسالة فهو:

Locke (John); Toleration, Jonathan - Bennett, pdf, ٢٠١٠.

عندما يستخدم جون لوك عبارة "السبب الكلي للتسامح" فهو لا يدل بها أي معنى ميتافيزيقي أو مفارق، إنما يقصد تقديم معنى شاملاً ثلاثي الأطراف للتسامح لا بدَّ على الكنيسة والدولة وأفراد المجتمع سنة المشاركة الشاملة في بنائه والعمل بموجبه.

(٢) جون لوك: في الحكم المدني، ترجمة د. ماجد فخري، "المقدِّمة"، ص (أ)، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٥٩.

(٣) جون لوك: المصدر السابق نفسه، "المقدِّمة"، صفحة (ب).

(٤) جون لوك: رسالة في التسامح، ص ٣٧١.

(٥) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٦٧.

(٦) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٦٧ – ٣٦٨.

(٧) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٢.

(٨) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٤.

(٩) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٥.

(١٠) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٩٤

(١١) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤٠٠.

(١٢) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤٠٨.

(١٣) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣١٣ – ٤١٤.

(١٤) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤١٥.

(١٥) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤١٦.

(١٦) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤١٧.

(١٧) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٣ – ٣٧٤.

(18)Kant (Immanuel); Was ist Aufklärung? P 169.

(Der Text stammt aus: Immanuel Kants: Werke. Band IV. Schriften von 1783 – 1788. Herausgegeben von Dr. Artur Buchenau und Dr. Ernst Cassirer. Berlin: Bruno Cassirer 1913. S. 167 – 176 und 538 – 539)

(١٩) قال فرنسيس بيكون: "أنا أريد في النهاية شأن الأوصياء المخلصين والأمناء أن أسلِّم الناس ثروتهم عندما يكون فهمهم قد تحرر من الوصاية وبلغ سن الرشد الأمر الذي يترتب عليه بالضرورة تحسّن حالة الإنسان وبسط سلطانه على الطبيعة". فرنسيس بيكون: الأورجانون الجديد، ص ٣٤٤، ترجمة: د. عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٣.

(٢٠) جون لوك: رسالة في التسامح، ص ٣٧٥.

(٢١) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٨١.

(٢٢) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٨١.

(٢٣) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٥.

(٢٤) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٣.

(٢٥) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٥.

(٢٦) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٥.

(٢٧) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٥.

(٢٨) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٨١.

(٢٩) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٨ – ٣٧٩.

(٣٠) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٩ – ٣٨٥.

(٣١) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٤.

(٣٢) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤٢٥.

(٣٣) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤٢٥.

(٣٤) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤١٦.

(٣٥) جون لوك: المصدر السابق نفسه، ص ٤١٠.

(٣٦) جوزيف لوكلير: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة: د. جورج سليمان، ص ١٩ – ٢٠، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩.

(٣٧) جوزيف لوكلير: المرجع السابق نفسه، ص ١٨.

(٣٨) جوزيف لوكلير: المرجع السابق نفسه، ص ١٠٩٤.

(٣٩) جوزيف لوكلير: المرجع السابق نفسه، انظر: (ص ١١١٥ – ١١١٦).

عرض كتاب
القانون الجوي الدولي وقانون الفضاء

تأليف/السفير الدكتور محمد الحاج حمود

عرض/ علي سعدي موسى(*)

ان قيمة الكتاب تقاس بأهمية المؤلف وحسن اختياره لعنوان الكتاب ورصانة المادة العلمية إضافة الى مدى فائدته للدولة والمجتمع . ان مؤلف هذا الكتاب «القانون الجوي الدولي وقانون الفضاء» هو السفير الدكتور محمد الحاج حمود احد اهم خبراء القانون الدولي في العراق والعالم العربي . وهذا الكتاب هو آخر الكتب القيمة التي أصدرها الدكتور الحاج حمود في السنوات القليله وفي السنوات العشرة الأخيرة صدر له كتاب (القانون الدولي للبحار) عام ٢٠١٣ ودراسات في القانون الدولي (عام ٢٠١٣) ومفاوضات سحب القوات الامريكية من العراق عام ٢٠٠٣ (عام ٢٠١٣) والمفاوضات الدولية والسيادة الوطنية (عام ٢٠١٨) والسياسة الخارجية العراقية (عام ٢٠١٩) وهديب الحاج حمود – شيخ السياسة البيضاء (٢٠١٩) والقانون الجوي الدولي وقانون الفضاء (عام ٢٠٢٠) .

وفي ضوء تطور المواصلات الجوية أصبحت الملاحة الجوية والنقل الجوي والسياحة تشكل حلقة واحدة وتجوب أجواء السماء يومياً عشرات الألوف من الطائرات المدنية حول العالم وهناك مئات الالاف من مكاتب لطيران حول العالم ويعمل ملايين من الشباب والشابات في هذا المجال .

وفي الفصل التمهيدي لهذا الكتاب يبدأ المؤلف تبيان أهمية الطيران ومصادر القانون الجوي الدولي وقانون الفضاء ويخصص المؤلف الفصل الأول لاستعراض الطبيعة القانونية للفضاء الخارجي وقد خصص الثاني للتركيز على المسؤولية الدولية التي تواجه النشاط في الفضاء الخارجي ويتناول في الفصل الثالث النظام القانوني للملاحة الجوية في ضوء اتفاقية باريس لعام ١٩١٩ واتفاقيات شيكاغو عام ١٩٤٤ اما الفصل الرابع فيتناول

(*) باحث/قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية -بيت الحكمة

التنظيم الدولي للطيران المدني ودور منظمة الطيران الدوليه واستعرض في الفصل الخامس الخطوط الجوية الدولية وخصص بحثاً خاصاً لدراسة الخطوط الجوية العراقية وفي الفصل السادس والأخير يأتي على عناصر الطيران المدني وعي الطائرة والطاقم والمطارات .

واولى المؤلف أهمية خاصة الى الطيران المدني في العراقية وتاريخ انشاء خطوط الطيران والتي بدأت عام ١٩٣٨ بجملة تبرعات وطنية ونجحت بشراء ثلاث طائرات مدنية من بريطانيا وصلت بغداد ١٩٣٩ وباشرت رحلات الى دمشق وطهران واصدر العراق عام ١٩٧٤ قانون الطيران المدني رقم ١٤٨ الذي روعي فيه انضمام العراق الى الاتفاقيات الدولية المهمة والمنظمة للطيران المدني في العالم

نجحت الشركة العامة للخطوط الجوية العراقية في ان تحتل دورها في نشاطات الطيران المدني في المنطقة والعالم واحتلت الخطوط الجوية العراقية مكانة مرموقة في ميدان النقل الجوي وحققت نجاحات مهمة سواءً في منطقة الشرق الأوسط او على النطاق العالمي وأوضح المؤلف انه مما زاد من شهرة هذه الخطوط انها امتلكت تاريخاً نظيفاً من ساعات الطيران ولم تتعرض لأية مشاكل مهمة او كوارث لاقدر الله وكانت متميزة ولها تاريخ جيد في تأمين سلامة السفر الجوي وعنصري الاعتماد والدقة في المحافظة على المواعيد

ويعود الفضل في ذلك الى حسن ادارتها والتزاماتها بقواعد وقوانين الطيران الدولية وتعتبر الخطوط الجوية العراقية وشعارها رمزاً وطنياً يعتز به العراقيون دائماً واستمر هذا النجاح حتى عام ١٩٩٠

لقد أثرت احداث غزو الكويت واحتلال الولايات المتحدة للعراق وتداعياتها على مجمل نشاط وحركة الخطوط الجوية العراقية حيث خضعت لإجراءات الحصار القاسية والظالمة وتم تدمير قسم كبير من اسطولها الجوي كما خسرت اعداد أخرى من الطائرات بسبب اهمالها وصعوبة الصيانة بسبب الحصار وتعرضت الخطوط الجوية العراقية منذ عام ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٣ للتدمير والإهمال .

يؤكد المؤلف تعرض الخطوط الجوية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ الى تخريب وفقدت الخطوط الجوية العراقية عضويتها في اتحاد النقل الجوي (أياتا) عام ٢٠١٠ لاسباب مالية لاتستحق الذكر .

ورغم كل التحديات فان الخطوط الجوية العراقية بشعارها الأخضر الجميل استعادت نشاطها مع الامل ان تسارع الخطى لتصبح احدى الخطوط الجوية العالمية الرفيعة المستوى .ويقترح الدكتور محمد الحاج حمود توحيد مناشئ الطائرات واتخاذ الإجراءات اللازمة لاعداد كادر الطيران من قائد الطائرة الى الخدمة داخل الطائرة وتطوير نظم المعلومات واختيار قيادات الشركة من العناصر الكفوءة وبعيداً عن المحاصصة والاهتمام بدقة المواعيد

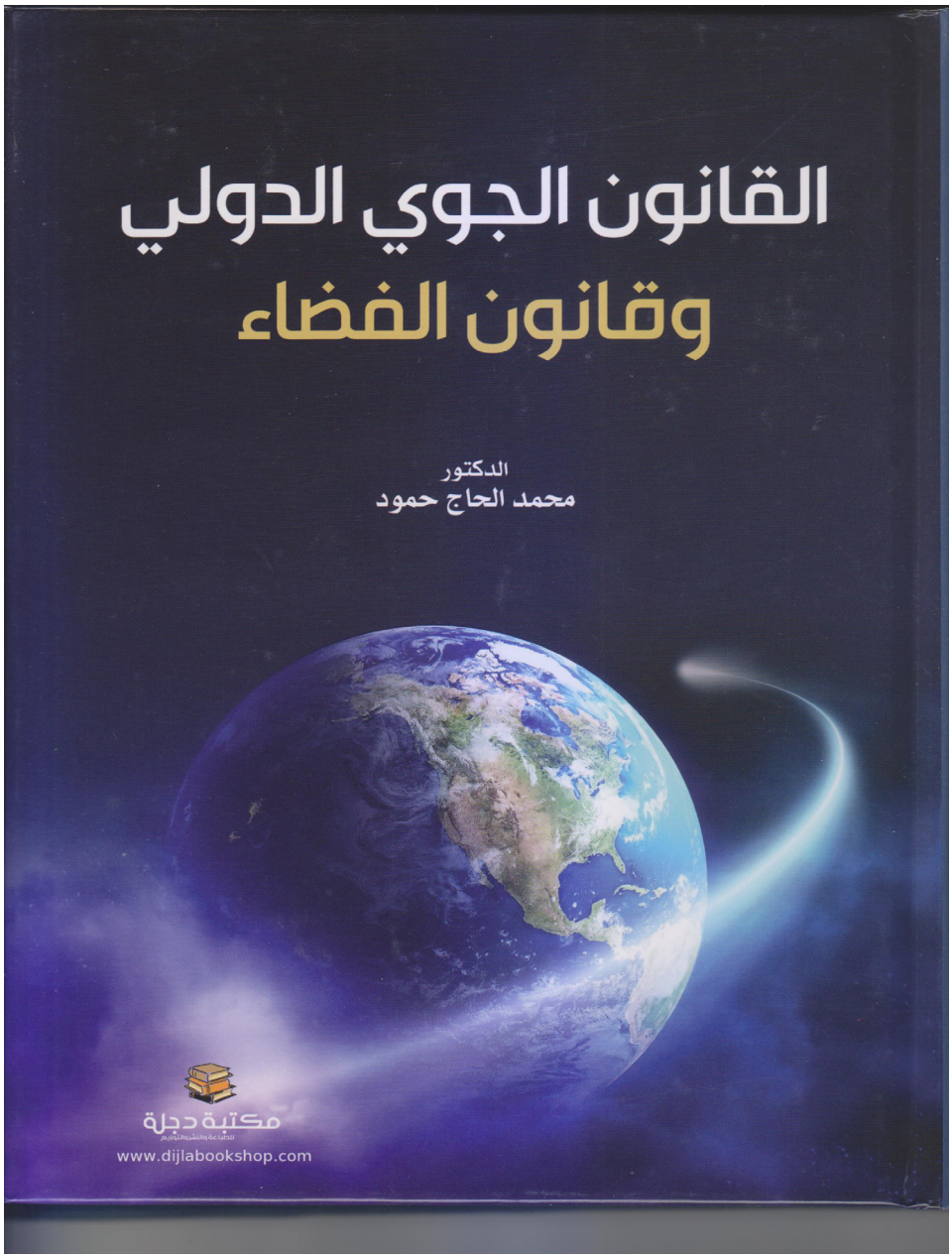
القانون الجوي الدولي
وقانون الفضاء
الدكتور
محمد الحاج حمود
مكتبة دجلة
www.dijlabookshop.com

Daish; Iraqi Point of View (Action and Re-Action)
Asit.prof.Dr. Ruqaih E. Ahmad 105

New American Role in The Arab Gulf in View of Regional Changes
Asit.prof.Dr. shatha Z. Hasan 115

The Problem of Nahdha Dam And its Impact on Sudanese -Egyptian Relations
As.t.Dr. Muna Hussain Obeid 129

American Public Diplomacy: Branding Nation Management and Image Recovery in Middle East
As.t.Dr.abd Alameer Abd Alhasan Ebrahem 145

Armament and Reform in Present Age - John Lock As A Model
Dr.Rasool M. Rasool 177

Book Reveiw
International Law of Air and the Law of International Air Transport
prof.Dr.Muhamad Haj Hmoud
Ali Saadi Mousa 187

Contents

Editorial 13

Research and Studies

The Great Fao Port And The Future Of Iraq

Prof.Dr.Muhamad Haj hmoud 17

GCC-Surviving Or Changes

Prof.Dr. Khairi A.Jasem 29

Kuwait And Arab Spring ; Crises And Solutions

Prof.Dr .Mufeed Al-Zaidi 43

Pakistan Atomic Program

Prof.Dr. Satar G.Alai

Researcher. Heba.s.Jaber..... 63

Political Financing in lraq

Prof.Dr.Bassim A. Khrissan 83

Admist Extremism And Terroism (Mind and Action)

Jamel Kamel Abdullah . Aqeel Mustafa Mahdi . Ahmad Omran. Abd . Dr. Thair Saad Abdullah . Qais Karim Nafil. Dr.Haider Taha Askir 93

Ethics of Publishing:

• Journal of Historical Studies adopts the rules of confidentiality and objectivity in the arbitration process, for both the researcher and the readers. It assigns each arbitrable research to certified readers who have the specialized expertise and competence in the research subject to assess and evaluate it according to specific standards and criteria. In case that the assessment conflicts with readers, the Journal refers the research on another reader.

• Journal of Historical Studies adopts reliable, experienced and authentic readers in their specialty.

• Journal of Historical Studies adopts an accurate internal organization that clearly defines the duties and responsibilities in the work of the editorial staff and its functional ranks.

• Editors and readers, except for the direct administrator of the editing process (the editor-in-chief or his / her designee) may not discuss paper (researches) with anyone else, including the author. Any privileged information or opinion obtained through reading is kept confidential and neither of them may be used for personal use.

• In the light of readers› reports, the Journal provides technical, methodological and information support to researchers, as needed and serves to improve research.

• The Journal is obliged to inform researchers of the approval of the research publication without modification, or according to certain amendments based on what is stated in the reading reports, or apologize for not publishing with an explanation of the reasons.

• Journal of Historical Studies is committed to the quality of the investigative, editorial, printing and electronic services it provides for researches.

• Respect for the rule of non-discrimination: Editors and reviewers assess research material according to intellectual content, taking into account the principle of non-discrimination on the basis of race, gender, faith, political philosophy of the author. Assessment and evaluation is never based on discrimination but on adherence to academic approaches and rules in presenting, analyzing and discussing ideas, trends, and topics.

• Respect for the rule of non-conflict of interest between editors and researchers, whether as a result of a competitive or cooperative relationship or other relationships or links with any author, company or research-related institution.

• Journal of Historical Studies shall not allow any of its members or editors to use the unpublished material contained in the research assigned to the Journal in their own research. Intellectual property rights: Bayt al-Hikma (House of Wisdom) owns the intellectual property rights of the articles published in its academic journals and may not be reproduced in whole or in part, either in Arabic or translated into foreign languages, without express written permission from Bayt al-Hikma.

• Journal of Historical Studies complies with the publication of translated articles in full compliance with a permission of the foreign periodical; and complies with the respect of intellectual property rights.

• Free Publishing: Journal of Historical Studies is committed to free publication, and exempts researchers and authors from all publishing fees.

research ? Does the article identify the procedures followed ? Are these ordered in a meaningful way ? If the methods are new, are they explained in detail ? Was the sampling appropriate ? Have the equipment and materials been adequately described ? Does the article make it clear what type of data was recorded; has the author been precise in describing measurements ?

• Results: This is where the author/s should explain in words what he/she discovered in the research. It should be clearly laid out and in a logical sequence. You will need to consider if the appropriate analysis has been conducted. Are the statistics correct ? If you are not comfortable with statistics, please advise the editor when you submit your report. Interpretation of results should not be included in this section.

• Conclusion/Discussion: Are the claims in this section supported by the results, do they seem reasonable ? Have the authors indicated how the results relate to expectations and to earlier research ? Does the article support or contradict previous theories ? Does the conclusion explain how the research has moved the body of scientific knowledge forward ?

• Tables, Figures, Images: Are they appropriate ? Do they properly show the data ? Are they easy to interpret and understand ?

• Scope - Is the article in line with the aims and scope of the journal ?

Synthesis (Review Articles):

• Submissions should be a critical, systematic review of literature concerning issues that are relevant to the delivery of health care. Reviews should be focused on one topic.

Final Comments:

• All submissions are confidential and please do not discuss any aspect of the submissions with a third party.

• If you would like to discuss the article with a colleague, please ask the editor first.

• Please do not contact the author directly.

• Ethical Issues:

1. Plagiarism: If you suspect that an article is a substantial copy of another work, please let the editor know, citing the previous work in as much detail as possible.

2. Fraud: It is very difficult to detect the determined fraudster, but if you suspect the results in an article to be untrue, discuss it with the editor.

Next Steps:

• Please complete the “Reviewer’s Comments” form by the due date to the receiving editorial office. Your recommendation regarding an article will be strongly considered when the editors make the final decision, and your thorough, honest feedback will be much appreciated.

• When writing comments, please indicate the section of comments intended for only the editors and the section of comments that can be returned to the author(s). Please never hesitate to contact the receiving editorial office with any questions or concerns you may have.

Guidelines for Reviewers

The Responsibility of the Peer Reviewer:

The peer reviewer is responsible for critically reading and evaluating a manuscript in their specialty field, and then providing respectful, constructive, and honest feedback to authors about their submission. It is appropriate for the Peer Reviewer to discuss the strengths and weaknesses of the article, ways to improve the strength and quality of the work, and evaluate the relevance and originality of the manuscript.

Before Reviewing:

Please consider the following:

1. Does the article you are being asked to review match your expertise ?

If you receive a manuscript that covers a topic that does not sufficiently match your area of expertise, please notify the editor as soon as possible. Please feel free to recommend alternate reviewer.

2. Do you have time to review the paper ?

Finished reviews of an article should be completed within two weeks. If you do not think you can complete the review within this time frame, please let the editor know and if possible, suggest an alternate reviewer. If you have agreed to review a paper but will no longer be able to finish the work before the deadline, please contact the editor as soon as possible.

3. Are there any potential conflicts of interests ?

While conflicts of interest will not disqualify you from reviewing the manuscript, it is important to disclose all conflicts of interest to the editors before reviewing. If you have any questions about potential conflicts of interests, please do not hesitate to contact the receiving editorial office.

The Review:

When reviewing the article, please keep the following in mind:

• Content Quality and Originality.

Is the article sufficiently novel and interesting to warrant publication ? Does it add to the canon of knowledge ? Does the article adhere to the journal›s standards ? Is the research question an important one ? In order to determine its originality and appropriateness for the journal, it might be helpful to think of the research in terms of what percentile it is in ? Is it in the top 25% of papers in this field ? You might wish to do a quick literature search using tools such as Scopus to see if there are any reviews of the area. If the research has been covered previously, pass on references of those works to the editor.

Organization and Clarity:

• Title: Does it clearly describe the article ?

• Abstract: Does it reflect the content of the article ?

• Introduction: Does it describe what the author hoped to achieve accurately, and clearly state the problem being investigated ? Normally, the introduction should summarize relevant research to provide context, and explain what other authors› findings, if any, are being challenged or extended. It should describe the experiment, the hypothesis(es) and the general experimental design or method.

•Method: Does the author accurately explain how the data was collected ? Is the design suitable for answering the question posed ? Is there sufficient information present for you to replicate the

search interests. Book reviews are subject to the same assessment criteria followed in the assessment of researches.

- The Journal devotes a special forum for the discussion of an idea, a theory or an issue raised in the field of social studies. The number of words in the discussion does not exceed 2800-3000 words. Discussions are subject to the same assessment criteria.

- The number of a research words, including references to sources and footnotes, bibliography, list of words of tables, if any, and annexes, if any, are between 8000 and 10,000 words. The journal may publish, in its discretion and in exceptional cases, some research and studies whose words exceed the number of words mentioned above.

- Researches and studies may published in Arabic or English.

Fourthly: Electronic astrology and scientific arbitration:

- Research and studies submitted for publication in the journal are presented on the electronic portal program (Turnitin).

- Each research is subject to a complete confidential assessment conducted by two readers (referees) who are competent and specialized in the subject of the research, have the academic expertise of what has been accomplished in concerned field and who are accredited in the list of readers in Bayt al-Hikma. In case there are contradictions in assessment results, the research is sent to a third reader. The Journal is committed to provide the researcher with its final decision: publishing / publishing after making specific amendments / apologies for not publishing, within three months of the receipt of the research.

Fifth: The Journal is morally committed to respect privacy, confidentiality, objectivity and academic honesty. The editors, auditors and members of the editorial board do not disclose any information about the research.

- The arrangement of researches is subject to technical procedures irrelevant to the status of the researcher.

- The Journal does not pay financial rewards for published materials – researches, studies and articles - as it is applied by international academic journals. The Journal does not receives fees for publication.

Author Guidelines:

The "Journal of Historical Studies" depends, in the selection of its content, certain formal and intellectual specification as they are manifested in the international refereed journals, according to the following:

Firstly: the search has to be original specially prepared for the Journal, not published in full or in any other way, in paper or electronically, or presented in an academic event held Beit al-Hikma or organized by any other party.

Second: a C.V., in both Arabic and English, must be attached to the research.

Third: The research should include the following elements:

- Research title in Arabic and English and a brief introduction to the researcher and the academic foundation where s/he works in an independent page.

- An abstract of the research in Arabic and English in about 250-300 words, followed by the key words. The abstract should state the in short, accurate and clear sentences the main problem of research, methods used and conclusions.

- The identification of research problem, objectives of the study, its significance, the critical reviews written including the latest materials published on the subject, defining the specifications of the research hypothesis, the conceptual perception and its main indicators, a description of methodology, analysis, results, and conclusions; provided that a list of sources and references referred to by the researcher or used in the research body. The list should include the research date in its original foreign language in case of using several sources in several languages.

- A research should abide by documentation conditions in accordance with the reference assignment depended by Bayt al-Hikma which is compatible with the international standards research methodology. It is intended as a system (MLA Citation).

- The Journal does not publish chapters or researches taken ready made from university endorsed theses except for certain cases where they are prepared in a new way for the Journal provided that the researcher refers to this providing sufficient data concerning the thesis title, the discussion date and the university where the discussion took place.

- A research should be within the field of the Journal's goals and research concerns.

- The Journal is interested in critical reviews of important books recently published in the fields of its specialization in any the languages, provided that these books published not more than three years. A review does not exceed 2800-3000 words. Books reviewed should be within the field of the researcher›s specialization or his basic re

Vision of the Journal

The Recent Political Economic And Social Developments in lraq The Middle East and The World Reguier A High Level Objective and Scientific Research Projects With Clear Vision Towards Solving internal and Foreign Policy Problems aiming to help Decision Makers Drawing Objective Policies

Goals of the journal

The political and Strategic Studies Journal is a scientific and refereed by the Department of political and ١٩٩٩ journal published for the first time in Strategic Studies . the requirements of publishing and the selection of studies reflect the yearly research plan drawn with Cooperation of the Consultative Committee of the Department taking into Consideration the recent political, economic changes in Iraq, the Arab world and Neighboring Countries. We give special importance to the Arab Gulf affairs and the impacts and effects .of international relations on Iraq

All studies are refereed to the consultative committee which will decide . acceptance or apology

Political and strategic Studies

Quarterly journal of Political and strategic Studies Bayt Al-Hikma
No.(40) Baghdad-2020

Chief Editor

Prof.Dr.Mahmoud Ali AL-Daoud
Bayt Al-Hikma

Managing Editor

Dr.Muna Hussain Obeid
Baghdad University

Editorial Staff

Ambassador Pro.Dr.Muhamad haj Hmoud - Ministry of Foreign Affairs
Dr.Mustafa Othman lsmail (sudan)- Ex-sudan Minister of Foreign Affairs
lssam Al-Chalabi- Ex-minister of Oil
Pro.Dr.Abdul-Ameer.m.Al-Assadi - Al-mustanseryah
Prof.Dr.Abdul-Mounem.s.al-Amar - Baghdad University
Prof.Dr. Abdul-Salam Baghdadi - Baghdad University
Prof.Dr.Keiko sakai- Tokyo University for Foreign Studies (Japan)
Prof.Dr.lbraheem.K. Al-Alaaf - Mosul University
Prof.Dr.George jabour - Damascus university
prof.Dr. Zekeriyya Kursun -Fatih Sultan Mehmet (Istanbul)
Prof.Dr. Muhamad Adul Shafie Eissa-National institute for planning (Cairo)

Languge Examiner(English)

Buthina Hashim-BaytAl-hikma

Languge Examiner(Arabic)

Dr.Hazim.a.Arif- al-Mustanseryah University